

2021
الدوحة

عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

زاد الميسير في علم النفس

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المؤلف سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الثالث عشر

الواقعة - الحديد - المجادلة - الحشر
المتحفة - الصف - الجمعة - المنافقون
التكاثن - الطلاق - التحريم - المثلث
الفسل - الحاقة - المعارج - شوح
الجن - المزمل - المدثر - القيامة
الإنسان - الرسائل

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر



زاد الميسير في علم النفس



أوقاف
AWQAF

يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زَادَ الْمَلِكُ بِرَّأ

فِي عِلْمِهِ النَّفْسِيَّةِ

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١ م

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.



الدار الشاميه - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايمل: alshamiya.tr@gmail.com

زاد المسير

في علم النفس

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الثالث عشر

الواقعة - المرسلات

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

المستبصر عبد الرحمن بن علي

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر



سورة الواقعة

وفيها قولان:

أحدهما: أنها مكيّة، قاله الأكثرون؛ منهم ابن عباس، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، وجابر، ومقاتل^(١).

وحكي عن ابن عباس أن فيها آية مدنيّة، وهي قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣].

والثاني: أنها مدنيّة، رواه عطية عن ابن عباس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ① لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ② خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ③ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ④ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ⑤ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ⑥ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ⑦ فَأَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ ⑧ وَأَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ ⑨ وَالسَّيْفُونا السَّيْفُونَ ⑩ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ⑪ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ⑫﴾ [الواقعة: ١ - ١٢].

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾.

قال أبو سليمان الدمشقي: لما قال المشركون: متى هذا الوعد، متى هذا الفتح؟ نزل قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، فالمعنى: يكون إذا وقعت.

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٢١٣).

قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَالْوَاقِعَةُ: الْقِيَامَةُ، وَكُلُّ آتٍ يُتَوَقَّعُ، [يُقَالُ] (١) لَهُ إِذَا كَانَ: قَدْ وَقَعَ، وَالْمَرَادُ بِهَا هَاهُنَا: النَّفْخَةُ فِي الصُّورِ لِقِيَامِ السَّاعَةِ. ﴿لَيْسَ لَوْقَعْنَهَا﴾؛ أَي: لِمَجِيئِهَا وَظُهُورِهَا ﴿كَاذِبَةٌ﴾؛ أَي: كَذِبٌ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١] أَي: لَغَوًا.

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَ«كَاذِبَةٌ»: مُضَدُّ؛ كَقَوْلِكَ: عَافَاهُ اللَّهُ عَافِيَةً، وَكَذَبَ كَاذِبَةً، فَهَذِهِ (٢) أَسْمَاءٌ فِي مَوْضِعِ الْمَصَادِرِ (٣).

وَفِي مَعْنَى الْكَلَامِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: لَا رَجْعَةَ لَهَا وَلَا ارْتِدَادًا، قَالَهُ قَتَادَةُ.

وَالثَّانِي: لَيْسَ الْإِخْبَارُ عَنْ وَقُوعِهَا كَذِبًا، حَكَاهُ الْمَاورِدِيُّ (٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَافِضَةٌ﴾؛ أَي: هِيَ خَافِضَةٌ ﴿رَافِعَةٌ﴾ وَقَرَأَ أَبُو رَزِينٍ (٥)، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ أَبِي عُبَلَةَ، وَأَبُو حِنَوَةَ، وَالْيَزِيدِيُّ فِي اخْتِيَارِهِ: «خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ» بِالنَّصْبِ فِيهِمَا (٦).

(١) مِنْ (س).

(٢) فِي (س): فَهِيَ.

(٣) "مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ" لِلزَّجَّاجِ ١٠٧/٥.

(٤) "النَّكَتُ وَالْعَيُونُ" لِلْمَاورِدِيِّ ٤٤٦/٥.

(٥) فِي الْأَصْلِ، وَ(ر): وَأَبُو الْمُتَوَكَّلِ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

(٦) هِيَ قِرَاءَةُ شَاذَةٍ. يَنْظُرُ: "مَخْتَصَرُ فِي شَوَازِ الْقُرْآنِ" لِابْنِ خَالَوَيْهِ ص ١٥١، وَ"الْمَحْتَسَبُ"

لِابْنِ جَنِّي ٣٠٧/٢، وَ"الْكَامِلُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ وَالْأَرْبَعِينَ الزَّائِدَةِ عَلَيْهَا" لِأَبِي الْقَاسِمِ الْهَنْدَلِيِّ الْيَشْكُرِيِّ ص ٦٤٤.

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: أنها خفَضَتْ فأَسْمَعَتِ القَرِيبَ، ورفَعَتْ فأَسْمَعَتِ البَعِيدَ، رَوَاهُ العَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١). وهذا يدلُّ عَلَى أَنَّ المَرَادَ بِالوَاقِعَةِ: صِيحَةُ الْقِيَامَةِ.

والثاني: أنها خَفَضَتْ نَاسًا، وَرَفَعَتْ آخَرِينَ، رَوَاهُ عِكْرَمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢). قَالَ المَفْسَّرُونَ: تَخْفِضُ أَقْوَامًا إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ فِي النَّارِ، وَتَرْفَعُ أَقْوَامًا إِلَى عَلِيِّينَ فِي الْجَنَّةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾؛ أَي: حُرِّكَتْ حَرَكَةً شَدِيدَةً وَزُلْزِلَتْ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَرْتَجُّ حَتَّى يَتَهَدَّمَ مَا عَلَيْهَا مِنْ بِنَاءٍ، وَتَتَفَتَّتْ مَا عَلَيْهَا مِنْ جَبَلٍ.

وفي اِرْتِجَاجِهَا قولان:

أحدهما: أَنَّهُ لِإِمَاتَةِ مَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْأَحْيَاءِ.

والثاني: لِإِخْرَاجِ مَنْ فِي بَطْنِهَا مِنَ الْمَوْتَى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: فَتَّتْ فَتًّا، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٣)، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ.

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٩١ / ٢٣، وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٤ / ٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" ٥١٤ / ٧.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٢ / ٢٣) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: فَتَّتْ حَتَّى صَارَتْ كَالدَّقِيقِ وَالسَّوِيقِ الْمُبْسُوسِ^(١).
وَالثَّانِي: لُتَّتْ، قَالَه قَتَادَةُ.

وَقَالَ الرَّجَّاجُ: خُلِطَتْ وَلُتَّتْ، قَالَ الشَّاعِرُ [مِنْ الرَّجَزِ]:

لَا تَحْزَبُوا خُبْرًا وَبُسًا بَسًا^(٢)

[٧٦١/ب] وَفِي «الْهَبَاءِ» أَقْوَالٌ قَدْ ذَكَرْنَا هَاهُنَا فِي «الْفُرْقَانِ»، وَذَكَرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنَّ الْهَبَاءَ الْمُنْبَثَّ: مَا سَطَعَ مِنْ سَنَابِكِ الْخَيْلِ، وَهُوَ مِنْ «الْهَبُوءَةِ» وَالْهَبُوءَةُ: الْغُبَارُ^(٣).
وَالْمَعْنَى: كَانَتْ تُرَابًا مُتَشَتِّرًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾؛ أَي: أَضْنَفًا ﴿ثَلَاثَةً﴾.

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ وَفِيهِمْ ثَمَانِيَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى يَمِينِ آدَمَ حِينَ أُخْرِجَتْ ذُرِّيَّتُهُ مِنْ صُلْبِهِ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمُ الَّذِينَ يُعْطُونَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، قَالَه الضَّحَّاكُ، وَالْقُرْظِيُّ.

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة (ص: ٤٤٥).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٠٨/٥، والبيت من مشطور الرجز، وبعده:

مَلَسَا بِذَوْدِ الْحَلِيِّ مَلَسَا

أَوْ: وَلَا تَطِيلَا بِمَنَاخِ حَبَسَا

ينظر: "معاني القرآن" للفرأء ١٢١/٣، و"مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢٤٨/٢، و"تفسير الطبري" ٩١/٢٣، و"معجم ديوان الأدب" لإسحاق بن إبراهيم الفارابي ١٢٤/٣، و"الصحاح" للجوهري ٩٠٨/٣.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٣١٢.

والثالث: أَنَّهُمُ [الَّذِينَ] ^(١) كَانُوا مَيَّامِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ؛ أَي: مُبَارَكِينَ، قَالَه الْحَسَنُ، وَالرَّبِيعُ.

والرَّابِع: أَنَّهُمُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ شَقِّ آدَمَ الْأَيْمَنِ، قَالَه زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ.

والخَامِس: أَنَّهُمُ الَّذِينَ مُنَزَّلَتْهُمْ عَلَى الْيَمِينِ، قَالَه مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ.

وَالسَّادِس: أَنَّهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، قَالَه السُّدِّيُّ.

وَالسَّابِع: أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْمُنْزَلَةِ الرَّفِيعَةِ، قَالَه الرَّجَّاجُ ^(٢).

وَالثَّامِن: أَنَّهُمُ الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَى الْجَنَّةِ، ذَكَرَهُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيُّ ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَحْتَبُّ الْيَمِينَ﴾.

قَالَ الْفَرَاءُ: عَجَبَ نَبِيَّ ﷺ مِنْهُمْ؛ وَالْمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ هُمْ؟ ^(٤).

قَالَ الرَّجَّاجُ: وَهَذَا اللَّفْظُ فِي الْعَرَبِيَّةِ مَجْرَاهُ مَجْرَى التَّعْجُّبِ، وَمَجْرَاهُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَخَاطَبَةِ الْعِبَادِ مَا يَعْظُمُ بِهِ الشَّأْنُ عِنْدَهُمْ، وَمِثْلُهُ: ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٢] ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٢] ^(٥).

(١) من (س).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٠٩/٥.

(٣) هو الواحدي: "البيسط" ٢١/٢١٧، "الوسيط" ٤/٢٣٢.

(٤) "معاني القرآن" للفرأء ٣/١٢٢.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٠٨/٥ - ١٠٩.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَمِثْلُهُ أَنْ يَقُولَ^(١): زَيْدٌ مَا زَيْدٌ؛ أَيْ: أَيْ رَجُلٌ هُوَ^(٢).

﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَةِ﴾ مَا أَصْحَابُ الشَّامِ^(٣)، وَالْعَرَبُ تُسَمَّى الْيَدَ الْيُسْرَى: الشُّؤْمَى، وَالْجَانِبَ الْإَيْسَرَ: الْأَشْأَمَ، وَمِنْهُ قِيلَ: الْيُمْنُ وَالشُّؤْمُ، فَالْيُمْنُ: كَأَنَّهُ مَا جَاءَ عَنِ الْيَمِينِ، وَالشُّؤْمُ مَا جَاءَ عَنِ الشَّامِ، وَمِنْهُ سُمِّيَتْ «الْيَمْنُ» وَ«الشَّأْمُ»؛ لِأَنَّهَا عَنِ يَمِينِ الْكُفَّةِ وَشَمَاهَا.

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: أَصْحَابُ الْمِيْمَةِ: هُمُ الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الْيَمِينِ، وَيُعْطَوْنَ كُتُبُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ؛ وَتَفْسِيرُ أَصْحَابِ الْمَشْأَمَةِ عَلَى ضِدِّ [تَفْسِيرِ]^(٤) أَصْحَابِ الْمِيْمَةِ سَوَاءٌ؛ وَالْمَعْنَى: أَيْ قَوْمٍ [هُمُ]^(٥)؟ مَاذَا أُعِدَّ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ؟.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ فِيهِمْ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمُ السَّابِقُونَ إِلَى الْإِيمَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمُ الَّذِينَ صَلَّوْا إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ، قَالَهُ ابْنُ سِيرِينَ.

وَالثَّالِثُ: أَهْلُ الْقُرْآنِ، قَالَهُ كَعْبٌ.

وَالرَّابِعُ: الْأَنْبِيَاءُ، قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ.

وَالْخَامِسُ: السَّابِقُونَ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَإِلَى الْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَهُ عُثْمَانُ

(١) فِي (س): تَقُولُ.

(٢) "غَرِيبُ الْقُرْآنِ" لِابْنِ قُتَيْبَةَ ص ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٣) فِي (س): مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ.

(٤) مِنْ (س).

(٥) مِنْ (س).

ابن أبي سودة.

وفي إعادة ذكرهم قولان:

أحدهما: أن ذلك للتأكيد.

والثاني: أن المعنى: السابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله، ذكرهما الزجاج^(١).

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: يغني عن الله في ظل عرشه وجواره.

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ (١٩) وَفَلَاحَةٌ مِمَّا يَنْخَرِطُونَ (٢٠) وَلَحِيرٌ مِمَّا يَسْتَهْوُونَ (٢١) وَخُورٌ عَيْنٍ (٢٢) كَأَمْثَلِ الثُّلُوبِ الْأَمْكُونِ (٢٣) جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ١٣ - ٢٦].

قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ الثلاثة: الجماعة غير محصورة العدد.

وفي «الأولين» و«الآخرين» هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أن «الأولين»: الذين كانوا من [زمن] (٢) آدم إلى زمن (٣) نبينا ﷺ، و«الآخرين»: هذه الأمة.

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٠٩/٥.

(٢) من (س).

(٣) في (ر): زمان.

والثاني: أَنَّ «الأولين»: أصحاب رسول الله ﷺ، و«الآخرين»: التابعون.

والثالث: أَنَّ «الأولين» و«الآخرين»: مِنْ أصحاب نبينا [محمد] ﷺ.

فعلى الأول يكون المعنى: أَنَّ الأولين السابقين^(١): جماعة مِنَ الأمم المتقدمة الَّذِينَ سَبَقُوا بالتَّضَدُّيقِ لَأَنْبِيَائِهِمْ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مُؤْمِنًا، وَقَلِيلٌ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ عَايَنُوا الْأَنْبِيَاءَ أَجْمَعِينَ وَصَدَّقُوا بِهِمْ أَكْثَرُ مَنْ عَايَنَ نَبِيَّنَا ﷺ وَصَدَّقَ بِهِ.

وعلى الثاني: أَنَّ السَّابِقِينَ: جماعة مِنْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، وَهُمْ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَلِيلٌ مِنَ التَّابِعِينَ وَهُمْ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ.

وعلى الثالث: أَنَّ السَّابِقِينَ^(٢): الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَلِيلٌ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ لِعَجْزِ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنْ يَلْحَقُوا الْأَوَّلِينَ، فَقَلِيلٌ مِنْهُمْ مَنْ يُقَارِبُهُمْ فِي السَّبْقِ.

وَأَمَّا «الموضونة»: فَقَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ: هِيَ الْمُنْسُوجَةُ، كَأَنَّ بَعْضَهَا أُدْخِلَ فِي بَعْضٍ، أَوْ نُضِدَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلدَّرْعِ: مَوْضُونَةٌ، وَمِنْهُ قِيلَ: وَضِئُ النَّاقَةِ، وَهُوَ بَطَانٌ مِنْ سُيُورٍ يَدْخُلُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ^(٣).

(١) من (س).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ر): السابقون.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٤٦.



قَالَ الْفَرَاءُ: سَمِعْتُ بَعْضَ الْعَرَبِ يَقُولُ: الْأَجْرُ مَوْضُونٌ بِغُضِّهِ عَلَى بَعْضٍ، أَي: مُشْرَجٌ^(١).

وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِي مَعْنَى «مَوْضُونَةٍ» قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَزْمُولَةٌ بِالذَّهَبِ، رَوَاهُ مُجَاهِدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢). وَقَالَ عِكْرَمَةُ: مُشَبَّكَةٌ بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ^(٣). وَهَذَا مَعْنَى مَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ، وَبِهِ قَالَ الْأَكْثَرُونَ.

وَالثَّانِي: مَضْفُوفَةٌ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٤).

وَمَا بَعْدَ هَذَا قَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَدَنْ تُحْلَدُونَ﴾.

الْوَلَدَانِ: الْغُلَامَانِ. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: هَؤُلَاءِ أَطْفَالٌ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَسَنَاتٌ فَيُجْزَوْنَ بِهَا، وَلَا سَيِّئَاتٌ فَيُعَاقَبُونَ عَلَيْهَا، فَوَضِعُوا بِهَذَا الْمَوْضِعَ^(٥).

(١) "معاني القرآن" للفراء ١٢٢/٣.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٩٩/٢٣، والبيهقي في "البعث والنشور" (٣٠٢، ٢٩٤)، وزاد السيوطي في "الدر المنثور" ٨/٨ عزوه إلى سعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٩٩/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري (١٠٠/٢٣) من طريق علي بن أبي طلحة به، والبيهقي في البعث والنشور (٣٤٧) من طريق عبد الله بن صالح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٥٥/٦) إلى ابن المنذر.

(٥) أخرجه عبد بن حميد كما في "الدر المنثور" ٩/٨.

وفي المخلدين قولان:

أحدهما: أَنَّهُ مِنَ الْخُلْدِ؛ وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ لِلْبَقَاءِ لَا يَتَغَيَّرُونَ، وَهُمْ عَلَى سَنٍّ وَاحِدٍ.

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلْإِنْسَانِ إِذَا كَبُرَ وَلَمْ يَشْمَطْ: أَوْ لَمْ تَذْهَبْ أَسْنَانُهُ عَنِ الْكِبَرِ: إِنَّهُ لُمُخْلَدٌ^(١). هَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمُ الْمُقَرَّطُونَ، وَيُقَالُ: الْمُسَوَّرُونَ، ذَكَرَهُ الْفَرَّاءُ، وَابْنُ قُتَيْبَةَ^(٢)، وَأَنْشَدُوا فِي ذَلِكَ [مِنَ الْكَامِلِ]:

وَمُخْلَدَاتٍ بِاللُّجَيْنِ كَأَنَّمَا أَعْجَازُهُنَّ أَقَاوِرُ الْكُتُبَانِ^(٣)

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا كُذِّبُوا وَابَارِقُوا﴾ الْكُوبُ: إِنَاءٌ لَا عُروَةَ لَهُ وَلَا خُرْطُومَ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي الزُّخْرَفِ [آيَةَ: ٧٢]. وَالْأَبَارِيقُ: آيَةُ لَهَا عُرَى وَخَرَاطِيمُ.

وَقَرَأْتُ عَلَى شَيْخِنَا أَبِي مَنْصُورٍ اللَّغَوِيِّ^(٤) قَالَ: الْإِبْرِيقُ: فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ، وَتَرْجُمَتُهُ مِنَ الْفَارَسِيَّةِ أَحَدُ شَيْئَيْنِ؛ إِمَّا أَنْ [يَكُونَ]^(٥): طَرِيقُ الْمَاءِ،

(١) فِي (ر): إِنَّهُمْ الْمَخْلُدُونَ.

(٢) "مَعَانِي الْقُرْآنَ" لِلْفَرَّاءِ ٣/ ١٢٢ - ١٢٣.

(٣) "مَعَانِي الْقُرْآنَ" لِلْفَرَّاءِ ٣/ ١٢٣، وَ"غَرِيبُ الْقُرْآنَ" لِابْنِ قُتَيْبَةَ ص ٤٤٧.

(٤) الْبَيْتُ مِنَ الْكَامِلِ التَّامِّ، وَهُوَ بِلَا نِسْبَةٍ فِي: "غَرِيبُ الْقُرْآنَ" لِابْنِ قُتَيْبَةَ ص ٤٤٧، وَ"تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ" ٢٤/ ١١٠، وَ"الْإِسْتِشْقَاقُ" لِابْنِ دُرَيْدٍ ١٦٣، وَفِي "مَعْجَمِ دِيوَانَ الْأَدَبِ" لِلْفَارَابِيِّ قَالَ: وَأَنْشَدَ الْكَلْبِيَّ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ.

(٥) هُوَ الْجَوَالِيقِيُّ، وَكَلَامُهُ هَذَا فِي "الْمُعَرَّبِ مِنَ الْكَلَامِ الْأَعْجَمِيِّ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ" ص ١٨.

(٦) مِنْ (ر).

أَوْ: صَبَّ الْمَاءِ عَلَى هَيْئَةٍ، وَقَدْ تَكَلَّمْتُ بِهِ الْعَرَبُ قَدِيمًا، قَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ [مِنَ الْخَفِيفِ]:

وَدَعَا بِالصَّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ^(١)

وباقِي الآيات فِي الصَّافَاتِ [آية: ٤٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: لَا يَلْحَقُهُمُ الصُّدَاعُ الَّذِي يَلْحَقُ شَارِبِي خَمْرِ الدُّنْيَا. وَ«عَنْهَا» كِنَايَةٌ عَنِ الْكَأْسِ الْمَذْكُورِ، وَالْمَرَادُ بِهَا: الْخَمْرُ، وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ.

وَالثَّانِي: لَا يَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، مِنْ قَوْلِكَ: صَدَعْتُهُ فَاَنْصَدَعَ، حَكَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ^(٢).

قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يُزِفُونَ﴾ مُفَسَّرٌ فِي الصَّافَاتِ [آية: ٤٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَتَا يَتَخَيَّرُونَ﴾؛ أَي: يَخْتَارُونَ، تَقُولُ: قَدْ^(٣) تَخَيَّرْتُ الشَّيْءَ: إِذَا أَخَذْتَ خَيْرَهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَحِمٍ طَيْرٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِهِ الطَّيْرُ، فَيَصِيرُ مِمَثْلًا بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى مَا يَشْتَهِي^(٤)^(٥).

(١) البيت من الخفيف الثام، ونسبه لعدي بن زيد: أبو الفرج الأصبهاني في "الأغاني" ٨٥ / ٦، والتنوخى في "الفرج بعد الشدة" ٢٨٨ / ٤، والمعافى بن زكريا النهرواني في "الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي" ص ٥٩٨.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٤٧.

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (ر)، و(س): اشتهى.

(٥) ذكره الواحدي في "البيسط" ٢١ / ٢٢٣، والبغوي في "تفسيره" ٧ / ٥.

وقال مُغِيثُ بْنُ سُمَيٍّ: تَقَعُ^(١) عَلَى أَغْصَانِ شَجَرَةٍ طُوبَى طَيْرٌ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ، فَإِذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ طَيْرًا دَعَاهُ، فَيَجِيءُ حَتَّى يَقَعَ عَلَى خَوَانِهِ، فَيَأْكُلُ مِنْ أَحَدِ جَانِبَيْهِ قَدِيدًا وَالْآخَرَ شِوَاءً، ثُمَّ يَعُودُ طَيْرًا فَيَطِيرُ فَيَذْهَبُ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحُورٌ عَيْنٌ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وَحُورٌ عَيْنٌ» بالرفع فيهما^(٣).

وقرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، والمفضل عن عاصم: بالخفض [٧٦٢/ب] فيهما^(٤).

وقرأ أَبِي بَنٍ كَعْبٌ، وعائشة، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: «وَحُورًا عَيْنًا» بالنصب فيهما^(٥).

قال الزَّجَّاجُ: والذين رفعوا كرهوا الخفض؛ لَأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾، قال^(٦): والخور ليس مما يطاف به، ولكنه مخفوض

(١) في (س): يقع.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ١٦/٤٣٨ - ٤٣٩.

(٣) في (ر): فيهم.

(٤) كلتا القراءتين سبعة متواترة. ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٢٢، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/٢٥٥.

(٥) هي قراءة شاذة. ينظر: "الكتاب" لسيبويه ١/٩٥، و"معاني القرآن" للقراء ٣/١٢٤، و"إعراب القرآن" للنحاس ٤/٢١٨، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ١٥١، و"المحتسب" لابن جني ٢/٧٨، ٣٠٩.

(٦) في (ر)، و(س): قالوا.

على غير ما ذهب إليه هؤلاء؛ لأنَّ المعنى: يطوف عليهم ولدان مخلدون
بأكواب ينعمون بها، وكذلك ينعمون بلحم طير، فذلك ينعمون بحور
عين، والرفع أحسن.

والمعنى: ولهم حور عين؛ ومن قرأ: «وحورًا عينا» حمله على المعنى؛
لأنَّ المعنى: يُعطون هذه الأشياء ويُعطون حورًا عينا، إلا أنها تخالف
المصحف فتكره^(١).

ومعنى ﴿كَأَمْثَلِ اللَّؤْلُؤِ﴾؛ أي: صفاؤه وتلاؤه كصفاء اللؤلؤ وتلاؤه.
والمكنون: الذي لم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال، فهن
كاللؤلؤ حين يخرج من صدفه.

﴿جَزَاءٌ﴾: منصوب مفعول له؛ والمعنى: يفعل بهم ذلك جزاء بأعمالهم،
ويجوز أن يكون منصوبًا على أنه مصدر؛ لأنَّ معنى «يطوف عليهم ولدان
مخلدون»: يجازون جزاء بأعمالهم؛ وأكثر النحويين على هذا الوجه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ قد فسرنا معنى اللغو والسلام في
سورة مريم ومعنى التأثيم في الطور، ومعنى ﴿مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ﴾ في أول
هذه السورة [الواقعة: ٩].

فإن قيل: التأثيم لا يسمع فكيف ذكره مع المسموع؟

فالجواب: أنَّ العرب يتبعون آخر الكلام أوله، وإن لم يحسن في
أحدهما ما يحسن في الآخر، فيقولون: أكلت خبزًا ولبنًا، واللبن لا يؤكل،

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١١١/٥.

إنما حسن هذا؛ لأنه كان مع ما يؤكل، قال الفراء: أنشدني بعض العرب [من الوافر]:

إِذَا مَا الْغَايَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا وَرَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا^(١)

قال: والعين لا تزجج إنما تكحل، فردها على الحاجب؛ لأن المعنى يعرف، وأنشدني آخر [من مجزوء الكامل]:

وَلَقَيْتُ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحْمَا^(٢)

وأنشدني [آخر]^(٣) [من الرجز]:

عَلَفَتْهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا^(٤)

(١) البيت من الوافر التام، قال العيني في "المقاصد النحوية" ٣/ ١٠٧٤، ٤/ ١٦٥٦: قائله

هو الراعي، واسمه عبيد. والذي في "ديوان الراعي النميري" ص ٢٦٩:

وَهَرَّةٌ نِسْوَةٌ مِنْ حَيٍّ صِدْقٍ يُرَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا

وهو دون نسبة في: "شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات" لأبي بكر الأنباري

ص ١٤٨، و"تهذيب اللغة" للأزهري ١٠/ ٢٤٤، و"غريب الحديث" للخطابي ١/ ٣٣٠،

و"الخصائص" لابن جني ٢/ ٤٣٤.

(٢) البيت من الكامل المجزوء، وهو دون نسبة في: "الزاهر في معاني كلمات الناس" لأبي

بكر الأنباري ١/ ٥٢، و"غريب الحديث" للخطابي ١/ ٣٣٠، وغيرهما.

وقد نسب له عبد الله بن الزبيري: أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي في "إيضاح شواهد

الإيضاح" ١/ ٢٤٥، وفيه الشطر الأول:

يَالَيْتَ زَوْجَكَ قَدْ غَدَا ***

(٣) من (س).

(٤) هذا صدر بيت من الرجز التام، وعجزه: حَتَّى شَتَّتْ هَمَلَةً عَيْنَاهَا. قال الفراء في

"معاني القرآن" ١/ ١٤: وأنشدني بعض بني أسد يصف فرسه. وفي ٣/ ١٢٤: وأنشدني =

والماء لا يعلف وإنما يشرب، فجعله نابعا للتين^(١).

قال الفراء: وهذا هو وجه قراءة من قرأ: «وحوور عين» بالخفض،
لإتباع آخر الكلام أوله، وهو وجه العربية^(٢).

﴿وَأَصْحَبُ الِّيمِينِ مَا أَصْحَبُ الِّيمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظَلِّ
مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَنَكْهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤)
إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنِشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَهُمْ أَتْبَارًا (٣٦) عُرْبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الِّيمِينِ (٣٨) ثَلَاثَةٌ
مِّنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (٤٠)﴾ [الواقعة: ٢٧ - ٤٠].

وقد شرحنا معنى قوله: ﴿وَأَصْحَبُ الِّيمِينِ﴾ في قوله: ﴿فَأَصْحَبُ
الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٩]، وقد روي عن عليٍّ ؑ أنه قال: أصحاب اليمين:
أطفال المؤمنين^(٣).

قوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾.

سبب نزولها: أن المسلمين نظروا إلى وجِّ، وهو وادٍ بالطائف مخصب.
فأعجبهم سدره، فقالوا: يا ليت لنا مثل هذا؟ فنزلت هذه الآية، قاله

= بعض بني دبير. ثم ذكره بتمامه في الموضعين. وقال العيني في "المقاصد النحوية"
١٠٨١/٣: هذا رجز مشهور بين القوم، ولم أر أحداً عزاه إلى راجزه. وهو دون نسبة في:
"شرح كتاب سيبويه" لأبي سعيد السيرافي ٧٠/١، و"كتاب الشعر" لأبي علي الفارسي
ص ٥٣٣، و"الخصائص" لابن جني ٤٣٣/٢.

(١) في (ر): للتين.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ١٢٣/٣ - ١٢٤.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ١٠٩/٢٣.

أبو العالية، والضَّحَّاك^(١).

وفي المخضود ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الذي لا شوك فيه، رواه أبو طلحة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقسامة بن زهير.

قال ابن قتيبة: كأنه خضد شوكه؛ أي: قطع^(٢)، ومنه قول النبي ﷺ في المدينة: «لَا يُخَضَّدُ شَوْكُهَا»^(٣).

والثاني: أنه الموقَّرُ حَمَلًا، رواه العوفي عن ابن عباس^(٤)، وبه قال مجاهد، والضَّحَّاك.

والثالث: أنه الموقَّرُ الَّذِي لا شوك فيه، ذكره قتادة.

وفي الطَّلَح قولان:

أحدهما: أنه الموز، قاله علي، وابن عباس، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، والحسن، وعطاء، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة.

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩ / ٢٠٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٢٢).

(٢) في (س): قلع.

(٣) ذكره بهذا اللفظ ابن قتيبة في "غريب الحديث" ١ / ٣٩٣، وهو في صحيح البخاري (٤٣١٣) من حديث مجاهد مرسلاً بلفظ: وَلَا يُخَضَّدُ شَوْكُهَا. قال الحافظ في "فتح الباري" ٤ / ٤٤: وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ لِعُمَرَ بْنِ شَبَّةٍ بِلَفْظٍ: لَا يُخَضَّدُ. بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ بَدَلُ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ، وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى مَعْنَاهُ فَإِنَّ أَضْلَ الْخَضْدِ الْكَسْرُ وَتُسْتَعْمَلُ فِي الْقَطْعِ.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣ / ١١١)، وانظر: تفسير مجاهد (ص: ٦٤١).



والثاني: أنه شجر عظام كثير^(١) الشوك.

[أ/٧٦٣]

قال أبو عبيدة: هذا هو الطَّلح عند العرب، قال الحادي [من مشطور الرجز]:

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وَقَالَ
عَدَا تَرَيْنَ الطَّلَحَ وَالْجِبَالَ^(٢)

فإن قيل: ما الفائدة في الطَّلح؟

فالجواب: أن له نورًا وريحًا طيبة، فقد وعدهم ما يعرفون ويميلون إليه، وإن لم يقع التساوي بينه وبين ما في الدنيا.

وقال مجاهد: كانوا يعجبون بـ «وَج» وظلاله من طلحه وسدره^(٣).

فأما المنضود: فقال ابن قتيبة: هو الذي قد نضد بالحمل أو بالورق، والحمل من أوله إلى آخره، فليس له ساق بارزة. وقال مسروق: شجر الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها^(٤).

(١) في (س): كبار.

(٢) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/٢٥٠، وهذان بيتان من الرجز المشطور، قال الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/٢٠٦: قال بعض الحداة.

(٣) "تفسير مجاهد" ص ٦٤٢، وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/١١٣، ١١٤، والبيهقي في "البعث والنشور" (٢٦٦)، وزاد السيوطي في "الدر المنثور" ٨/١٢ عزوه إلى عبد بن حميد.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة في ص ٤٤٨، وقول مسروق لم أقف عليه عند غيره.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْشُوا فِي الْأَرْضِ مَشْيًا يُخَالِفَ بِحُدُودِهِ الْمَلَائِكَةُ﴾ أَي: دَائِمٌ لَا تَنْسَخُهُ الشَّمْسُ.

﴿وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ﴾ أَي: جَارٌ غَيْرٌ مُنْقَطِعٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: لَا مَقْطُوعَةٌ فِي حِينَ دُونَ حِينَ، وَلَا مَمْنُوعَةٌ بِالْحَيْطَانِ وَالنَّوَاطِيرِ، إِنَّمَا هِيَ مُطْلَقَةٌ لِمَنْ أَرَادَهَا، هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنِ، وَمَجَاهِدٍ، وَقَتَادَةَ.

وَلِخَصِّهِ بَعْضُهُمْ فَقَالَ: لَا مَقْطُوعَةٌ بِالْأَزْمَانِ، وَلَا مَمْنُوعَةٌ بِالْأَثْمَانِ.

وَالثَّانِي: لَا تَنْقَطِعُ إِذَا جَنَيْتَ، وَلَا تَمْنَعُ مَنْ أَحَدٌ إِذَا أُرِيدَتْ، رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالثَّلَاثُ: لَا مَقْطُوعَةٌ بِالْفَنَاءِ، وَلَا مَمْنُوعَةٌ بِالْفُسَادِ، ذَكَرَهُ الْمَوَارِدِيُّ^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفُتْرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ فِيهَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا الْحَشَايَا الْمَفْرُوشَةُ لِلْجُلُوسِ وَالنُّومِ.

وَفِي رَفْعِهَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا مَرْفُوعَةٌ فَوْقَ السَّرَرِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ رَفْعَهَا: زِيَادَةُ حَشْوِهَا لِيَطِيبَ الْإِسْتِمَاعُ بِهَا.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ [بِالْفَرَاشِ]^(٢): النِّسَاءُ؛ وَالْعَرَبُ تَسْمِي الْمَرْأَةَ: فَرَاشًا

وَأَزَارًا وَلِبَاسًا.

(١) النكت والعيون (٥ / ٤٥٤).

(٢) فِي الْأَصْلِ: بِالْفَرَشِ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ (ر)، وَ(س).

وفي معنى رفعهن ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهن رفعن بالجمال على نساء أهل الدنيا.

والثاني: رفعن عن الأدناس.

والثالث: في [القلوب] ^(١) لشدة الميل إليهن.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾ يعني النساء.

قال ابن قتيبة: اكتفى بذكر الفرش؛ لأنها محل النساء عن ذكرهن ^(٢).

وفي المشار إليهن قولان:

أحدهما: أنهن نساء أهل الدنيا المؤمنات.

ثم في إنشائهن قولان:

أحدهما: أنه إنشاؤهن من القبور، قاله ابن عباس.

والثاني: إعادتهن بعد الشمط والكبر أبكارًا صغارًا، قاله الضحاك.

والثاني: أنهن الحور العين، وإنشاؤهن: إيجادهن عن غير ولادة، قاله

الزجاج ^(٣).

والصواب أن يقال: إن الإنشاء عمهن كلهن، فالحور أنشئن ابتداءً،

والمؤمنات أنشئن بالإعادة وتغيير الصفات؛ وقد روى أنس بن مالك عن

(١) في الأصل: القلب، والمثبت من (ر)، و(س).

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٤٩.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١١٢/٥.

النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ مِنَ الْمُنْشَأَتِ اللَّاتِي كُنَّ فِي الدُّنْيَا عَجَائِزَ عُمْشًا رُمُصًا»^(١).

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾؛ أي: عذارى. وقال ابن عباس: لا يأتيها زوجها إلا وجدها بكرًا^(٢).

قوله تعالى: ﴿عُرُبًا﴾ قرأ الجمهور: بضم الراء. وقرأ حمزة، وخلف: بإسكان الراء^(٣)؛ قال ابن جرير: هي لغة تميم وبكر^(٤).

وللمفسرين في معنى «عربًا» خمسة أقوال:

أحدها: أئمن المتحبيات إلى أزواجهن، رواه العوفي عن ابن عباس^(٥)،

(١) أخرجه الترمذي في "سننه" (٣٢٩٦)، والطبري في "تفسيره" ١١٩/٢٣، وابن أبي حاتم في "تفسيره" ٣٣٣١/١٠، وابن أبي الدنيا في "صفة الجنة" (٢٨٤)، وأبو نعيم في "صفة الجنة" ٢٢١/٢ - ٢٢٢ (٣٩٠)، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٢١١/٩، والبغوي في "معالم التنزيل" ١٠/٥ - ١١، قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

وضعه الألباني في "السلسلة الضعيفة" (٣٢٠٤).

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ١٢٠/٢٣ بنحوه.

(٣) قراءة متواترة، ينظر: "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري ٢/٢١٦، ٣٨٣، "إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" للدمياطي ص ٥٣٠.

(٤) "تفسير الطبري" ١٢٤/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢١/٢٣) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٥٨/٦) إلى ابن جرير.



وبه قال سعيد بن جبير، وابن قتيبة^(١)، والزجاج^(٢).

والثاني: أنهن العواشق، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٣)،
وبه قال الحسن، وقتادة، ومقاتل^(٤)، والمبرد؛ وعن مجاهد كالقولين.

والثالث: الحسنة التبعل - التزين للزوج - رواه أبو صالح عن ابن
عباس، وبه قال أبو عبيدة^(٥).

والرابع: الغنجات، قاله عكرمة.

والخامس: الحسنة الكلام، قاله ابن زيد.

فأما الأتراب فقد ذكرناهن في "ص".

[٧٦٣/ب]

قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ هذا من نعت
أصحاب اليمين. وفي الأولين والآخرين خلاف، وقد سبق شرحه، وقد
زعم مقاتل^(٦) أنه لما نزلت الآية الأولى، وهي قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾
وجد المؤمنون من ذلك وجداً شديداً حتى أنزلت: ﴿وَلَا تُلَاقُوا الْقَوْمَ﴾

(١) غريب القرآن (ص: ٤٤٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ١١٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣ / ١٢١) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه
البيهقي في البعث (٣٧٧) من طريق أبي صالح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور
(٦ / ١٥٨) إلى ابن المنذر.

(٤) تفسير مقاتل (٤ / ٢١٦).

(٥) مجاز القرآن (٢ / ٢٥١).

(٦) تفسير مقاتل (٤ / ٢١٦).

فنسختها^(١). وروي عن عروة بن رويم نحو هذا المعنى^(٢).

قلت: وأدعاء النسخ هاهنا لا وجه له لثلاثة أوجه:

أحدها: أن علماء الناسخ والمنسوخ لم يوافقوا على هذا.

والثاني: أن الكلام في الآيتين خبر، والخبر لا يدخله النسخ، فهو هاهنا لا وجه له.

والثالث: أن الـثـلة بمعنى الفرقة والفئة.

قال الزَّجَّاج: اشتقاقهما من القطعة، والثل: الكسر والقطع. فعلى هذا قد يجوز أن تكون الـثـلة في معنى القليل^(٣).

﴿وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ (١١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (١٢) وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ (١٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (١٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (١٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (١٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٨) قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (١٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٢٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْتَا الضَّالِّينَ الْمُكَذِّبِينَ (٢١) لَا يَكُونُ مِن شَجَرٍ مِّنْ زُفُورٍ (٢٢) فَمَا لَوْ أَنَّ مِنَ الْبَطُونِ (٢٣) فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ (٢٤) فَشَرِبُوا شَرِبَ الْهَيْمِ (٢٥) هَذَا نَزَّلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٤١ - ٥٦].

(١) ذكره أبو القاسم هبة الله بن سلامة في "الناسخ والمنسوخ" ص ١٧٢، وابن حزم في "الناسخ والمنسوخ" ص ٥٩، والسخاوي في "جمال القراء" ٨٥٢/٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" ١٨١/١٤، والبغوي في "تفسيره" ١٣/٥.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٠٩/٥.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَصْحَبُ الشَّمَالَ﴾ قَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ بِمَعْنَى التَّعَجُّبِ مِنْ حَالِهِمْ؛
وَالْمَعْنَى: مَا لَهُمْ، وَمَا أَعْدَّ لَهُمْ مِنَ الشَّرِّ؟ ثُمَّ بَيْنَ [لَهُمْ] ^(١) سَوْءَ مُنْقَلِبِهِمْ؛
فَقَالَ: ﴿فِي سَمُومٍ﴾، قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: [هُوَ] ^(٢) حَرُّ النَّارِ ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَزَلَّلَ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ظِلٌّ مِنْ دُخَانٍ ^(٤).
قَالَ الْفَرَّاءُ: الْيَحْمُومُ: الدُّخَانُ الْأَسْوَدُ ^(٥).

﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾ فُوجِهَ الْكَلَامُ الْخَفْضُ تَبَعًا لِمَا قَبْلَهُ، وَمِثْلُهُ: ﴿زَيْتُونَةٌ
لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾ [النور: ٣٥]، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَفَكَهْمٌ كَثِيرٌ﴾ ^(٦) لَا مَقْطُوعَةٌ
وَلَا مَتْنُوعَةٌ، وَلَوْ رَفَعْتَ مَا بَعْدَ «لَا» كَانَ صَوَابًا، وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ الْكَرِيمَ
تَابِعًا لِلْكَلِّ شَيْءٍ نَفَتْ عَنْهُ فِعْلًا يَنْوِي بِهِ الذَّمَّ، فَتَقُولُ: مَا هَذِهِ الدَّارُ
بِوَاسِعَةٍ وَلَا كَرِيمَةٍ، وَمَا هَذَا بِسَمِينٍ وَلَا كَرِيمٍ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا بَارِدٌ الْمُدْخَلُ وَلَا كَرِيمٌ الْمَنْظَرُ ^(٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾؛ أَي: فِي الدُّنْيَا ﴿مُتْرَفِينَ﴾؛ أَي:
مُتَعَمِّمِينَ فِي تَرْكِ أَمْرِ اللَّهِ، فَشَغَلَهُمْ تَرْفَهُمْ عَنِ الْإِعْتِبَارِ وَالتَّعَبُّدِ.

(١) مِنْ (س).

(٢) مِنْ (ر)، وَ (س).

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٤٩.

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ١٢٩/٢٣، ١٣٠، والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن
حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" ٨/٢٠.

(٥) "معاني القرآن" للفراء ٣/١٢٦.

(٦) ذكره الواحدي في "البيسط" ٢١/٢٤١، و"الوسيط" ٤/٢٣٦..

﴿وَكَاؤُا يُصْرُونَ﴾؛ أي: يقيمون ﴿عَلَى لَحْنٍ﴾ وفيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه الشرك، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك، وابن زيد.

والثاني: الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه، قاله مجاهد، وعن قتادة كالقولين.

والثالث: أنه اليمين الغموس، قاله الشعبي.

والرابع: الشرك والكفر بالبعث، قاله الزجاج^(١).

قوله تعالى: ﴿أَوَّابًاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾.

قال أبو عبيدة: الواو متحركة؛ لأنها ليست بواو «أو» إنما هي «وآباؤنا»، فدخلت عليها ألف الاستفهام فتركت مفتوحة^(٢).

وقرأ أهل المدينة، وابن عامر: «أو آباؤنا» بإسكان الواو^(٣).

وقد سبق بيان ما لم يذكرها هنا [هود ١٠٣، الصافات ٦٢، الأنعام ٧٠] إلى قوله: ﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَبِيِّ﴾ قرأ أهل المدينة، وعاصم، وحمة: «شرب» بضم الشين؛ والباقون بفتحها^(٤).

قال الفرّاء: والعرب تقول: شربته شرباً، وأكثر أهل نجد يقولون:

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١١٣).

(٢) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥١.

(٣) قراءة سبعة متواترة قرأ بها أيضاً نافع. ينظر: "معاني القراءات" للأزهري ١/ ٤١٣، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٦٠٨.

(٤) كلتا القراءتين متواترة؛ قرأ بالضم: نافع وحمة وعاصم، وقرأ بالفتح: ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي. ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٢٣.

شَرَبًا بِالْفَتْح، أَنَشِدَنِي عَامَتَهُمْ [من البسيط]:

تَكْفِيهِ حُزَّةٌ فَلَيْدٌ إِنْ أَلَمَ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شُرْبُهُ الْغُمُرُ^(١)

وزعم الكسائي أن قوماً من بني سعد بن تميم يقولون: «شرب

الهيم» بالكسر.

وقال الزَّجَّاج: «الشرب» المصدر، و«الشرب» بالضم: الاسم، قال:

وقد قيل: إنه مصدر أيضاً^(٢).

وفي «الهيم» قولان:

أحدهما: الإبل العطاش، رواه ابن أبي طلحة والعمري عن ابن

عبَّاس^(٣)، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وعطاء، والضحاك، وقتادة.

قال ابنُ قُتَيْبَةَ: هي الإبل يصيبها داءٌ فلا تروى من الماء، يقال:

بَعِيرٌ أَهِيمٌ، وناقَةٌ هِيَاءٌ^(٤).

والثاني: أنها الأرض الرملية التي لا تروى من الماء، وهو مروى عن [٧٦٤/أ]

ابنِ عَبَّاسٍ أيضاً.

(١) البيت من البسيط التام، وهو في "كتاب فيه لغات القرآن" للفراء ص ١٣٧، وقائله هو

أعشى باهلة يرثي أخاه المنتشر بن وهب الباهلي كما في: "الكامل" للمبرد ١/ ٢٩٢،

و"الأمالي" لليزيدي ص ١٨، و"الصحاح" للجوهري ٢/ ٧٧٢.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٣.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ١٣٥، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور"

للسيوطي ٨/ ٢١.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٥٠.

قال أبو عبيدة: الهيم: ما لا يروى من رمل أو بغير^(١).

قوله تعالى: ﴿هَذَا نُزْلُكُمْ﴾؛ أي: رزقهم. [ورواه عياش]^(٢) عن أبي عمرو: «نزلهم» بسكون الزاي^(٣)؛ أي: رزقهم [وطعامهم]^(٤).

وفي «الدين» قولان، قد ذكرناهما في «الفاحة».

﴿نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدْ زَيَّنَّا لَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَ لَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٥٧ - ٦٢].

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ﴾؛ أي: أوجدناكم ولم تكونوا شيئاً، وأنتم تقررون بهذا ﴿فَلَوْلَا﴾؛ أي: فهلا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ بالبعث؟

ثم احتج على بعثهم بالقدرة على ابتدائهم، فقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ قال الزجاج: أي: ما يكون منكم من المنى، يقال: أمنى الرجل يمني، ومنى يمني، فيجوز على هذا «تمنون» بفتح التاء إن ثبت به رواية^(٥).

(١) "بجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥١.

(٢) في الأصل: وروى ابن عباس، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) هي قراءة متواترة، ورواها عن أبي عمرو بالضم كبقية القراء السبعة اليزيدي، بنظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٢٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٦٣، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٥٢.

(٤) من (ر).

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٣.

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ أي: تخلقون ما تمنون بشرًا؟

وفيه تنبيه على شيئين:

أحدهما: الامتنان، إذ خلق من الماء المهين بشرًا سويًا.

والثاني: أن من قدر على خلق ما شاهدتموه من أصل وجودكم كان أقدر على خلق ما غاب عنكم من إعادتكم.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدْ زَيْنَيْنَاكَ الْمَوْتَ﴾ وقرأ ابن كثير: «قدرنا» بتخفيف

المدال^(١).

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: قضينا عليكم بالموت.

والثاني: سوينا بينكم في الموت.

قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (٦٠) على أن يُبدل أمثالكم ﴿قال الزجاج: المعنى: إن

أردنا أن نخلق خلقًا غيركم لم يسبقنا سابق، ولا يفوتنا ذلك^(٢).

وقال ابن قتيبة: لسنا مغلوبين على أن نستبدل بكم أمثالكم^(٣).

(١) قراءة سبعة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٣٦٧، ٦٢٣، و"الحجة في القراءات السبع" لابن خالويه ص ٣٤١، و"معاني القراءات" للأزهري ٥١/٣، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٦٩٦.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١١٤/٥.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٥٠.

قوله تعالى: ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وفيه أربعة أقوال:

أحدها: نبدل صفاتكم ونجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم، قاله الحسن.

والثاني: ننشئكم في حواصل طير سود، تكون بـ«برهوت»^(١) كأنها الخطاطيف^(٢)، قاله سعيد بن المسيب.

والثالث: نخلقكم في أي خلق شئنا، قاله مجاهد.

والرابع: نخلقكم في سوى خلقكم، قاله السدي.

قال مقاتل: نخلقكم سوى خلقكم في ما لا تعلمون من الصور^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ وهي ابتداء خلقكم من نطفة وعلقة ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فهلا تعتبرون فتعلموا قدرة الله فتقروا بالبعث.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣) ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمَغْرُمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿[الواقعة: ٦٣ - ٧٤].

(١) في حاشية (س): برهوت: اسم موضع باليمن، فيه أرواح الكفار.

(٢) قال ابن سيده: الحُطَّافُ العصفور الأسود، وهو الذي تدعوه العامة عصفور الجنة، وجمعه خطاطيف. انظر: لسان العرب؛ لابن منظور (خطف).

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٢٢٢/٤، وذكره الواحدي في "البيضا" ٢٤٨/٢١.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾؛ أي: ما تعملون في الأرض من إثارتها، وإلقاء البذور فيها، ﴿أَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ﴾؛ أي: تُنبِتونه؟ وقد نبّه هذا الكلام على أشياء منها: إحياء الموتى، ومنها: الامتنان بإخراج القوت، ومنها: القدرة العظيمة الدالة على التوحيد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَجَعَلْنَاهُ﴾ يعني: الزرع ﴿حُطَمًا﴾ قال عطاء: تبنًا لا قمح فيه^(١).

وقال الزّجاج: أبطلناه حتى يكون متحطمًا لا حنطة فيه، ولا شيء^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَظَلَّمْتُمْ﴾ وقرأ الشعبي، وأبو العالية، وابن أبي عبلة: «فظمتم» بكسر الظاء^(٣)؛ وقد بيناه في قوله: ﴿ظَلَمْتُ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: ٩٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وابن السمين، والقاسم بن محمد، وعروة: «تفكنون» بالنون^(٤).

(١) ذكره الواحدي في "البيوط" ٢١/٢٤٩، و"الوسيط" ٤/٢٣٧، والبغوي في "معالم التنزيل" ١٧/٥.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/١١٤.

(٣) قراءة شاذة، قرأ بها أيضا عبد الله بن مسعود، ينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ١٧/٢١٩، و"الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهذلي ص ٥٩٩، وقد رويت عن عاصم. ينظر: "جامع البيان في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ٤/١٦٢٧.

(٤) قراءة شاذة، قرأ بها أيضا: أبو حرام العكلي. ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٢، و"الدر المصون" للسمين الحلبي ١٠/٢١٧.

وفي المعنى أربعة أقوال:

أحدها: متعجبون^(١)، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، ومقاتل^(٢).

قال الفرّاء: تتعجبون ممّا نزل بكم في زرعكم^(٣).

والثاني: تَنَدَّمُونَ، قاله الحسن، والزجاج^(٤)، وعن قتادة كالقولين.

قال ابن قتيبة: يقال: ﴿تَفَكَّهُونَ﴾: تندمون، ومثلها: تَفَكَّنُونَ، وهي لغة لعكل^(٥).

والثالث: تتلاومون، قاله عكرمة.

والرابع: تتفجعون، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُعْرُمُونَ﴾ قال الزجاج: أي: تقولون: قد غرنا [٧٦٤/ب] وذهب زرعا^(٦). وقال ابن قتيبة: ﴿لَمُعْرُمُونَ﴾؛ أي: لمعذبون^(٧).

قوله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾؛ أي: حُرّمنا ما كنّا نطلّبه من الرّيع في

(١) في (ر)، و(س): تتعجبون.

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٢٢٢).

(٣) معاني القرآن (٣/ ١٢٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١١٤).

(٥) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٥٠. قال ابن السكيت: كان أبو حزام العكلي يقرأ: "تَفَكَّنُونَ". انظر: كتاب الألفاظ (ص: ٣٩٧).

(٦) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٤.

(٧) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٥٠.

الزَّرع. وقد نَبَّه بهذا على أمرين^(١):

أحدهما: إنعامه عليهم إذ لم يجعل زرعهم حطامًا.

والثاني: قدرته على إهلاكهم كما قدر على إهلاك الزرع.

فأما المزن: فهي السحاب، واحدها: مزنة.

وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿الَّتِي تُورُونَ﴾ قال أبو عبيدة: أي:

تستخرجون، من أوريّت، وأكثر ما يُقال: وريت^(٢).

وقال ابن قتيبة: التي تستخرجون من الزُّنود^(٣). قال الزَّجاج:

«تُورُونَ»؛ أي: تقدحون؛ تقول أوريّت النار؛ إذا قدحتها^(٤).

قوله تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ في المراد بشجرتها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الحديد، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنها الشجرة التي تتخذ منها الزنود، وهو خشب يحك

بعضه ببعض فتخرج منه النار، هذا قول ابن قتيبة، والزجاج^(٥).

والثالث: أن شجرتها: أصلها، ذكره الماوردي^(٦).

(١) أشار ناسخ الأصل إلى نسخة فيها: قولين.

(٢) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٢.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٥١.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٥.

(٥) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٥١، "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٥.

(٦) "النكت والعيون" للماوردي ٥/ ٤٦١.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾.

قال المفسرون: إذا رآها الرائي ذكر نار جهنم، وما يخاف من عذابها، فاستجار بالله منها ﴿وَمَتَعًا﴾؛ أي: منفعة ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم المسافرون، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك.

قال ابن قتيبة: سمّوا بذلك لنزلهم القواء، وهو القفر^(١).

وقال بعض العلماء: المسافرون أكثر حاجة إليها من المقيمين؛ لأنهم إذا أوقدوها هربت منهم السباع واهتدى به الضال. والثاني: أنهم المسافرون والحاضرون، قاله مجاهد.

والثالث: أنهم الجائعون، قال ابن زيد: المقوي: الجائع في كلام العرب^(٢).

والرابع: أنهم الذين لا زاد معهم ولا مال لهم، قاله أبو عبيدة^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قَالَ الرَّجَاجُ: لما ذكر ما يدل على توحيده، وقدرته، وإنعامه، قال: «فسبح» أي: برئ الله ونزّهه عما يقولون في وصفه^(٤).

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٥١.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ١٤٥/٢٣، وهو عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ كما "تفسير ابن كثير" ٥٤٢/٧.

(٣) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/٢٥٢.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١١٥/٥، وقول الزجاج هذا بين معكوفتين علق عليه محققه قائلاً: زيادة حكاها ابن الجوزي عن الرَّجَاجِ. ("زاد المسير" ٨/ ١٥٠).

وقال الضحاك: معناه: فصل باسم ربك؛ أي: استفتح الصلاة بالتكبير^(١).

وقال ابن جرير: سبح بذكر ربك وتسميته^(٢). وقيل: الباء زائدة. والاسم يكون بمعنى الذات، والمعنى: فسبح ربك.

﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٨٢].

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ﴾ في «لا» قولان:

أحدهما: أنها دخلت توكيداً. والمعنى: فأقسم، ومثله: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] قاله الزجاج^(٣)، وهو مذهب سعيد بن جبير. والثاني: أنها على أصلها.

ثم في معناها قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى ما تقدم، ومعناها: النهي، تقدير الكلام: فلا تكذبوا، ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج، قاله الماوردي^(٤).

والثاني: أن «لا» ردُّ لما [يقوله]^(٥) الكفار في القرآن: إنه سحر، وشعر،

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» ١٧٧/٤ بمعناه.

(٢) «تفسير الطبري» ١٤٦/٢٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١١٥/٥).

(٤) «النكت والعيون» للماوردي ٤٦٢/٥.

(٥) في الأصل: يقله، والمثبت من سائر النسخ.

وكهانة. ثم استأنف القسم على أنه قرآن كريم، قاله علي بن أحمد النيسابوري^(١).

وقرأ الحسن: "فلأقسم" بغير ألف بين اللام والهمزة^(٢).

قوله تعالى: ﴿يَمَوْقِعٌ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «بموقع» على التوحيد^(٣).

قال أبو علي: مواقعها: مساقطها. ومن أفرد، فلأنه اسم جنس. ومن جمع، فلاختلاف ذلك^(٤).

وفي «النجوم» قولان:

أحدهما: أنها^(٥) نجوم السماء، قاله الأكثرون.

فعلى هذا في مواقعها ثلاثة أقوال:

أحدها: انكدارها وانتشارها يوم القيامة، قاله الحسن.

والثاني: منازلها، قاله عطاء، وقتادة.

والثالث: مغيبها في المغرب، قاله أبو عبيدة^(٦).

(١) هو الواحدي، وقوله في «التفسير البسيط» له ٢٣٩/٤.

(٢) هي قراءة شاذة، ينظر: «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه ص ١٥٢، وقرأ بها أيضاً: الثقفى. ينظر: «المحتسب» لابن جني ٣٠٩/٢.

(٣) هي قراءة سبعة متواترة، ينظر: «السبعة» لابن مجاهد ص ٦٢٤.

(٤) «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي ٢٦٣/٦.

(٥) ليست في (ر).

(٦) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢٥٢/٢.



والثاني: أنها نجوم القرآن، رواه [سعيد]^(١) بن جبير عن ابن [٧٦٥/١] عباس^(٢). فعلى هذا سميت نجومًا لنزولها متفرقة، ومواقعها: نزولها. قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾ الهاء كناية عن القسم. وفي الكلام تقديم وتأخير، تقديره: وإنه لقسم عظيم لو تعلمون عظمه.

ثم ذكر المُقَسَّم عليه فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾، والكريم: اسم جامع لما يُحمد، وذلك أن فيه البيان، والهدى، والحكمة، وهو مُعَظَّم عند الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه المصحف الذي بأيدينا، قاله مجاهد، وقتادة.

وفي «المكنون» قولان:

أحدهما: مَسْتُورٌ مِنْ^(٣) الخلق، قاله مقاتل^(٤)، وهذا على القول الأول.

والثاني: مَصُونٌ، قاله الزجاج^(٥).

(١) من (س).

(٢) أخرجه علي بن الجعد في "مسنده" (٢٣٦٣)، وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/٢٥، وابن عبد البر في "التمهيد" ١٧/٥١.

(٣) في (ر): عن.

(٤) تفسير مقاتل (٤/٢١٨).

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/١١٥.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ من قال: إنه اللوح المحفوظ؛ فالمطهرون عنده: الملائكة، وهذا قول ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير. فعلى هذا يكون الكلام خبراً. ومن قال: هو المصحف؛ ففي المطهرين أربعة أقوال:

أحدها: أنهم المطهرون من الأحداث، قاله الجمهور. فيكون ظاهر الكلام النفي، ومعناه النهي.

والثاني: المطهرون من الشرك، قاله ابن السائب.

والثالث: المطهرون من الذنوب والخطايا، قاله الربيع بن أنس.

والرابع: أن معنى الكلام: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به، حكاه الفراء^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلٌ﴾؛ أي: هو تنزيل.

والمعنى: هو منزل، فسمي المنزل تنزيلاً على^(٢) اتساع اللغة، كما تقول للمقدور: قدر، وللمخلوق: خلق.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن ﴿أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: مكذبون، قاله ابن عباس، والضحاك، والفراء^(٣).

والثاني: ممالئون الكفار على الكفر به، قاله مجاهد.

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٣٠.

(٢) في (ر): في.

(٣) معاني القرآن ٣/ ١٣٠.

قال أبو عبيدة: المدهن: المداهن^(١). وكذلك قال ابن قتيبة: «مدهنون»؛ أي: مدهنون، يقال: أدهن في دينه، وداهن^(٢).

﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ روى مسلم في «صحيحه» من حديث ابن عباس قال: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُضْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ» قالوا: هذه رحمة وضعها الله حيث شاء. وقال بعضهم: لَقَدْ صَدَقَ نَوَاءُ كَذَا، وَكَذَا. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ الْجُومِ﴾ حتى بلغ: ﴿أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾^(٣).

وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث زيد بن خالد الجهني، قال: صَلَّى بِنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قَالَ: أُضْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ. فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ؛ فَقَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكَوَاعِبِ^(٤). وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوَاءِ كَذَا وَكَذَا. فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاعِبِ^(٥)»^(٦).

(١) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٢.

(٢) "غريب القرآن" ص ٤٥١.

(٣) "صحيح مسلم" (٧٣).

(٤) في (س): بالكوكب.

(٥) في (س): بالكوكب.

(٦) "صحيح البخاري" (٨٤٦)، "صحيح مسلم" (٧١).

وللمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال:

[٧٦٥/ب] أحدها: أَنَّ الرزق هاهنا بمعنى الشكر. روت عائشة عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ قال: «شُكْرُكُمْ»^(١). وهذا قول علي بن أبي طالب، وابن عباس، وكان عليُّ يقرأ: «وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ»^(٢).

والثاني: أَنَّ المعنى: وتجعلون شكر رزقكم تكذيبكم، قاله الأكثرون.

وذلك أنهم كانوا يُمَطَّرُونَ، فيقولون: مُطَرْنَا بَنَوْءَ كَذَا.

والثالث: أَنَّ الرزق بمعنى الحظ، فالمعنى: وتجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون، ذكره الثعلبي^(٣).

وقرأ أبو بن كعب، والمفضل عن عاصم: «تكذبون» بفتح التاء، وإسكان الكاف، مخففة الذال^(٤)^(٥).

(١) أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" ٢٤٧/٤٣.

(٢) هي قراءة شاذة، وأخرجها عن علي مسندة: ابنُ مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٣٠/٨، وزاد ابن خالويه في "مختصر في شواذ القرآن" ص ١٥٢، وأبو علي الفارسي في "الحجة للقراء السبعة" ٢٦٥/٦، وابن جني في "المحتسب" ٣١٠/٢ نسبها لابن عباس.

(٣) "الكشف والبيان" للثعلبي ٢٢١/٩.

(٤) في الأصل، و(س): الكاف، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) قراءة آحاد، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ٦٢٤، "معاني القراءات للأزهري" ٥٢/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٢٦٤/٦، وزاد أبو حيان في "البحر المحيط" ٢١٤/٨ نسبها لعليٍّ عليه السلام، ولم أجد من نسبها لأبيٍّ عليه السلام.

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدُّ مِنْهُ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَنَصْلَةٌ جَمِيمٌ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْحٌ أَلْبِينٌ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٩٦].

قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا ﴾؛ أي: فهلاً ﴿ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ يعني: النفس، فترك ذكرها لدلالة الكلام، وأنشدوا من ذلك [من الطويل]:

..... إِذَا حَشُرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ^(١)

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْتُمْ ﴾ يعني: أهل الميت ﴿ تَنْظُرُونَ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: تنظرون إلى سلطان الله وأمره.

والثاني: تنظرون إلى الإنسان في تلك الحالة، ولا تملكون [له]^(٢) شيئاً.

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: ملك الموت أدنى إليه من أهله ﴿ وَلَكِنْ لَا بُدُّ مِنْهُ ﴾ الملائكة،

رواه أبو صالح عن ابن عباس.

(١) البيت لحاتم الطائي في ديوانه (ص: ١٩٩)، والأغاني (١٧ / ٢٩٥)، وجمهرة اللغة

(ص: ١٠٣٤ - ١١٣٣)، والألفاظ؛ لابن السكيت (ص: ٥)، والشعر والشعراء

(١ / ٢٥٢)، والصاحبي في فقه اللغة (ص: ٢٦١).

(٢) من (ر)، و(س).

والثاني: ونحن^(١) أقرب إليه منكم بالعلم والقدرة والرؤية ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾؛ أي: لا تعلمون، والخطاب للكفار، ذكره الواحدي^(٢).

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مَدِينٍ﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: محاسين، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء، وعكرمة.

والثاني: موقنين، قاله مجاهد.

والثالث: مبعوثين، قاله قتادة.

والرابع: مجزين. ومنه يقال: دنته، وكما تدين ثدان، قاله أبو عبيدة^(٣).

والخامس: مملوكين أذلاء من قولك: دنت له بالطاعة، قاله ابن قتيبة^(٤).

قوله تعالى: ﴿تَرْجُمُونَهَا﴾؛ أي: تردون النفس.

والمعنى: إن جحدتم الإله الذي يحاسبكم ويمجازيكم، فهلا تردون هذه النفس؟ فإذا لم يمكنكم ذلك، فاعلموا أن الأمر لغيركم.

قال الفراء: وقوله تعالى: ﴿تَرْجُمُونَهَا﴾ هو جواب لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾، ولقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينٍ﴾ فإنهما أحييتا

(١) ليست في (س).

(٢) "التفسير البسيط" ٢١/٢٦٦، و"التفسير الوسيط" ٤/٢٤١ كلاهما للواحدي.

(٣) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/٢٥٢.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٥٢.



بجواب واحد^(١).

ومثله قوله تعالى: ﴿كَانَ﴾ يعني: الذي بلغت نفسه الحلقوم ﴿مِّنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله. قال أبو العالية: هم السابقون^(٢). ﴿فَرَوْحٌ﴾؛ أي: فله روح. والجمهور يفتحون الراء^(٣).

وفي معناها ستة أقوال:

أحدها: الفرح رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس^(٤).

والثاني: الراحة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس^(٥).

والثالث: المغفرة والرحمة، رواه العوفي عن ابن عباس^(٦).

والرابع: الجنة، قاله مجاهد.

والخامس: روح من الغم الذي كانوا فيه، قاله محمد بن كعب.

والسادس: روح في القبر، أي: طيب نسيم، قاله ابن قتيبة^(٧).

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣ / ١٣٠.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣ / ١٦٠.

(٣) هي قراءة الجمهور إلا يعقوب. ينظر: "معاني القراءات" للأزهري ٣ / ٥٣.

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣ / ١٦٠.

(٥) أخرجه الطبري (٢٣ / ١٥٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٦٦) إلى ابن جرير.

(٦) المصدر السابق.

(٧) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٥٢.

وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو رزين، والحسن، وعكرمة، وابن يعمر، وقتادة، ورويس عن يعقوب، وابن أبي سريج عن الكسائي: «فروح» برفع الراء^(١).

وفي معنى هذه القراءة قولان:

أحدهما: أن معناها: فرحة، قاله قتادة.

والثاني: فحياة وبقاء، قاله ابن قتيبة^(٢). [٧٦٧/أ]

وقال الزَّجَّاج: معناه: فحياة دائمة لا موت معها^(٣).

وفي «الريحان» أربعة أقوال:

أحدها: أنه الرِّزْق، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس^(٤).

والثاني: أنه المستراح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس^(٥).

والثالث: أنه الجنة، قاله مجاهد، وقتادة.

والرابع: أنه الريحان المسموم.

(١) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٢، و"الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة" لأبي علي الأهوازي ص ٣٤٧، و"الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهنلي ص ٦٤٥.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٥٢.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١١٧/٥.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣ / ١٦٠).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣ / ١٥٩).

وقال أبو العالية: لا يخرج أحد من المقربين من الدنيا حتى يؤتى بغصنٍ من ریحان الجنة، فيشمه، ثم تقبض فيه روحه^(١). وإلى نحو هذا ذهب الحسن.

وقال أبو عمران الجوني: بلغنا أن المؤمن إذا قبض روحه يُلَقَّى بضائر الریحان من الجنة، فتجعل روحه فيه^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: فسلامة لك من العذاب، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: تسلم عليه الملائكة، وتخبره أنه من أصحاب اليمين، قاله عطاء.

والثالث: أن المعنى: أنك ترى فيهم ما تحب من السلامة. وقد علمت ما أعد لهم من الجزاء، قاله الزجاج^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ﴾؛ أي: بالبعث ﴿الضَّالِّينَ﴾ عن الهدى ﴿فَقُرْءَلٌ﴾ وقد بيناه في هذه السورة [الواقعة: ٥٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ يعني: ما ذكر في هذه السورة ﴿لَهُوَ حَقٌّ الْبَقِيَّةِ﴾؛ أي: هو اليقين حقاً، فأضافه إلى نفسه؛ كقولك: صلاة الأولى، وصلاة العصر، ومثله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩] وقد سبق هذا

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ١٦٠، وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٣٨/ ٨.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في "ذكر الموت" (٢٦٨)، وعبد الله بن أحمد في زوائد "الزهد"، وعبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٣٨/ ٨.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١١٨/ ٥.

المعنى، وقال قوم: معناه: وإنه للمتقين حقًا. وقيل للحق: اليقين.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ قد ذكرناه في هذه السورة [الواقعة: ٧٤].

سورة الحديد

وفيها قولان:

أحدهما: أنها مدنية، رواه العوفي عن ابن عباس^(١)، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وقتادة، ومقاتل^(٢).

والثاني: أنها مكيّة، قاله ابنُ السائب^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)﴾ [الحديد: ١ - ٦].

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أمّا تسبيح ما يعقل فمعلوم، وتسبيح ما لا يعقل، قد ذكرنا معناه في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

(١) انظر: النكت والعيون؛ للهاوردي (٥ / ٤٦٨)، والناسخ والمنسوخ؛ لابن حزم (ص: ٥٩)، ومعالم التنزيل؛ للبغوي (٨ / ٣١).

(٢) تفسير مقاتل (٤ / ٢٣٧).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥ / ٤٦٨)، والناسخ والمنسوخ؛ لابن حزم (ص: ٥٩).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾.

قال أبو سليمان الخطابي: هو السابق للأشياء ﴿وَالْآخِرُ﴾: الباقي بعد فناء الخلق ﴿وَالظَّاهِرُ﴾: بحججه الباهرة، وبراهينه النيرة، وشواهده الدالة على صحة وحدانيته. ويكون: الظاهر فوق كل شيء بقدرته. وقد يكون الظهور بمعنى: العلو، ويكون بمعنى: الغلبة.

والباطن: هو المحتجب عن أبصار الخلق الذي لا يستولي عليه توهم الكيفية. وقد يكون معنى الظهور والبطون: احتجابه عن أبصار الناظرين، وتجليه لبصائر المتفكرين. ويكون معناه: العالم بما ظهر من الأمور، والمطلع على ما بطن من الغيوب^(١).

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مفسر في "الأعراف" إلى قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾، وهو مفسر في "سبأ" إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾؛ أي: بعلمه وقدرته. وما بعده ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

قال المفسرون: هذا الخطاب لكفار قريش ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَلِّفِينَ فِيهِ﴾ يعني: المال الذي كان بأيدي غيرهم، فأهلكهم الله تعالى، وأعطى قريشاً ذلك المال، فكانوا فيه خلفاء من مضى.

(١) "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

﴿أٰمِنُوٓا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِۦ ۚ وَانْفِقُوٓا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلَفِيْنَ فِيْهِۦۤ ۙ فَالَّذِيْنَ ءٰمَنُوْا مِنْكُمْ وَاَنْفَقُوْا لَهُمْ اَجْرٌ كَبِيْرٌ ۝ۗ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالرَّسُوْلِ يَدْعُوْكُمْ لَتُؤْمِنُوْا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيْثَاقَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ۝ۘ هُوَ الَّذِيْ يُزِيْلُ عَلٰى عَبْدِهٖ ءَايٰتٍ يَنْتَبِهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ ۚ وَاِنَّ اللّٰهَ بِكُمْ لَرَءُوْفٌ رَّحِيْمٌ ۝ۙ وَمَا لَكُمْ اَلَّا تُنْفِقُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَلِلّٰهِ مِيرٰثُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لَا يَسْتَوِيْ مِنْكُمْ مَّنْ اَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ اُوْلٰئِكَ اَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِيْنَ اَنْفَقُوْا مِنْۢ بَعْدِ وَقَتْلٍ ۚ وَكُنْتُمْ اَوَّلًا وَعَدَ اللّٰهُ الْحَسَنٰى وَاللّٰهُ يَمَّا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ ۝ۚ مَّن ذَا الَّذِيْ يُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهٗ لَهُ ۙ وَلَهُٗٓ اَجْرٌ كَرِيْمٌ ۝ۛ﴾ [الحديد: ٧ - ١١].

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ هذا استفهام إنكار، والمعنى: أي شيء لكم من الثواب في الآخرة إذا لم تؤمنوا بالله.

﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو: "وقد أخذ" بالرفع. وقرأ الباقون: [٧٦٦/ب] "أخذ" بفتح الخاء^(١) ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ بالفتح.

والمراد به: حين أخرجتم من ظهر آدم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ بالحجج والدلائل. قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿ءَايٰتٍ يَنْتَبِهُ﴾ يعني: القرآن ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمٰتِ﴾ يعني: الشرك ﴿إِلَى﴾ نور الإيمان ﴿وَأِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوْفٌ رَّحِيْمٌ﴾ حين بعث الرسول ونصب الأدلة.

ثُمَّ حَتَّهٖم عَلَى الْإِنْفَاقِ؛ فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: أي شيء لكم في ترك الإنفاق مما يقرب إلى الله عز

(١) هي قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٢٥، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٢٦٦/٦، و"الإقناع في القراءات السبع"، لأبي جعفر الغرناطي ص ٣٨٢.

وجل وأنتم ميتون تاركون أموالكم؟

ثُمَّ بَيَّنَّ فَضْلَ مَنْ سَبَقَ بِالْإِنْفَاقِ؛ فَقَالَ: ﴿لَا يَسْتَوِي مَنْكُم مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنه فتح مكة، قاله ابن عباس، والجمهور.

والثاني: أنه فتح الحديبية، قاله الشعبي.

والمعنى: لا يستوي مَنْ أَنْفَقَ قَبْلَ ذَلِكَ ﴿وَقَتْلَ﴾ ومن فعل ذلك بعد الفتح.

قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق عليه السلام.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ قال ابن عباس: أعظم منزلةً عند الله ^(١).

قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها ^(٢).

قَالَ الزَّجَّاجُ: لِأَنَّ الْمُتَقَدِّمِينَ كَانَتْ بِصَائِرِهِمْ أَنْفَذَ، وَنَالَهُمْ مِنَ الْمَشَقَّةِ

أَكْثَرَ ^(٣). ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي: وكلا الفريقين وعده الله الجنة.

وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: "وكل بالرفع" ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ﴾ قرأ ابن كثير،

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكره الواحدي في "البيسط" ٢٨١/٢١ "الوسيط" ٢٤٦/٤، والبغوي في "معالم التنزيل" ٢٨/٥.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٢٣/٥.

(٤) قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٢٥، و"الحجة للقراء السبعة"

لأبي علي الفارسي ٢٦٦/٦، و"جامع البيان في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني

١٦٢٩/٤.

وابن عامر: "فيضعفه" مشددة بغير ألف، إلا أن ابن كثير يضم الفاء، وابن عامر يفتحها.

وقرأ نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: "فيضاعفه" بالألف وضم الفاء، ووافقهم عاصم، إلا أنه فتح الفاء^(١).

قال أبو علي: يضاعف ويضعف بمعنى واحد، إلا أن الرفع في "يضاعف" هو الوجه؛ لأنه محمولٌ على "يقرض"، أو على الانقطاع من الأول، كأنه قال: فهو يضاعف.

ويحمل قول الذي نصب على المعنى؛ لأنه إذا قال: من ذا الذي يقرض الله، (فكأنه قال)^(٢): أيقرض الله أحدٌ قرضاً فيضاعفه^(٣). والآية مفسرة في البقرة [آية: ٢٤٥]، والأجر الكريم: الجنة.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ تُشْرِكُمْ يَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَفَقِّتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُمْ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ١٣﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ١٤﴾ قَالِ يَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿[الحديد: ١٢ - ١٥].

(١) هذه القراءات جميعها متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٢٥، و"التيسير في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ص ٨١.

(٢) في (ر): فمعناه.

(٣) "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٦٧ - ٢٦٨.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ﴾.

قال المفسرون: يضيء لهم نور عملهم على الصراط على قدر أعمالهم.

قال ابن مسعود: منهم من نوره مثل الجبل، وأدناهم نوراً نوره على إبهامه يطفى مرة، ويتقد أخرى^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِمْ﴾ قَوْلَانِ:

أحدهما: أنه كتبهم يعطونها بأيامهم، قاله الضحاك.

والثاني: أنه نورهم يسعى؛ أي: يمضي بين أيديهم، وعن أيامهم، وعن شمائلهم. والباء بمعنى: "في". و"في" بمعنى: "عن" هذا قول الفراء^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بُشِّرْكُمْ الْيَوْمَ﴾ هذا قول الملائكة لهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْضِ﴾ وقرأ حمزة: "أَنْظِرُونَا" بقطع الهمزة، وفتحها، وكسر الظاء^(٣).

قال المفسرون: يغشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة، فيعطى المؤمنون النور، فيمشي المنافقون في ضوء^(٤) المؤمنين، فإذا سبقهم المؤمنون،

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٩ / ١٧١ (٣٥٧٠٠)، والحاكم في "مستدركه" ٢ / ٥٦٤، وصححه، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨ / ٥٢.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣ / ١٣٢.

(٣) هي قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٢٥، و"التيسير في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ص ٢٠٨، و"العنوان في القراءات السبع" لأبي طاهر السرقسطي ص ١٨٦.

(٤) في (ر): نور.



قالوا: انظرونا نقتبس من نوركم.

﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ في القائل قولان:

أحدهما: أنهم المؤمنون، قاله ابن عباس.

والثاني: الملائكة، قاله مقاتل^(١).

[٧٦٨/أ]

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: ارجعوا إلى المكان الذي قبستم فيه النور، فارجعون، فلا يرون شيئاً.

والثاني: ارجعوا فاعملوا عملاً يجعله الله لكم نوراً.

والثالث: أن المعنى: لا نور لكم عندنا ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ سُورًا﴾.

قال ابن عباس: هو الأعراف، وهو سور بين الجنة والنار^(٢).

﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ وهي: الجنة ﴿وَوَظَاهِرُهُ﴾ يعني: من وراء السور ﴿مِنْ قِبَلِهَا الْعَذَابُ﴾ وهو جهنم.

وقد ذهب قوم إلى أن هذا السور يكون بيت المقدس في مكان السور الشرقي بين الوادي الذي يسمى: وادي جهنم، وبين الباب الذي يسمى: باب الرحمة، وإلى نحو هذا ذهب عبادة بن الصامت، وعبد الله ابن عمرو، وكعب.

(١) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٤ / ٢٦٩).

(٢) ذكر نحوه: ابن عطية في "المحرر الوجيز" ٢ / ٤٠٤.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾؛ أي: ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾؛ أي: على دينكم نصلي بصلاتكم، ونغزو معكم؟ فيقول لهم المؤمنون: ﴿بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي^(١): استعملتموها في الفتنة^(٢). وقال غيره: أثمتموها^(٣) بالنفاق.

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: تربصتم بالتوبة.

والثاني: تربصتم بمحمد الموت، وقتلتم: يوشك أن يموت فنستريح ﴿وَأَرَبَّيْتُمْ﴾ شككتهم في الحق ﴿وَعَزَّزْتُمْ الْأُمَاقُ﴾ يعني: ما كانوا ياتمنون من نزول الدوائر.

﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنه الموت.

والثاني: إلقاؤهم في النار ﴿وَعَزَّزْتُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾؛ أي: غركم الشيطان بحلم الله وإمهاله.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُوْخِذُ مِنْكُمْ قَدِيرٌ﴾ وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: "لَا

(١) ليست في (ر).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٢٤/٥.

(٣) في (ر): أنتمموها. وأشار ناسخ الأصل في الحاشية إلى نسخة فيها: أثرموها.

تؤخذ" بالتاء^(١)؛ أي: بدل وعوض عن عذابكم.

وهذا خطاب للمنافقين، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قوله تعالى: ﴿هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾ قال أبو عبيدة: أي: أولى بكم^(٢).

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١٦) ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٦ - ١٧].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهم: أنها نزلت في المؤمنين.

قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا، وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين، فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً^(٣).

والثاني: أنها نزلت في المنافقين، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

قال مقاتل: سأل المنافقون سلمان الفارسي فقالوا: حدثنا عن التوراة،

(١) هي قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٢٦، و"معاني القراءات" للأزهري ٥٦/٣، و"الحجة في القراءات السبع" لابن خالويه ص ٣٤٣، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٠٠.

(٢) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/٢٥٤.

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣٠٢٧).

فإن فيها العجائب. فنزلت هذه الآية^(١).

وقال الزجاج: نزلت هذه الآية في طائفة من المؤمنين حثوا على الرقة والخشوع.

فأما من كان وصفه الله عز وجل بالخشوع، والرقة، فطبقة من المؤمنين فوق هؤلاء^(٢).

فعلى الأول: يكون الإيمان حقيقة. وعلى الثاني: يكون المعنى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالسنتهم.

قال ابن قتيبة: المعنى: ألم يحن، تقول: أنى الشيء: إذا حان^(٣). قوله تعالى: ﴿أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: ترق وتلين لذكر الله تعالى. المعنى: أنه يجب أن يورثهم الذكر خشوعاً.

﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: "وما نزل" بفتح النون، والزاي، مع تشديد الزاء^(٤). وقرأ نافع، وحفص، والمفضل عن عاصم: "نزل" بفتح النون، وتخفيف الزاي^(٥).

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٢٤١ / ٤.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٢٥ / ٥.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٥٣.

(٤) في (ر)، و(س): الزاي.

(٥) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٢٦، و"معاني القراءات" =

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وابن يعمر، ويونس بن حبيب عن أبي عمرو، وأبان عن عاصم: "نُزِّلَ" برفع النون، وكسر الزاي، مع تشديدها^(١). [٧٦٨/ب]

وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء: "وما أنزل" بهمزة مفتوحة، وفتح الزاي^(٢).
وقرأ أبو مجلز، وعمرو بن دينار مثله، إلا أنه بضم الهمزة، وكسر الزاي^(٣).
و"الحق": القرآن.

﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ قرأ رويس عن يعقوب: "لا تكونوا" بالتاء^(٤).
﴿كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني: اليهود، والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾
وهو: الزمان.
وقال ابن قتيبة: الأمد: الغاية^(٥).

=للأزهري ٣/ ٥٥، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٠٠.

(١) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" ص ١٥٣.

(٢) قراءة شاذة أيضاً، ينظر: "إعراب القرآن" للنحاس ٤/ ٢٣٩، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٣.

(٣) قراءة شاذة أيضاً، ذكرها عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي في "رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" ص ٧٢٢.

(٤) هذه قراءة آحاد، عشرية، ينظر: "المبسوط في القراءات العشر" لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري ص ٤٣٠، و"الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهذلي الشكري ص ٦٤٦.

(٥) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٢٦٤.

والمعنى: أَنَّهُ بَعْدَ عَهْدِهِم بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

﴿فَنَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: وهم الذين لم يؤمنوا بـعيسى
ومحمد عليهما السلام.

﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؛ أي: يخرج منها النبات بعد
يسها، فكَذَلِكَ يَقْدِرُ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الدالة على
وحدانيته وقدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: لكي تتأملوا.

﴿إِنَّ الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذَقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ
كَبِيرٌ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: ١٨ - ١٩].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذَقَاتِ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم إلا
حفصًا بتخفيف الصَّاد فيها على معنى التصديق، وقرأ الباقر، بالتشديد
على معنى الصدقة^(١).

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

اختلفوا في نظم الآية على قولين:

أحدهما: أَنَّ تَمَامَ الْكَلَامِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، ثم ابتدأ فقال
تعالى: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ هذا قول ابن عباس، ومسروق، والفراء في آخرين^(٢).

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٢٦، و"الحجة للقراء
السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٧٤، و"جامع البيان في القراءات السبع" لأبي عمرو
السداني ٤/ ١٦٣٠.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٣٥.

والثاني: أنها على نظمها.

والواو في «الشهداء» واو النسق.

ثم في معناها قولان:

أحدهما: أن كل مؤمن صديق شهيد، قاله ابن مسعود، ومجاهد.

والثاني: أنها نزلت في قوم مخصوصين، وهم ثمانية نفر^(١) سبقوا إلى الإسلام: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة بن عبد المطلب، وطلحة، والزبير، وسعد، وزيد، قاله الضحاك.

وفي الشهداء قولان:

أحدهما: أنه جمع شاهد.

ثم فيهم قولان:

أحدهما: أنهم الأنبياء خاصة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم الشاهدون عند ربهم على أنفسهم بالإيمان لله، قاله مجاهد.

والقول الثاني: أنه جمع شهيد، قاله الضحاك، ومقاتل^(٢).

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ

(١) كذا في الأصل جاء في تفسير الثعلبي: قال الضحاك: هم ثمانية نفر سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر وعلي وزيد وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد وحمزة بن عبد المطلب، تاسعهم عمر بن الخطاب أحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته.
تفسير الثعلبي (٩/ ٢٤٣).

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٢٤٣).

وَالْأَوَّلُ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرْتَضِفُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطَمًا فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُوْرِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ ﴿٢١﴾ [الحديد: ٢٠ - ٢١].

قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ يعني: الحياة في هذه الدار ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾؛ أي: غرور ينقضي عن قليل.

وذهب بعض المفسرين إلى أن المشار بهذا إلى حال الكافر في دنياه؛ لأن حياته تنقضي على لهو ولعب وتزين الدنيا، ويفآخر قرناء وجيرانه، ويكثرهم بالأموال والأولاد، فيجمع من غير حلٍّ، ويتناول على أولياء الله تعالى بآله، وخدمته، وولده، فيفنى عمره في هذه الأشياء، ولا يتلفت إلى العمل (في الآخرة) ^(١).

ثم بين لهذه الحياة شبهًا، فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ يعني: مطرًا ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ وهم الزراع، وسمُّوا كفَّارًا؛ لأنَّ الزارع إذا ألقى البذر في الأرض كفره؛ أي: غطاه ﴿نَبَأُهُ﴾؛ أي: ما نبت من ذلك الغيث ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ﴾؛ أي: يبس ﴿فَتَرْتَضِفُ مُصْفَرًّا﴾ بعد خضرته وريه.

﴿ثُمَّ يَكُوْنُ حُطَمًا﴾؛ أي: يتحطم ^(٢)، ويتكسر ^(٣) بعد يسه. وشرح هذا المثل قد تقدَّم في «يونس» عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ [آية: ٢٤]،

(١) في (ر): للآخرة، وفي (س) أثبت "في" وضرب عليها ووضع اللام.

(٢) في (ر): ينحطم.

(٣) في (ر): ينكسر.

وفي «الكهف» عند قوله تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آية: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾؛ أي: لأعداء الله عز وجل. ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لأوليائه وأهل طاعته. وما بعد هذا مذكور في آل عمران [آية: ١٨٥]... إلى قوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ فبين أنه لا يدخل الجنة أحد إلا بفضل الله تعالى.

[٧٦٩/أ]

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْتَخُلُوتْ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٢ - ٢٤].

قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: قحط المطر، وقلة النبات، ونقص الثمار ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من الأمراض، وفقد الأولاد ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾؛ أي: (١): [أن] (٢) نخلقها، يعني: الأنفس ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾؛ أي: إثبات ذلك على كثرته حين على الله عز وجل.

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾؛ أي: تحزنوا على ما ﴿فَاتَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ وقرأ أبو عمرو - إلا اختيار اليزيدي - بالقصر على معنى: جاءكم من الدنيا.

(١) ليست في (ر).

(٢) من (ر)، و(س).

وقرأ الباقر بالمدة على معنى: مَا أعطاكم الله تعالى منها^(١).

واعلم أنه مَنْ عَلِمَ أَنَّ مَا قُضِيَ لَا بَدَّ أَنْ يَصِيْبَهُ (مَنْ خَيْرٌ وَشَرٌّ)^(٢)؛
قَلَّ حُزْنُهُ وَفَرَحُهُ.

وقد روى قتيبة بن سعيد، قال: دخلت بَعْضَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فإذا
بِفَضَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مِنَ الْإِبِلِ مَا لَا يَحْصِي عَدْدُهُ، كُلُّهَا قَدْ مَاتَ،
فَسَأَلْتُ عَجُوزًا: لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ الْإِبِلُ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى شَيْخٍ كَانَ^(٣) عَلَى تَلٍّ
يَغْزِلُ الصُّوفَ، فَقُلْتُ [لَهُ: يَا شَيْخَ] ^(٤)! أَلَمْ يَكُنْ هَذِهِ الْإِبِلُ؟ قَالَ:
كَانَتْ بِاسْمِي. قُلْتُ: فَمَا أَصَابَهَا؟ قَالَ: ارْتَجَعَهَا الَّذِي أُعْطَاهَا. قُلْتُ:
فَهَلْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ شَيْئًا؟ قَالَ نَعَمْ! قُلْتُ [مَنْ الْبَسِيطُ]:

لَا وَالَّذِي أَنَا عَبْدٌ فِي عِبَادَتِهِ وَالْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ نُصِبَ الرِّزْقِ وَالْحَزَنُ
مَا سَرَّنِي أَنَّ إِبِلِي فِي مَبَارِكِهَا وَمَا جَرَى فِي قَضَاءِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ^(٥)

وما بعد هذا قد ذكرناه في سورة النساء [آية: ٣٧]، والذي قيل في
البخل هناك هو الذي قيل هاهنا إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾؛ أي: عن الإيمان.

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٢٦، و"الحجة في القراءات
السبع" لابن خالويه ص ٣٤٣، و"معاني القراءات" لأبي منصور الأزهري ٥٧/٣.

(٢) ليست في (ر).

(٣) ليست في (ر).

(٤) من (ر) فقط.

(٥) ذكر القصة بتامها: الثعلبي في "الكشف والبيان" ٢٤٦/٩، وبيان الحق النيسابوري في
"باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن" ١٤٧٤/٣.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن عباده ﴿الْحَمِيدُ﴾ إلى أوليائه. وقد سبق معنى الاسمين في البقرة [آية: ٢٦٧].

وقرأ نافع وابن عامر: «فإن الله الغني الحميد» ليس فيها «هو» وكذلك [هو]^(١) في مصاحف أهل المدينة، والشام^(٢).

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ أي: بالآيات والحجج ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بيان الشرائع، والأحكام.

وفي «الميزان» قولان:

أحدهما: أنه العدل، قاله ابن عباس، وقتادة.

والثاني: أنه الذي يوزن به، قاله ابن زيد ومقاتل^(٣).

فعلى القول الأول: يكون المعنى: وأمرنا بالعدل. وعلى الثاني: ووضعنا الميزان؛ أي: أمرنا به. ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾؛ أي: لكي يقوموا بالعدل.

(١) من (ر)، و(س).

(٢) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٣٣، ١٣٦، و"السبعة" لابن مجاهد ص ٢٢٧، و"معاني القراءات" لأبي منصور الأزهري ٣/ ٥٧، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٠٢.

(٣) تفسير مقاتل (٤/ ٢٤٥).



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ مَعَ آدَمَ السُّنْدَانَ، وَالْكَلْبَتَيْنِ، وَالْمَطْرَقَةَ،
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّ مَعْنَى «أَنْزَلْنَا»: أَنْشَأْنَا وَخَلَقْنَا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ
مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَرْوَاحَ﴾ [الزمر: ٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: وَذَلِكَ أَنَّهُ يَمْتَنِعُ بِهِ،
وَيُحَارِبُ بِهِ ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ يَسْتَعْمِلُونَهُ^(١) فِي أَدْوَاتِهِمْ، وَمَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ
مِنْ آيَةٍ وَغَيْرِهَا^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ هَذَا مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَقُومَ
النَّاسُ﴾، وَالْمَعْنَى: لِيَتَعَامَلَ النَّاسُ بِالْعَدْلِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ بِالْقِتَالِ
فِي سَبِيلِهِ، وَنَصْرَةٌ دِينُهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَمَرَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ بِذَلِكَ. وَقَدْ
سَبَقَ مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ فِي مَوَاضِعَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِالْغَيْبِ﴾؛ أَيِ: وَلَمْ يَرِ اللَّهَ، وَلَا أَحْكَامَ الْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا
يُحْمَدُ^(٣) وَيُثَابُ مَنْ أَطَاعَ بِالْغَيْبِ.

(١) ليست في (ر).

(٢) "معاني القرآن وإعراجه" للزجاج ١٢٩/٥.

(٣) في (ر): يجهد.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ (٦) ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَىٰ أَثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَفَقَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦ - ٢٧].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ يعني: الكتب ﴿فَمِنْهُمْ﴾ يعني: من الذرية.

[٧٦٩/ب]

﴿مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: كافرون، قاله ابن عباس.

والثاني: عاصون، قاله مقاتل^(١).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَىٰ أَثَرِهِمْ﴾ أي: أتبعنا على آثار نوح، وإبراهيم، وذريتهما ﴿بِعِيسَى﴾ وكان آخر أنبياء بني إسرائيل.

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ يعني: الحواريين وغيرهم من أتباعه على دينه ﴿رَافَةً﴾ وقد سبق بيانها، والمعنى: أنهم كانوا متوادين، كما وصف الله تعالى أصحاب نبينا عليه الصلاة والسلام، فقال تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ ليس هذا معطوفاً على ما قبله، وإنما انتصب بفعل مضمير، يدلُّ عليه ما بعده، تقديره: وابتدعوا رهبانيةً

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٢٤٧).

ابتدعوها؛ أي: جاؤوا بها من قِبَل أنفسهم، وهي غلوهم في العبادة، وحمل المشاق على أنفسهم في الامتناع عن المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعب في الجبال.

﴿مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: ما فرضناها عليهم.

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّ الاستثناء يرجع إلى قوله تعالى: «ابتدعوها» وتقديره: ما كتبناها عليهم إلا أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله، ذكره علي بن عيسى، والرماني عن قتادة، وزيد بن أسلم.

والثاني: أنه راجع إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَتَبْنَا﴾.

ثُمَّ فِي مَعْنَى الْكَلَامِ قَوْلَانِ:

أحدهما: ما كتبناها عليهم بعد دخولهم فيها تطوعاً إلا ابتغاء رضوان الله.

قال الحسن: تطوعوا بابتداعها، ثم كتبها الله عليهم^(١).

وقال الزَّجَّاج: لما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع لزمهم إتمامه، كما أنَّ الإنسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يفترض عليه، لزمه أن يتمه^(٢).

(١) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٤٨٥/٥.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٣٠/٥.

قال القاضي أبو يعلى: والابتداع قد يكون بالقول، وهو ما ينذره ويوجبه على نفسه، وقد يكون بالفعل بالدخول فيه. وعموم الآية تتضمن الأمرين، فافتضى ذلك أن كل من ابتدع قربة، قولاً، أو فعلاً، فعليه رعايتها وإتمامها^(١).

والثاني: أن المعنى: ما أمرناهم منها إلا بما يرضي الله عز وجل، لا غير ذلك، قاله ابن قتيبة^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا﴾ في المشار إليه قولان:

أحدهما: أنهم [الذين]^(٣) ابتدعوا الرهبانية، قاله الجمهور.

ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم ما رعوها لتبديل دينهم وتغييرهم له، قاله عطية العوفي.

والثاني: لتقصيرهم فيما ألزموه أنفسهم.

والثالث: لكفرهم برسول الله ﷺ لما بعث، ذكر القولين الزجاج^(٤).

والثاني: أنهم الذين تبعوا^(٥) مبتدعي الرهبانية في رهبانيتهم، ما رعوها

بسلوك طريق أوليهم، روى هذا المعنى سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(١) لم أقف عليه.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٥٤ - ٤٥٥.

(٣) من (ر)، و(س).

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٣٠ / ٥.

(٥) في (ر): اتبعوا.



قوله تعالى: ﴿فَتَأْتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ فيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: الذين آمنوا بمحمد ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَلَاسِقُونَ﴾ وهم الذين لم يؤمنوا به.

والثاني: [أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا: المؤمنون بعتسى، والفاسقون: المشركون.

والثالث]^(١): أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا: مبتدعو الرهبانية، والفاسقون: متبعوهم على غير القانون الصحيح.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٨) لَيْلَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿[الحديد: ٢٨ - ٢٩].

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ عامة المفسرين على أَنَّ هذا الخطاب لليهود والنصارى.

والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله، وآمنوا برسوله محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي: نصيين، وحظَّين ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال الزجاج: الكفل: كساء يمنع الراكب أن يسقط، فالمعنى: يؤتكم نصيين يحفظانكم من هلكة المعاصي^(٢).

وقد بينا «معنى» الكفل في سورة النساء [آية: ٨٥].

(١) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٥/ ١٣١.

وفي المراد بالكفلين هاهنا قولان:

أحدهما: لإيمانهم بمن تقدّم من الأنبياء، والآخر: لإيمانهم بمحمّد [٧٧٠/أ] ﷺ، قاله ابن عباس.

والثاني: أن أحدهما: أجر الدنيا.

والثاني: أجر الآخرة، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ نُورًا﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه ^(١) القرآن، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ^(٢).

والثاني: نورًا تمشون به على الصراط، رواه أبو صالح عن ابن عباس ^(٣).

والثالث: الهدى، قاله مجاهد.

والرابع: الإيوان، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا يَعْلَمُ﴾.

«لَا»: زائدة، قاله الفراء، والعرب تجعل «لَا» صلةً في كل كلام دخل

في آخره أو في ^(٤) أوله جحد، فهذا مما جعل في آخره جحد ^(٥).

(١) ليست في (ر).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٥٩٠٨)، والطبري في تفسير (٢٣ / ٢١٢).

(٣) ذكره مقاتل ابن سليمان في تفسيره (٤ / ٢٤٧)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٦ / ١٠٧)،

ولواحيدي في التفسير الوسيط (٤ / ٢٥٦).

(٤) ليست في (ر).

(٥) "معاني القرآن" للفراء ٣ / ١٣٧.

والمعنى: ليعلم ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الذين لم يؤمنوا بمحمد ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾؛ أي: أنهم لا يقدرُونَ ﴿عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، والمعنى: أنه جعل الأجرين لمن آمنَ بمحمد ﷺ ليعلم من لم يؤمن به أنه لا أجر لهم ولا نصيب في فضل الله ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ فاتاه المؤمنين.

هذا تلخيص قول الجمهور في هاتين الآيتين.

وقد ذهب قوم إلى أنه لما نزل في مسلمة أهل الكتاب قوله: ﴿الَّذِينَ ءَايَنْتَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٢ - ٥٤] افتخروا على المسلمين بزيادة الأجر، فشق ذلك على المسلمين، فنزلت هاتان الآيتان، وهذا المعنى في رواية أبي صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل^(١).

فعلى هذا يكون الخطاب للمسلمين، ويكون المعنى: يؤتكم أجرين ليعلم مؤمنو أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله الذي خصَّكم به، فإنه فضلكم على جميع الخلائق.

وقال مقاتل^(٢): لما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾... الآية، حسد أهل الكتاب المسلمين عليها، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾... الآية^(٣).

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٢٣٩).

(٢) في (ر): قتادة.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٢٧٨، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢١٤، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٦٨.

سورة المجادلة

وهي مدنية في قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. وروي عن عطاء أنه قال: العشر الأول منها مدني، والباقي مكِّي^(١).
وعن ابن السائب: أنها مدنية سوى آية، وهي قوله تعالى: ﴿يَكُونُ مِنْ تَحْتِ ثَلَاثَةٍ﴾^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾.

أما سبب نزولها: فروي عن عائشة أنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة فكلمت رسول الله ﷺ، وأنا في جانب البيت أسمع كلامها، ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها، وتقول: يا رسول الله! أبلى شباي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك. قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات^(٣).

(١) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٤٨٧/٥.

(٢) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٤٨٧/٥.

(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" ٢٢٨/٤٠ - ٢٢٩ (٢٤١٩٥)، وابن ماجه في "سننه" (٢٠٦٣)، والنسائي في "المجتبى" ١٦٨/٦، وابن أبي عاصم في "السنة" (٦٢٥)، والطبري في =

فَأَمَّا تَفْسِيرُهَا: فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: إِدْغَامُ الدَّالِ فِي السِّينِ حَسَنٌ لِقَرَبِ الْمَخْرَجَيْنِ؛ لِأَنَّهُمَا مِنْ حُرُوفِ طَرَفِ اللِّسَانِ، وَإِدْغَامُ الدَّالِ فِي السِّينِ تَقْوِيَةٌ لِلحَّرَفِ، وَإِظْهَارُ الدَّالِ جَائِزٌ؛ لِأَنَّهُ وَإِنْ قَرَبَ مِنْ مَخْرَجِ السِّينِ، فَلَهُ حِيزٌ عَلَى حُدَّةٍ، وَمِنْ مَوْضِعِ الدَّالِ الطَّاءُ وَالتَّاءُ، فَهَذِهِ الْأَحْرَفُ الثَّلَاثَةُ مَوْضِعُهَا وَاحِدٌ، وَالسِّينُ وَالزَّيَّ وَالصَّادُ مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَهِيَ تَسْمَى: حُرُوفُ الصَّفِيرِ^(١).

[٧٧٠/ب] وفي اسم هذه المجادلة ونسبتها أربعة أقوال:

أحدها: خولة بنت ثعلبة، رواه مجاهد، عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقتادة، والقرظي.

والثاني: خولة بنت خويلد، رواه عكرمة. عن ابن عباس.

والثالث: خولة بنت الصامت، رواه العوفي عن ابن عباس.

والرابع: خولة بنت الدليج، قاله أبو العالية.

واسم زوجها: أوس بن الصامت، وكانا من الأنصار.

قال ابن عباس: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أَنْتِ عَلِيٌّ كَظْهَرِ أُمِّي، حَرَمْتَ عَلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ ظَاهَرَ فِي الْإِسْلَامِ أَوْسٌ، ثُمَّ

"تفسيره" ٢٣/٢٢٥-٢٢٦، وغيرهم. قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" ١٣/٣٧٤: هَذَا أَصَحُّ مَا وَرَدَ فِي قِصَّةِ الْمُجَادِلَةِ وَتَسْمِيَّتِهَا. وَحَسَنُ الْأَلْبَانِيِّ إِسْنَادَهُ فِي تَحْقِيقِهِ "السَّيِّئَةُ" لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ. وَأَصْلُهُ فِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" مُعْلَقًا قَبْلَ حَدِيثِ (٧٣٨٦).

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/١٣٣.



ندم، وقال لامرأته: انطلقني إلى رسول الله ﷺ فسلية. فأتته، فنزلت هذه الآيات^(١).

فأما مجادلتها رسول الله ﷺ، فإنه كان كلما قال لها: قَدْ حُرْمَتْ عَلَيْهِ. تقول: والله ما ذكر طلاقاً، فقال: مَا أَوْحِيَ إِلَيَّ فِي هَذَا شَيْءٌ. فجعلت تشتكي إلى الله عز وجل. وتشتكي بمعنى: تشكو. يُقَالُ: اشتكت ما بي، وشكوته. وقالت: إِنَّ لِي صَبِيَّةً صَغَارًا، إِنْ ضَمَمْتَهُمْ إِلَيْهِ ضَاعُوا، وَإِنْ ضَمَمْتَهُمْ إِلَيَّ جَاعُوا.

فأما التناحر، فهو مراجعة الكلام. قال عنتره في فرسه [من الكامل]:

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمَحَاوَرَةُ اشْتَكَى وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي^(٢)
 ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمُّهُنَّ إِلَّا الَّذِينَ وَلَدْنَهُمْ
 وَأُمُّهُنَّ يَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ۝٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ
 نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ٢ - ٣].

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣ / ٢٢١.

(٢) البيت من الكامل التام، وهو في "ديوان عنتره" طبع بنفقة خليل خوري ص ٨٣ من معلقته المشهورة، و"الخصائص" لابن جني ١ / ٢٥، وفي "شرح ديوان عنتره" للخطيب التبريزي، ص ١٨٣، و"الجمال في النحو" المنسوب للخليل بن أحمد ص ١٣٠، وفيها الشطر الثاني: أو كان يدري ما جواب تكلمي.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «يُظَاهِرُونَ» بفتح الياء، وتشديد الظاء والهاء وفتحها من غير ألف.

وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة والكسائي بفتح الياء، وتشديد الظاء، وبألف، وتخفيف الهاء.

وقرأ عاصم: «يُظَاهِرُونَ» بضم الياء، وتخفيف الظاء والهاء، وكسر الهاء في الموضعين مع إثبات الألف^(١).

وقرأ ابن مسعود: «يتظاهرون» بياء وتاء وألف. وقرأ أبي بن كعب: «يتظَّهرون» بياء وتاء وتخفيف الظاء وتشديد الهاء من غير ألف.

وقرأ الحسن وقتادة والضحاك: «يظهرون» بضم^(٢) الياء وفتح الظاء مخففة، مكسورة الهاء مشددة.

والمعنى: تقولون لمن: أنتن كظهور أمهاتنا.

﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ قرأ الأكثرون بكسر التاء. وروى المفضل عن عاصم رفعها.

والمعنى: ما اللواتي تجعلن كالأمهات بأمهات لهم ﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي: ما أمهاتهم ﴿إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ﴾ قال الفراء: وانتصاب، «الأمهات» هاهنا

(١) هذه القراءات جميعها سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" ص ٢٨، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٢/ ٢٧٨، "جامع البيان في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ٤/ ١٦٣١.

(٢) في (ر): بفتح.



بإلقاء الباء، وهي قراءة عبد الله «ما هن بأمهاتهن»^(١) ومثله: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١].

المعنى: ما هذا يبشر، فلما ألقى الباء أبقى أثرها، وهو: النصب، وعلى هذا كلام أهل الحجاز.

فأما أهل نجد؛ فإنهم إذا ألقوا الباء رفعوا، وقالوا: «ما هن أمهاتهن»، و«ما هذا بشر» أنشدني بعض العرب [من الطويل]:

رِكَابُ حُسَيْلٍ آخِرَ الصَّيْفِ بُدْنٌ وَنَاقَةُ عَمْرِو مَا يُحِلُّ هَا رَحْلُ
وَيَزُعُمُ حِسْلُ أَنَّهُ فَرَعُ قَوْمِهِ وَمَا أَنْتَ فَرَعٌ يَا حُسَيْلُ وَلَا أَصْلُ^(٢)

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني: المظاهرين ﴿لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ﴾ لتشبيههم الزوجات بالأمهات، والأمهات محرمات على التأييد، بخلاف الزوجات ﴿وَزُورًا﴾ أي: كذبًا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ إذ شرع الكفارة لذلك. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾.

اللام في «لما» بمعنى: «إلى»، والمعنى: ثم يعودون إلى تحليل ما حرموا على أنفسهم من وطء الزوجة بالعزم على الوطء.

(١) "ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٤.

(٢) "معاني القرآن" للفرأء ٣/ ١٣٩، والبيتان من الطويل، نسبهما الجاحظ في "الحيوان"

٦/ ٣٦٤ لعمر بن خويلد وبينهما:

إِذَا مَا ابْتَنَيْنَا بَيْنَنَا لِمَعِيشَةٍ يَعُودُ لِمَا بَنَيْنَا فِيهِدُمُ حِسْلُ

[٧٧١/أ] قال الفراء: معنى الآية: يرجعون عمّا قالوا، وفي نقض ما قالوا^(١).

وقال سعيد بن جبير: المعنى: يريدون أن يعودوا للجماع^(٢) الذي قد حرّموه على أنفسهم^(٣).

وقال الحسن، وطاووس، والزهري: العود: هو الوطء^(٤). وهذا يرجع إلى ما قلناه.

وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد الظهر مدة يمكنه طلاقها فيه فلا يطلقها. فإذا وجد هذا، استقرت عليه الكفارة؛ لأنه قصد بالظهر تحریمها، فإن وصل ذلك بالطلاق فقد جرى على ما ابتدأه، وإن سكت عن الطلاق، فقد ندم على ما ابتدأ به، فهو عود إلى ما كان عليه، فحينئذ تجب الكفارة^(٥).

وقال داود: هو إعادة اللفظ ثانيًا؛ لأن ظاهر قوله تعالى: ﴿يَعُودُونَ﴾ يدل على تكرير اللفظ^(٦).

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٣٩.

(٢) في (ر): إلى الجماع.

(٣) ذكره ابن كثير في "تفسيره" ٨/ ٤٠ من طريق ابن لهيعة عن عطاء عنه به.

(٤) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٢٦٠، وزاد نسبه لمقاتل، وابن بطال في "شرح صحيح البخاري" ٧/ ٤٥٠، وأبو المظفر السمعاني في "تفسيره" ٥/ ٣٨٣.

(٥) "الأم" للشافعي ٦/ ٧٠٣، وينظر: "نهاية المطلب في دراية المذهب" للجويني ١٤/ ٤٧٥، "الإشراف على نكت مسائل الخلاف" للقاضي عبد الوهاب بن محمد البغدادي ٢/ ٧٧٣.

(٦) ينظر: "المحلى" لابن حزم ٩/ ١٩٣.

قال الزجاج: وهذا قول من لا يدري اللغة^(١).

وقال أبو علي الفارسي: ليس في هذا كما ادَّعوا؛ لأن العود قد يكون إلى شيء لم يكن الإنسان عليه قبل، وسميت الآخرة معادًا، ولم يكن فيها أحدٌ ثم عاد إليها، قال الهذلي [من الطويل]:

وَعَادَ الْفَتَى كَالطُّفْلِ^(٢) لَيْسَ بِقَائِلٍ سِوَى الْحَقِّ شَيْئًا وَاسْتَرَاخَ الْعَوَاذِلُ^(٣)

وقد شرحنا هذا في قوله تعالى: ﴿وَالِىَ اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

قال ابن قتيبة: من توهم أنَّ الظهار لا يقع حتى يلفظ به ثانية، فليس بشيء؛ لأنَّ النَّاسَ قد أجمعوا أنَّ الظهار يقع بلفظ واحد.

وإنما تأويل الآية: أنَّ أهل الجاهلية كانوا يُطْلَقُونَ بالظهار، فجعل الله حكم الظهار في الإسلام خلافَ حكمه عندهم في الجاهلية، وأنزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ يريد في الجاهلية ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ في الإسلام؛ أي: يعودون لما كانوا يقولونه من هذا الكلام^(٤).

(١) "معاني القرآن وإعرابه" ١٣٥/٥.

(٢) في (ر)، و(س): كالكهل.

(٣) "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ١٣٦/٢ - ١٣٧، والبيت من الطويل، وهو في "ديوان الهذليين" ١٥٠/٢ قاله أبو خراش في قتل زهير بن العجوة أخى بنى عمرو بن الحارث.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٥٦ - ٤٥٧.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ قال المفسرون: المعنى: فعليتهم، أو فكفارتهم تحرير رقة؛ أي: عتقها. وهل يشترط أن تكون مؤمنة؟ فيه عن أحمد روايتان. قوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ وهو: كناية عن الجماع. على أن العلماء قد اختلفوا: هل يباح للمظاهر الاستمتاع باللمس والقبلة؟ وعن أحمد روايتان.

وقال أبو الحسن الأخفش: تقدير الآية: «والذين يظاهرون من نسائهم فتحريرو رقة لما قالوا ثم يعودون إلى نسائهم»^(١).

فَصْلٌ

إذا وطئ المظاهر قبل أن يكفّر أثم، واستقرت الكفارة، وقال أبو حنيفة: يسقط الظهار والكفارة^(٢).

واختلف العلماء فيما يجب عليه إذا فعل ذلك:

فقال الحسن، وسعيد بن المسيب، وطاوس، ومجاهد، وإبراهيم، وابن سيرين: عليه [كفارة]^(٣) واحدة^(٤).

(١) "معاني القرآن" للأخفش ٥٣٧/٢.

(٢) ينظر: "مختصر القدوري" ص ١٦٥، و"المبسوط" للرخسي ٢٢٥/٦.

(٣) من (ر)، و(س).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" ٣٧/٢، ٣٩، ٤٢ (١٨٢٣ ١٨٢٨ ١٨٢٩، ١٨٣٢، ١٨٤٥) عن طاوس والحسن وإبراهيم وابن المسيب.

وقال الزهري، وقتادة، في آخرين: عليه كفارتان^(١).

فإن قال: أنت عليّ كظهر أمي اليوم؛ بطل الظهار بمضي اليوم،
هذا قول أصحابنا، وأبي حنيفة، والثوري، والشافعي.

وقال ابن أبي ليلى، ومالك، والحسن بن صالح: هو مظاهر أبداً^(٢).
واختلفوا في الظهار من الأمة:

فقال ابن عباس: ليس من أمةٍ ظهار^(٣)، وبه قال سعيد بن المسيب،
والشعبي، والنخعي، وأبو حنيفة، وأحمد، والشافعي.

وقال سعيد بن جبير، وطاووس، وعطاء، والأوزاعي، والثوري،
ومالك: هو ظهار^(٤).

ونقل أبو طالب عن أحمد أنه قال: لا يكون مظاهراً من أمته،
ولكن تلزمه كفارة الظهار^(٥)، كما قال في المرأة إذا ظهرت من زوجها: لم [٧٧١/ب]
تكن مظهرةً، وتلزمها كفارة الظهار^(٦).

(١) أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" ٤٣٢/٦ (١١٥٣٠، ١١٥٣١) عن الزهري وقتادة.

(٢) ذكره ابن عبد البر في "الاستذكار" ٤٦/٦، وأبو الوليد الباجي في "المنتقى" ٣٨/٤.

(٣) أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" ٣٨٣/٧.

(٤) ذكره ابن عبد في "الاستذكار" ٥٩/٦.

(٥) ذكره: القاضي أبو يعلى الفراء "المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين"
١٧٧/٢، وابن تيمية الجد في "المحرر" ٨٩/٢.

(٦) ينظر: "المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين" لأبي يعلى الفراء ١٩٢/٢.

واختلفوا فيمن قال: أنت عليّ كظهر أبي: فقال مالك: هو مظاهر، وهو قول أصحابنا، وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يكون مظاهراً.

واختلفوا فيمن ظاهر مراراً:

فقال أبو حنيفة، والشافعي: إن كان في مجالس، فكفارات وإن كان في مجلس واحد، فكفارة^(١).

قال القاضي أبو يعلى: وعلى قول أصحابنا: يلزمه كفارة واحدة، سواء كان في مجلس واحد^(٢)، أو في مجالس، ما لم يكفر^(٣)، وهذا قول مالك. قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ تُوَعِّظُونَ بِهِ﴾ قال الزجاج: ذلكم التغليظ توعظون به^(٤). والمعنى: أن غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تركوا الظهار.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَزِمَ﴾ يعني: الرقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ أي: فعليه صيام شهرين ﴿فَمَنْ لَزِمَ سَطَعَ﴾ الصيام {ف} كفارته ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ ذلك؛ أي: الفرض ذلك الذي وصفنا ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: تصدقوا بأن الله أمر بذلك، وتصدقوا بما أتى به الرسول.

(١) ينظر: "الاختيار لتعليل المختار" لأبي الفضل الحنفي ٣/ ١٦٣، و"الفرر البهية في شرح البهجة الوردية" لزكريا الأنصاري ٤/ ٣١٥.

(٢) ليست في (ر).

(٣) "المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين" لأبي يعلى الفراء ٢/ ١٨٣.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ١٣٥.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يعني: ما وصفه الله من الكفارات في الظهار
 ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: لمن جحد هذا، وكذَّبَ به^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَبَيِّنُ
 وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ
 اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا
 يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَائِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ
 وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
 [المجادلة: ٥ - ٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾ قد ذكرنا معنى المحادة في التوبة،
 ومعنى «كُتِبُوا» في آل عمران عند قوله تعالى: ﴿أَوْيَكِّتُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٧].
 وقال ابن عباس: أخزوا يوم الخندق بالهزيمة كما أخزي الذين من
 قبلهم ممن قاتل الرسل^(٢).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾؛ أي: من قبورهم ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ
 بِمَا عَمِلُوا﴾ من معاصيه، وتضييع فرائضه ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾؛ أي: حفظه الله
 عليهم ﴿وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أعمالهم في السر والعلانية ﴿شَهِيدٌ﴾.
 ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ أي: ألم تعلم.

(١) ذكره البغوي في "معالم التنزيل" ٥٤ / ٨.

(٢) ذكره الطبري في "تفسيره" ٤٦٦ / ٢٢، وأبو حيان في "البحر المحيط" ٨ / ٢٣٣ دون نسبة
 لابن عباس.

قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ وقرأ أبو جعفر «ما تكون»
بالتاء^(١)، قال ابن قتيبة: النجوى السرار^(٢).

وقال الزَّجَّاج: ما يكون من خلوة ثلاثة يسرون شيئاً ويتناجون به إلا
هو رابعهم؛ أي: عالم به. «ونجوى»: مشتق من النجوة، وهو ما ارتفع^(٣). وقرأ
يعقوب: «ولا أكثر» بالرفع^(٤).

وقال الضَّحَّاك: «إلا هو معهم»؛ قال: علمه معهم^(٥).

﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُمْ عَنْهُ وَيَنْجُبُونَ بِالْإِنَّمِ وَالْعُدُونِ
وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا
نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْمَصِيدُ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَنَجَوُا
بِالْإِنَّمِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّفْوَى وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا
النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ٨ - ١٠].

(١) هي قراءة آحاد، ينظر: "شرح طيبة النشر في القراءات" لابن الجزري ص ٣١٧.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٥٧.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٣٧/٥.

(٤) هي قراءة آحاد، ينظر: "المبسوط في القراءات العشر" لأبي بكر النيسابوري ص ٤٣١،
و"الوجيز في شرح قراءات القراءة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة" لأبي علي الأهوازي
ص ٣٥٠.

(٥) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣٧/٢٣، والآجري في "الشرية" ١٠٧٨/٣ (٦٥٥)، وابن
بطة "الإبانة الكبرى" ١٥٢/٧ (١٠٩).

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ آلَتِهِمْ وَنِسَائِهِمْ لَمْ يَرْجُوا فِي مَا نَالُوا كَيْدًا فَلْيشْرَكُوا بِهِ النَّارَ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنها^(١) نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين، ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا ما نراهم إلا قد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا، قتل أو موت، أو مصيبة، فيقع ذلك في قلوبهم، ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى تقدم أصحابهم.

فلما طال ذلك وكثر، شكوا المؤمنون إلى رسول الله ﷺ فأمرهم، أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك، فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس.

والثاني: نزلت في اليهود، قاله مجاهد.

قال مقاتل: وكان بين اليهود وبين رسول الله ﷺ مودة فإذا رأوا رجلاً من المسلمين وحده تناجوا بينهم، فيظن المسلم أنهم يتناجون بقتله، أو بما يكره، فيترك الطريق من المخافة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنهاهم عن [٧٧٢/أ] النجوى، فلم ينتهوا، وعادوا إليها فنزلت هذه الآية^(٢).

وقال ابن السائب: نزلت في المنافقين^(٣). والنجوى: بمعنى: المناجاة ﴿ثُمَّ يَكُونُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ﴾ إلى المناجاة التي نهوا عنها ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ﴾ قرأ حمزة، ويعقوب،

(١) ليست في (ر).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" ٨/ ٨٠، و"لباب النقول في أسباب النزول" ص ٢٠٦ للسيوطي.

(٣) ذكره أبو المظفر السمعاني في "تفسيره" ٥/ ٣٨٦ دون نسبة لأحد.

إلا زيّداً، وروحاً «ويتنجّون»، وقرأ الباقون «ويتناجون» بألف^(١).

وفي معنى مناجيهم^(٢) ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ﴾ وجهان:

أحدهما: يتناجون بما يسوء المسلمين، فذلك الإثم والعدوان ويوصي بعضهم بعضاً بمعصية الرسول.

والثاني: يتناجون بعد نهي الرسول لهم، وذلك هو الإثم والعدوان ومعصية الرسول.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا تَرِيحُكَ بِهِ اللَّهُ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهما: نزلت في اليهود.

قالت عائشة رضي الله عنها: جاء ناسٌ من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: عليك السام^(٣) يا أبا القاسم! فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم، فقال رسول الله ﷺ: "مَهْ يَا عَائِشَةُ! فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ، وَلَا التَّفَحُّشَ". فقلت: يا رسول الله! أليس ترى ما يقولون؟ فقال: "أَلَسْتُ تَرَيْنِي مَا أَرُدُّ عَلَيْهِمْ مَا يَقُولُونَ، وَأَقُولُ: وَعَلَيْكُمْ". قالت: فنزلت هذه

(١) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٢٨، "معاني القراءات" للأزهري ٥٩/٣، "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/٢٨٠، "المبسوط في القراءات العشر" لأبي بكر أحمد بن الحسين النيسابوري ص ٤٣١.

(٢) في (ر)، و(س): تناجيهم.

(٣) في (ر): السام عليك.



الآية في ذلك^(١).

قَالَ الرَّجَّاجُ: وَالسَّامُ: المَوْتُ^(٢).

والثاني: أنها نزلت في المنافقين، رواه عطية عن ابن عباس^(٣).

قال المفسرون: ومعنى «حيوك» سلموا عليك بغير سلام الله عليك، وكانوا يقولون: سام عليك. فإذا خرجوا يقولون في أنفسهم؛ أي^(٤): يقول بعضهم لبعض: لو كان نبياً عذبنا بقولنا له ما نقول.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ﴾ فِيهَا قَوْلَانِ:

أحدهما: أنها نزلت في المنافقين، فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بزعمهم، وهذا قول عطاء ومقاتل^(٥).

والثاني: أنها في المؤمنين، والمعنى: أنه نهاهم عن فعل المنافقين واليهود، وهذا مذهب جماعة، منهم الرَّجَّاجُ^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَنَنَجَّرُوا﴾ هَكَذَا قَرَأَ الْجَمَاعَةُ بِالْأَلْفِ.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٠، ٦٤٠١) بنحوه دون قولها: فَتَرَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ذَلِكَ. وأخرجه بتمامه: مسلم (١١/٢١٦٥)، وأحمد في "مسنده" ٩٣/٩٢ - ٩٣ (٢٥٩٢٤)، وإسحاق بن راهويه في "مسنده" ٨١٥/٣ (١٤٥٥).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٣٧/٥.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/٢٣٩).

(٤) في (ر): أو.

(٥) تفسير مقاتل (٤/٢٦١).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥/١٣٨).

وقرأ يعقوب وحده: «فلا تتنجوا»^(١).

فأما البر؛ فقال مقاتل: هو الطاعة، «والتقوى»: ترك المعصية^(٢).

وقال أبو سليمان الدمشقي: «البر»: الصدق، و«التقوى»: ترك الكذب.

ثم ذكر أن ما يفعله اليهود والمنافقون، من الشيطان، فقال تعالى ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾؛ أي: من تزينه، والمعنى: إنما يزين لهم ذلك ﴿لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وقد بينا أننا ما كان يحزن المؤمنين من هذه النجوى ﴿وَلَيْسَ بِضَارٍّ لَهُمْ شَيْئًا﴾؛ أي: وليس الشيطان بضار المؤمنين شيئاً ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: بإرادته ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: فليكلوا أمورهم إليه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ وقرأ عاصم: «في المجالس» على الجمع^(٣)، وذلك لأن كل جالس له مجلس،

(١) ظاهر كلام ابن الجوزي أنها بتاءين ثم نون ثم جيم، كقراءة الجميع لكن بحذف الألف كما هي مثبتة، غير أن ابن خالويه قال في "مختصر في شواذ القرآن" ص ١٥٤: "إن انتجيتم فلا تتنجوا" عن يعقوب. وقال أبو بكر أحمد بن الحسين النيسابوري في "المبسوط في القراءات العشر" ص ٤٣١: قرأ يعقوب برواية رويس: "فَلَا تَنْجُوا" بالنون والتاء وضم الجيم من غير ألف.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤ / ٢٦١، وذكره عنه أيضاً: الواحدي في "البيضا" ٢١ / ٣٤٤.

(٣) هي قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٢٨، و"الحجة للقراء"

فالمعنى: ليفسح كل رجل منكم في مجلسه.

قال المفسرون: نزلت في نفرٍ من المؤمنين كانوا يسابقون إلى مجلس رسول الله ﷺ، فإذا أقبل المهاجرون وأهل السَّابقة، لم يجدوا موضعًا، وكان [٧٧٢/ب] رسول الله ﷺ يحبُّ أن يليه أولو الفضل ليحفظوا عنه، فبينما رسول الله ﷺ يوم الجمعة جالس في صفة ضيقة في المسجد، جاء نفرٌ من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس بن شماس، فسلموا وانتظروا أن يوسعوا لهم، فأوسعوا لبعضهم، وبقي بعضهم، فشقَّ ذلك على رسول الله ﷺ فقال: "قُمْ يَا فَلَانُ، قُمْ يَا فَلَانُ". حتى أقام من المجلس على عدة من هو قائم من أهل السَّابقة، فرأى رسول الله ﷺ في وجوه مَنْ أقامهم الكراهة، وتكلم المنافقون في ذلك، وقالوا: وَاللَّهِ مَا عَدَلَّ. فنزلت هذه الآية^(١).

وقال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ، فإذا أقبل مقبل ضنوا بمجلسهم، فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض^(٢).

قال المفسرون: ومعنى "تفسحوا" توسعوا وذلك أنهم كانوا يجلسون متضايقين حول رسول الله ﷺ فلا يجد غيرهم مجلسًا عنده؛ فأمرهم أن يوسعوا لغيرهم ليتساوى الناس في الحظِّ منه، وتظهر فضيلة المقربين إليه

=السبعة" لأبي علي الفارسي ٢٨٠/٦.

(١) هذه الرواية في "تفسير مقاتل بن سليمان" ٢٦٢/٤، وأخرجها ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨٢/٨، وذكرها الثعلبي في "الكشف والبيان" ٢٥٨/٩-٢٥٩ عن المقاتلين، والبغوي في "معالم التنزيل" ٤٤/٥ عن مقاتل بن حيان.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢٩٣/٣ (٣١٧٤)، والطبري في "تفسيره" ٢٤٤/٢٣، قال النحاس في "إعراب القرآن" ٢٥٢/٤: وصح عن قتادة أنه قال. ثم ذكره.

من أهل بدر وغيرهم.

وفي المراد «بالمجلس» هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه مجلس [الحرب]^(١)، ومقاعد القتال، كان الرجل يأتي القوم في الصف، فيقول لهم: توسعوا، فيأبون عليه لحرصهم على القتال، وهذا قول ابن عباس والحسن وأبي العالية، والقرظي.

والثاني: أنه مجلس رسول الله ﷺ، قاله مجاهد.

وقال قتادة: كان هذا للنبي ﷺ ومن حوله خاصة^(٢).

والثالث: مجالس الذكر كلها، روي عن قتادة أيضًا.

وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، ومجاهد، والحسن، وعكرمة، وقتادة، وابن أبي عبله، والأعمش: «تفسحوا في المجالس» بألف على الجمع^(٣).

قوله تعالى: ﴿يَفْسَحُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: يوسع الله لكم الجنة، والمجالس فيها. ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «انشروا فانشروا» برفع الشين.

(١) في الأصل: لحرب، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٤٤ عن الضحاك، وذكره عنه أيضًا: مكّي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية" ١١/ ٧٣٦٥.

(٣) هي قراءة سبعة قرأ بها عاصم أيضًا، وقد سبق نخرجها قريبًا.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: بكسر الشين فيهما^(١).

ومعنى «انشزوا»: قوموا، قال الفراء: وهما لغتان^(٢).

وفي المراد بهذا القيام خمسة أقوال:

أحدها: أنه القيام إلى الصلاة، وكان رجالٌ يتناقلون عنها، فقليل لهم: إذا نودي للصلاة فانهضوا، هذا قول عكرمة والضحاك.

والثاني: أنه القيام إلى قتال العدو، قاله الحسن.

والثالث: أنه القيام إلى كل خير من قتال أو أمر بمعروف ونحو ذلك، قاله مجاهد.

والرابع: أنه الخروج من بيت رسول الله ﷺ، وذلك أنهم كانوا إذا جلسوا في بيت رسول الله ﷺ أطالوا ليكون كل واحد منهم آخرهم عهدًا به، فأمرُوا أن ينشزوا إذا قيل لهم انشزوا، قاله ابن زيد.

والخامس: أن المعنى: قوموا وتحركوا وتوسعوا لإخوانكم، قاله الثعلبي^(٣).

قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ أي: يرفعهم بإيمانهم على من ليس بمنزلتهم من الإيمان {و} {يرفع الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} على من [٧٧٣/أ]

(١) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٢٩، و"التيسير في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ص ٢٠٩.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٤١.

(٣) "الكشف والبيان" ٩/ ٦٢.

ليس بعالم.

وهل هذا الرفع في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه وجهان:

أحدهما: أنه إخبار عن ارتفاع درجاتهم في الجنة.

والثاني: أنه ارتفاع مجالسهم في الدنيا، فيكون ترتيبهم فيها بحسب فضائلهم في الدين والعلم.

وكان ابن مسعود يقول: أيها الناس: افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم، فإن الله يرفع المؤمن العالم فوق من لا يعلم درجات^(١).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَةٌ ذٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٣) ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقْتُمْ فَاذَلْنٰمْ فَعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقْبِمُوا الصَّلٰوةَ وَءَاتُوا الزَّكٰوةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؕ وَاللَّهُ خَيْرٌ يَّمَا تَعْمَلُونَ ﴿[المجادلة: ١٢ - ١٣].

قوله تعالى: ﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن الناس سألوا رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فأنزل هذه الآية قاله ابن عباس.

والثاني: أنها نزلت في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يكثرون مناجاة رسول الله ﷺ، ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره رسول الله ﷺ ذلك، فنزلت هذه الآية.

(١) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٦٠.

فأما أهل العسرة؛ فلم يجدوا شيئاً، وأما أهل الميسرة فبخلوا، واشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فنزلت الرخصة قاله مقاتل بن حيان^(١)، وإلى نحوه ذهب مقاتل بن سليمان، إلا أنه قال: فقدر الفقراء حينئذ على مناجاة رسول الله ﷺ، ولم يقدم أحد من أهل الميسرة صدقة غير علي بن أبي طالب^(٢).

وروى مجاهد عن علي رضي الله عنه قال: آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلي، ولن يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى؛ كان لي دينار، فبعته بعشرة دراهم، فكلما أردت أن أناجي رسول الله ﷺ قدمت درهماً، فنسختها الآية الأخرى: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا﴾... الآية^(٣).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾؛ أي: تقديم الصدقة على المناجاة خير لكم، لما فيه من طاعة الله، وأطهر لذنوبكم ﴿فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا﴾ يعني: الفقراء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إذ عفا عن لا يجد.

قوله تعالى: ﴿أَشْفَقْتُمْ﴾؛ أي: خفتم بالصدقة الفاقة ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: فتجاوز عنكم، وخفف بنسخ إيجاب الصدقة.

(١) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٦١، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٨٤.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٢٦٣.

(٣) أخرجه الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٢٦٦ (١١٧٦)، والمصنف في "ناسخ القرآن ومنسوخه" ص ٢٠٢-٢٠٣ (٢٠٤).

قال مقاتل بن حيان: إنما كان ذلك عشر ليال^(١). وقال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار^(٢).

﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١١) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تَغْنَى عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَخَوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَنَسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٤ - ١٩].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ نزلت في المنافقين الذين تولوا اليهود، ونقولوا إليهم أسرار المؤمنين.

قال السدي، ومقاتل: نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق، وذلك أنه كان يجالس رسول الله ﷺ ويرفع حديثه إلى اليهود، فدخل عليه يوماً، وكان أزرق، فقال له رسول الله ﷺ: "عَلَامَ تَشْتُمْنِي أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟" فحلف بالله ما فعل، فقال له النبي ﷺ: "فَعَلْتَ" فانطلق فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما سبوه، فأنزل الله هذه الآيات^(٣).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨ / ٨٤.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣ / ٢٩٥ (٣١٧٨)، والطبري في "تفسيره" ٢٣ / ٢٤٩، ومن طريق عبد الرزاق أخرجه المصنف في "ناسخ القرآن ومنسوخه" ص ٢٠٣.

(٣) ذكره الواحدي في "أسباب النزول" ص ٧١٣، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" ٨ / ٨٥ لابن أبي حاتم وعبد بن حميد.

وروى الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه» من حديث ابن عباس، أن رسول الله ﷺ كان في ظل حجرة من حجره، وعنده نفر من المسلمين، فقال: "[إِنَّهُ] ^(١) سَيَأْتِيَكُمْ إِنْسَانٌ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ بِعَيْنَيْ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَتَاكُمْ فَلَا تُكَلِّمُوهُ". فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: "عَلَامَ تَشْتُمْنِي أَنْتَ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ؟" فانطلق الرجل فدعاهم، فحلفوا بالله واعتذروا إليه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ﴾... الآية ^(٢).

فأما التفسير؛ فالذين تولوهم: المنافقون، والمغضوب عليهم: هم اليهود ﴿مَّا هُمْ مِّنْكُمْ﴾ يعني: المنافقين ليسوا من المسلمين، ولا من اليهود ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ وهو ما ذكرنا في سبب نزولها.

وقال بعضهم: حلفوا أنهم ما سبوا رسول الله ﷺ ولا تولوا اليهود ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم [كذبة] ^(٣).

﴿أَتَّخِذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾؛ أي: ستره يتقون بها القتل.

قال ابن قتيبة: المعنى: استتروا بالحلف فكلما ظهر لهم شيء يوجب معاقبتهم حلفوا كاذبين ^(٤).

(١) من (ر).

(٢) "المستدرك على الصحيحين" لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ٥٦٨/٢ وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُجَرِّجْهُ.

(٣) في الأصل: كذبوه، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٦٧.

﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: صدوا الناس عن دين الإسلام، قاله السدي.

والثاني: صدوا عن جهادهم بالقتل وأخذ مالهم.

قوله تعالى: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾.

قال مقاتل، وقادة: يحلفون لله في الآخرة أنهم كانوا مؤمنين، كما حلفوا لأوليائه في الدنيا^(١). ﴿وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من أيماهم الكاذبة ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ في قولهم وأيماهم.

قوله تعالى: ﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾.

قال أبو عبيدة: غلب عليهم، وحاذهم، وقد بينا هذا في سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَسْتَحْوِذْ عَلَيْهِمْ﴾ [آية: ١٤١] وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾؛ أي: في المغلوبين، فلهم في الدنيا ذلٌّ، وفي الآخرة خزيٌّ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة: ٢٠ - ٢٢].

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٢٦٤، وأخرجه عن قتادة: عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٢٩٥ (٣١٨١)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٥٥.

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: قضى الله ﴿لَا غَلَبَ أَناَ وَرُسُلِي﴾ وفتح الياء نافع، وابن عامر^(١).

قال المفسرون: من بعث من الرسل بالحرب، فعاقبة الأمر له، ومن لم يبعث بالحرب، فهو غالب بالحجة ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾؛ أي: مانع حزبه من أن يذل.

قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾... الآية.

اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

أحدها: نزلت في أبي عبيدة بن الجراح، قتل أباه يوم أحد، وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، فقال: يا رسول الله! دعني أكون في الرعدة الأولى فقال: مَتَّعْنَا بِنَفْسِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ. وفي مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن عمير^(٢) يوم أحد، وفي عمرو قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر، وفي علي وحمزة قتلا عتبة وشيبة يوم بدر، قاله ابن مسعود^(٣).

والثاني: أنها نزلت في أبي بكر الصديق، وذلك أن أبا قحافة سب رسول الله ﷺ، فصكّه أبو بكر الصديق صكّةً شديدة سقط منها، ثم ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أَوْفَعَلْتَهُ» قال: نعم! قال:

(١) هي قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٢٩، و"العنوان في القراءات السبع" لأبي طاهر إسماعيل بن خلف السرقسطي ص ١٨٧.

(٢) كذا في الأصل، و(س)، وفي (ر): حنة.

(٣) أخرجه مقاتل بن حيان من حديث عبد الله بن مسعود كما في "الكشف والبيان" للثعلبي ٩/ ٢٦٤، و"معالم التنزيل" للبخاري ٥/ ٥٠.

"فَلَا تَعُدِّ إِلَيْهِ". فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريباً مِنِّي لقتلته. فنزلت هذه الآية، قاله ابن جريج^(١).

والثالث: أنها نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبيّ، وذلك أنه كان جالساً إلى جنب رسول الله، فشرب رسول الله ماءً، فقال عبد الله: يا رسول الله! أبقى فضلةً من شرابك. قال: "وَمَا تَصْنَعُ بِهَا؟" قَالَ: أَسْقِيهَا أَبِي، لعل الله سبحانه يطهر قلبه. ففعل فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ قال: فضلة من شراب رسول الله ﷺ جئتُك بها لتشربها، لعل الله يطهر قلبك. [٧٧٤/أ] فقال: هلا جئتني ببول أمك. فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي في قتل أبي، قال: فقال: رسول الله ﷺ: "ارْزُقْ بِهِ، وَأَخْسِنْ إِلَيْهِ". فنزلت هذه الآية قاله السُّدِّيُّ^(٢).

والرابع: أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة يخبرهم أن رسول الله ﷺ قد عزم على قصدهم، قاله مقاتل^(٣)، واختاره الفراء والزجاج^(٤).

وهذه الآية قد بينت أن مودة الكفار تقدح في صحة الإيمان، وأن من كان مؤمناً لم يوال كافرين وإن كان أباه أو ابنه أو أحداً من عشيرته.

(١) أخرجه ابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨٦/٨.

(٢) ذكرها الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/٢٦٤.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/٢٦٥.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٣/١٤٢، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/١٤١.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ﴾، يعني: لا يوادون من حاد الله ورسوله
﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ وقرأ المفضل عن عاصم: «كُتِبَ» برفع
الكاف، والنون من «الإيمان»^(١).

وفي معنى «كتب» خمسة أقوال:

أحدها: أثبت في قلوبهم الإيمان، قاله الربيع بن أنس.

والثاني: جعل، قاله مقاتل^(٢).

والثالث: كتب في اللوح المحفوظ أن في قلوبهم الإيمان حكاه الماوردي^(٣).

والرابع: حكم لهم بالإيمان. وإنما ذكر القلوب؛ لأنها موضع الإيمان
ذكره الثعلبي^(٤).

والخامس: جمع في قلوبهم الإيمان حتى استكملوه، قاله الواحدي^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَيَّدَهُم﴾؛ أي: قواهم.

﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ وفي المراد «بالروح» هاهنا خمسة أقوال:

(١) هي قراءة آحاد، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٠، "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي
الفارسي ٢٨٢/٦.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٢٦٦/٤.

(٣) "النكت والعيون" للماوردي ٤٩٦/٥.

(٤) "الكشف والبيان" للثعلبي ٢٦٥/٩.

(٥) "البيضا" ٣٥٨/٢١، و"الوسيط" ٢٦٨/٤ للواحدي.

أحدها: أنه النصر، قاله ابن عباس، والحسن. فعلى هذا سمي النصر روحاً؛ لأنَّ أمرهم يحيا به.

والثاني: الإيمان، قاله السدي.

والثالث: القرآن، قاله الربيع.

والرابع: الرحمة، قاله مقاتل^(١).

والخامس: جبريل عليه السلام أيدهم به يوم بدر ذكره الماوردي^(٢).

فأما ﴿حَزَبُ اللَّهِ﴾ فقال الزجاج: هم الداخلون في الجمع الذين اصطفاهم الله وارتضاهم، و«ألا» كلمة تنبيه وتوكيد للقصة.

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٢٦٦/٤.

(٢) "النكت والعيون" للماوردي ٤٩٦/٥.

سُورَةُ الْحَشْرِ

وهي مدنيّة كلّها بإجماعِهِم.

وذكر المفسرون أنّ جميعها نزل^(١) في بني النضير. وكان ابن عباس يسمّي هذه السورة «سورة بني النضير»^(٢).

وهذه الإشارة إلى قصتهم

ذكر أهل العلم بالتفسير والسير: أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى مسجد قباء، ومعه نفرٌ من أصحابه، فصلّى فيه، ثم أتى بني النضير، فكلمهم أن يعينوه في دية رجلين كان قد آمنهما، فقتلها عمرو بن أمية الضمري وهو لا يعلم، فقالوا: نفعل. وهُمُوا بالغدر به، وقال عمرو بن جحاش: أنا أظهر على البيت، فأطرح عليه صخرة.

فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا، والله ليخبرن بما هممتهم به، وجاء رسول الله ﷺ الخبر، فنهض سريعاً، فتوجه إلى المدينة، فلحقه أصحابه، فقالوا: قمت ولم نشعر؟ فقال: "هَمَّتْ يَهُودُ بِالْغَدْرِ، فَأَخْبَرَنِي اللَّهُ بِذَلِكَ، فَقُمْتُ".

وبعث إليهم رسول الله محمد بن مسلمة: "أَنْ اخْرُجُوا مِنْ بَلَدِي، فَلَا تُسَاكِنُونِي، وَقَدْ هَمَمْتُمْ بِمَا هَمَمْتُمْ بِهِ، وَقَدْ أَجَلْتُكُمْ عَشْرًا، فَمَنْ رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ".

(١) في (ر): أنزلت.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨٣) عن سعيد بن جبير عنه.

فمكثوا أياماً يتجهزون، فأرسل إليهم ابنُ أبيٍّ: لا تخرُجوا، فإنَّ معي ألفين من قومي وغيرهم، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان.

[٧٧٤/ب] وطمع حييٌّ فيما قال ابنُ أبيٍّ، فأرسل إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج، فاصنع ما بدا لك. فكبرَ رسول الله ﷺ، وكبرَ المسلمون لتكبيره، وقال: "حَارَبَتْ يَهُودُ".

ثم سار إليهم في أصحابه، فلما رآوه، قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة، فاعتزلتهم قريظة، وخذلهم ابنُ أبيٍّ، وحلفاؤهم من غطفان، وكان رئيسهم كعب بن الأشرف قد خرج إلى مكة فعاقد المشركين على التظاهر على رسول الله، فأخبر الله نبيُّه بذلك، فبعث محمد بن مَسْلَمَةَ فاغتره فقتله، وحاصرهم رسول الله وقطع نخلهم، فقالوا: نحن نخرج عن بلادك. فأجلاهم عن المدينة، فمضى بعضهم إلى الشام، وبعضهم إلى خيبر، وقبض أموالهم وسلاحهم^(١)، فوجد خمسين درعاً، وخمسين بيضةً، وثلاثمائة وأربعين سيفاً^(٢).

فأمَّا التفسير؛ فقد ذكرنا فاتحة هذه السورة في الحديد.

(١) في (ر): سلاحهم وأموالهم.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" ٣٥٨/٥ (٩٧٣٣)، وأبو داود في "سننه" (٣٠٠٤)، والبيهقي في "دلائل النبوة" ١٧٨/٣ - ١٧٩ من طريق عبد الرزاق عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه، وزاد السيوطي في "الدر المنثور" ٩٣/٨ عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلََاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْ هَا فَاقِمْ عَلَى أَصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ١ - ٥].

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: يهود بني النضير ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ أي: من منازلهم.

﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنهم أول من حشر وأخرج من داره، قاله ابن عباس (١).

وقال ابن السائب: هم أول من نفى من أهل الكتاب (٢).

والثاني: أن هذا كان أول حشرهم، والحشر الثاني: إلى أرض المحشر يوم القيامة، قاله الحسن.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" كما في "تفسير ابن كثير" ٥٩ / ٨.

(٢) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٢٧٠ / ٤.

قال عكرمة: من شك أن المحشر إلى الشام فليقرأ هذه الآية، وأن النبي ﷺ قال لهم يومئذ: "اخْرُجُوا". فقالوا: إلى أين؟ قال: "إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ" (١).

والثالث: أن هذا كان أول حشرهم.

والحشر الثاني: نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، قاله قتادة.

والرابع: أن هذا كان أول حشرهم من المدينة، والحشر الثاني من خير.

وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام في أيام عمر بن الخطاب، قاله مرة الهمداني.

قوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ يخاطب المؤمنين ﴿أَنْ يَخْرُجُوا﴾ من ديارهم لغزهم، ومنعتهم، وحصونهم ﴿وَعُتِبُوا﴾ يعني: بني النضير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله ﴿فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ وذلك أنه أمر نبيه بقتالهم وإجلالهم، ولم يكونوا يظنون أن ذلك يكون ولا يحسبونه.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ خوفهم من رسول الله ﷺ، وقيل: لقتل سيدهم كعب بن الأشرف.

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأ أبو عمرو: «يُخْرِبُونَ» بالتشديد، وقرأ الباكون «يُخْرِبُونَ» بالتخفيف (٢).

(١) أخرجه عبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٩٢/٨.

(٢) كلنا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٢، و"معاني القراءات للأزهري" للأزهري ٦٣/٣، و"التيسير في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ص ٢٠٩.

وهل بينهما [فرق] ^(١)، أم لا؟ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ المشددة معناها: النقض والهدم. والمخففة معناها: يخرجون منها ويتركونها خراباً معطّلةً، حكاه ابن جرير.

وروي عن أبي عمرو أنّه قال: إنما اخترت التشديد؛ لأنَّ بني النضير نقضوا منازلهم، ولم يرتحلوا عنها وهي معمورة ^(٢).

والثاني: أن القراءتين بمعنى واحد.

والتّخريب والإخراب: لغتان بمعنى، حكاه ابن جرير عن أهل اللغة ^(٣).

وللمفسرين فيما فعلوا بمنازلهم أربعة أقوال:

أحدها: أنّه كان المسلمون كلما ظهروا على دارٍ من دُورهم هدموها ليتسع لهم مكان القتال وكانوا هم ينقبون دورهم، فيخرجون إلى ما [٧٧٥/أ] يليها، قاله ابنُ عباسٍ.

والثاني: أنّه كان المسلمون كلما هدموا شيئاً من حصونهم نقضوا ما ينون به الذي خربه المسلمون، قاله الضحاك.

والثالث: أنهم كانوا ينظرون إلى الخشبة في منازلهم، أو العمود، أو الباب، فيستحسنونه، فيهدمون البيوت، وينزعون ذلك منها، ويحملونه معهم، ويُحَرَّبُ المؤمنون باقيها، قاله الزهري.

(١) في الأصل: فراق، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) "تفسير الطبري" ٢٣/٢٦٦.

(٣) "تفسير الطبري" ٢٣/٢٦٦.

والرابع: أنهم كانوا يخربونها لئلا يسكنها المؤمنون، حسداً منهم، وبغياً، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿فَاغْتَبِرُوا يَأُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾.

الاعتبار: النظر في الأمور، ليعرف بها شيء آخر من جنسها. «والأبصار»: العقول، والمعنى: تدبروا ما نزل بهم.

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ﴾؛ أي: قضى ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ وهو خروجهم من أوطانهم.

وذكر الماوردي بين الإخراج والجلأ فرقين:

أحدهما: أن الجلاء: ما كان مع الأهل والولد، والإخراج: قد يكون مع بقاء الأهل والولد.

والثاني: أن الجلاء لا يكون إلا للجماعة، والإخراج: قد يكون لواحد والجماعة^(١). والمعنى: لولا أن الله قضى عليهم بالخروج ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي كما فعل بقريظة.

﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ مع ما حل بهم في الدنيا ﴿عَذَابُ النَّارِ﴾ ذلك الذي أصابهم ﴿يَا نَبِيَّ شَأْنُ اللَّهِ﴾ وقد سبق بيان الآية.

قال القاضي أبو يعلى: فقد دللت هذه الآية على جواز مصالحة أهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير سبي ولا استرقاق، ولا جزية، ولا

(١) "النكت والعيون" للماوردي ٥/٥٠١.

دخول في ذمة، وهذا حكم منسوخ إذا كان في المسلمين قوة على قتالهم؛ لأن الله تعالى أمر بقتال الكفار حتى يسلموا، أو يؤدوا الجزية، وإنما يجوز هذا الحكم إذا عجز المسلمون عن مقاومتهم فلم يقدرُوا على إدخالهم في الإسلام أو الذمة، فيجوز له حينئذٍ مصالحتهم على الجلاء من بلادهم.

وفي هذه القصة دلالة على جواز مصالحتهم على مجهول من المال؛ لأن النبي ﷺ صالحهم على أرضهم، وعلى الحلقة، وترك لهم ما أقلت الإبل، وذلك مجهول.

قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ﴾.

سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير، وقطع، فنزلت هذه الآية، أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر^(١).

وذكر المفسرون أنه لما نزلت بيني النضير تحصنوا في حصونهم، فأمر بقطع نخيلهم، وإحراقها، فجزعوا، وقالوا: يا محمد! زعمت أنك تريد الصلاح، أفمن الصلاح عقر الشجر، وقطع النخل؟! وهل وجدت فيما أنزل عليك الفساد في الأرض؟! فشق ذلك على رسول الله ﷺ ووجد المسلمون في أنفسهم من ذلك^(٢).

اختلف المسلمون فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا. وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها، فنزلت هذه الآية، بتصديق من نهي عن قطعه،

(١) "صحيح البخاري" (٤٠٣١)، و"صحيح مسلم" (١٧٤٦).

(٢) في (ل)، و(س): قولهم.

وتحليل من قطعه من الإثم، وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله تعالى.

وفي المراد «باللينة» ستة أقوال:

أحدها: أنه النخل كلُّه ما خلا العجوة، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(١)، وبه قال عكرمة^(٢) وقتادة^(٣) والفراء^(٤).

[٧٧٥/ب] والثاني: أنه النخل والشجر، رواه عطاء عن ابن عباس^(٥).

والثالث: أنه ألوان النخل كلها إلا العجوة، والبرنية، قاله الزهري^(٦)، وأبو عبيدة^(٧)، وابن قتيبة^(٨).

(١) أخرجه الفراء في "معاني القرآن" ٣/ ١٤٤.

(٢) أخرجه يحيى بن سلام في "تفسيره" ٢/ ٧١٢، وابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٧/ ٥٩٠ (٣٣٨٢٨)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٦٩، وزاد السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٩٨ عزوه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٢٩٧ (٣١٨٧)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٦٩.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٤٤.

(٥) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٧١.

(٦) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٦٩، وزاد السيوطي في "الدر المنثور" ٨/ ٩٨ عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر، وذكره البخاري معلقاً قبل حديث (٤٨٨٤) دون نسبة لأحد.

(٧) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٦.

(٨) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٥٩.

وقَالَ الرَّجَّاجُ: أهل المدينة يُسَمُّونَ جميعَ النخيل: الألوان، ما خلا البرني، والعجوة. وأصل «لينة»: لونة، فقلبت الواو ياء؛ لانكسار ما قبلها^(١).

والرَّابِعُ: أنها النخل كُلُّه، قاله مجاهد، وعطية، وابن زيد.

قال ابن جرير. معنى الآية: ما قطعتم من ألوان النخل^(٢).

والخامس: أنها كرام النخل، قاله سفيان.

والسَّادِسُ: أنها ضرب من النخل، يقال لتمرها: اللون، وهي شديد الصفرة ترى نواه من خارج، وكان أعجب ثمرهم إليهم^(٣)، [قاله مقاتل]^(٤).

وفي عدد ما قطع المسلمون ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم قطعوا وأحرقوا ستَّ نخلات، قاله الضحاك.

والثاني: أحرقوا نخلة، وقطعوا نخلة، قاله ابن إسحاق.

والثالث: قطعوا أربع نخلات، قاله مقاتل^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيَاذَنِ اللَّهُ﴾ قال يزيد بن رومان، ومقاتل: بأمر الله^(٦).

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٤٤/٥.

(٢) "تفسير الطبري" ٢٣/٢٦٨.

(٣) أشار ناسخ الأصل إلى نسخة فيها: إليه.

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/٢٧٧.

(٦) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/٢٧٧، وأخرجه عن يزيد بن رومان: الطبري في "تفسيره"

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ يعني: اليهود. وخزيمهم: أن يريهم أموالهم يتحكم فيها المؤمنون كيف أحبوا.
والمعنى: وليخزي الفاسقين، أذن في ذلك، ودلّ على المحذوف قوله: ﴿فَيَاذَنِ اللَّهُ﴾.

﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦) مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خُذُوا مِنْ مَّائِنَتِكُمْ عَنْهُ فَأَتَاهُوا وَآتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّطُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٦ - ١٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ﴾ أي ما ردّ عليهم ﴿مِنْهُمْ﴾ يعني: من بني النضير.

﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ قال أبو عبيدة: الإيجاف: الإيضاع، والركاب: الإبل^(١). قال ابن قتيبة: يقال وجف الفرس والبعير،

(١) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٦.

وأوجفته، ومثله: الإيضاع، وهو الإسراع في السير^(١).

وقال الزّجاج: معنى الآية: أنه لا شيء لكم في هذا، إنما هو لرسول الله ﷺ خاصّة^(٢).

قال المفسّرون: طلبَ المسلمون من رسول الله ﷺ أن يَخمسَ أموالَ بني النضير لما أجلّوا، فنزلت هذه الآية تُبَيِّنُ أنها فيء لم تحصل لهم بمحاربتهم، وإنما هو بتسليط رسول الله ﷺ، فهو له خاصّة يفعل فيه ما يشاء، فقَسَّمه رسول الله ﷺ بين المهاجرين، ولم يُعطِ الأنصارَ منه شيئاً، إلّا ثلاثة نفرٍ كانت بهم حاجة، وهم: أبو دجانة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصّمّة.

ثُمَّ ذكر حكم الفِئء؛ فقال تعالى: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾؛ أي: من أموال كفار أهل القرى ﴿فَلِلَّهِ﴾؛ أي: يأمركم فيه بما أحبّ، {وَلِرَسُولِهِ} بتحليل الله إيّاه. وقد ذكرنا ذوي القرى واليتامى في الأنفال، وذكرنا هناك الفرق بين الفِئء والغنيمة.

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٦٠.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٤٥/٥.

فَضْلٌ

واختلف العلماء في حُكْم هذه الآية:

فذهب قومٌ أن المراد بالفِيء هَاهُنَا: الغنِمةُ التي يأخذها المسلمون من أموال الكافرين عنوةً، وكانت في بدو الإسلام للذين سَمَّاهم الله هَاهُنَا دون [الغالبين] ^(١) الموجهين عليها، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى في الأنفال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾... الآية [آية: ٤١] هذا قول قتادة، ويزيد بن رومان.

وذهب قومٌ إلى أن هذا الفِيء: ما أخذ من أموال المشركين ما لم يوجف بخيلٍ ولا ركابٍ؛ كالصلح، والجزية، والعشور، ومال من مات منهم في دار الإسلام ولا وارث له، فهذا كان يقسم في زمنِ رسول الله ﷺ خمسةَ أخماسٍ، فأربعةٌ لرسول الله ﷺ يفعل بها ما يشاء، والخمُسُ الباقي للمذكورين في هذه الآية.

واختلف العلماء فيما يُصنع بسهمِ رسول الله ﷺ بعد موته على ما بينا في الأنفال، فعلى هذا تكون هذه الآية مثبتةً لحكم الفِيء، والتي في الأنفال مثبتة لحكم الغنِمة فلا يتوجه النسخ.

قوله تعالى: ﴿كَئِنْ لَا يَكُونُ﴾ يعني: الفِيء ﴿دَوْلَةً﴾: وهو اسمٌ للشيء يتداوله القوم. والمعنى: لئلا يتداوله الأغنياء بينهم فيغلبوا الفقراء عليه.

(١) في الأصل: العالمين، والمثبت من سائر النسخ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: الدَّوْلَةُ: اسْمُ الشَّيْءِ يَتَدَاوَلُ. والدَّوْلَةُ، بالفتح: الفعل والانتقال من حالٍ إلى حالٍ^(١).

﴿وَمَاءَ أَنْتُمْ الرُّسُولُ﴾ مِنْ الْفِيءِ ﴿فَخَذُوهُ وَمَا نَهَكُم﴾ عَنْ أَخْذِهِ فَاَنْتَهُوْا، وَهَذَا نَزَلَ فِي أَمْرِ الْفِيءِ، وَهُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ، وَنَهَى عَنْهُ. قَالَ الزَّجَّاجُ: ثُمَّ بَيَّنَّ مِنَ الْمَسَاكِينِ الَّذِينَ لَهُمُ الْحَقُّ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾^(٢). قَالَ الْمَفْسُرُونَ: يَعْنِي بِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ﴾؛ أَي: رِزْقًا يَأْتِيهِمْ ﴿وَرِضْوَانًا﴾ رِضَى رَبِّهِمْ حِينَ خَرَجُوا إِلَى دَارِ الْهَجْرَةِ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ فِي إِيْمَانِهِمْ.

ثُمَّ مَدَحَ الْأَنْصَارَ حِينَ طَابَتْ أَنْفُسُهُمْ عَنِ الْفِيءِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ يَعْنِي: دَارَ الْهَجْرَةِ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ ﴿وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فِيهَا تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ مِنْ قَبْلِهِمْ؛ أَي: مِنْ قَبْلِ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْإِيمَانَ عَطَفَ عَلَى «الدَّارِ» فِي الظَّاهِرِ، لَا فِي الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ «الْإِيمَانَ» لَيْسَ بِمَكَانٍ يَتَبَوَّأُ، وَإِنَّمَا تَقْدِيرُهُ: وَآثَرُوا الْإِيمَانَ، وَإِسْلَامَ الْمُهَاجِرِينَ قَبْلَ الْأَنْصَارِ، وَسَكَنَى الْأَنْصَارُ الْمَدِينَةَ قَبْلَ الْمُهَاجِرِينَ. وَقِيلَ: الْكَلَامُ عَلَى ظَاهِرِهِ.

وَالْمَعْنَى: تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ.

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٤٦/٥.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٤٥/٥.

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ وذلك أنهم شاركوهم في منازلهم، وأموالهم
 ﴿وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾؛ أي: حسداً وغيظاً مما أوتي المهاجرون.
 وفيما أوتوه قولان:

أحدهما: مأل الفيء، قاله الحسن.

وقد ذكرنا آنفاً أن النبي ﷺ قَسَمَ أموال بني النضير بين المهاجرين،
 ولم يُعط من الأنصار غير ثلاثة نفر.

والثاني: الفضل والتقدم، ذكره الماوردي^(١).

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني: الأنصار، يؤثرون
 المهاجرين على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾؛ أي فقر
 وحاجة، فبين الله عز وجل أن إثارهم لم يكن عن غنى.

وفي سبب نزول هذا الكلام قولان:

أحدهما: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ، وقد أصابه الجهد، فقال:
 يا رسول الله! إني جائع فأطعمني. فبعث رسول الله ﷺ إلى أزواجه: "هَلْ
 عِنْدَكُنَّ شَيْءٌ؟" فكلهن قلن: والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا الماء. فقال:
 ما عند رسول الله ﷺ ما يطعمك هذه الليلة.

ثم قال: "مَنْ يُضِيفْ هَذَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ، رحمه^(٢) الله؟" فقام رجل فقال:
 أنا يا رسول الله! فأتى به منزله، فقال لأهله: هذا ضيف رسول الله ﷺ،

(١) "النكت والعيون" للماوردي ٥/٥٠٥.

(٢) في (ر): يرحمه.

فأكرميه ولا تدخري عنه شيئاً. فقالت: ما عندنا إلا قوتُ الصَّبيّة. فقال:
 قومي فعَلَّيْهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعموا شيئاً، ثم أضحى [٧٧٦/ب]
 سراجك، فإذا أخذ الضَّيفُ لياكل، فقومى كأنك تُصلحين السَّراج،
 فأطفئيه، وتعالَيْ نمضغ ألسنتنا لأجل ضيف رسول الله ﷺ حتى يشبع،
 ففعلت ذلك، فظنَّ الضيف أنهما يأكلان معه، فشبع هو، وباتا طاويين،
 فلمَّا أصبحا غدوا إلى رسول الله ﷺ، فلما نظر إليهما تبسَّم، ثمَّ قال:
 "صَحَّحَ اللهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا"؛ فأنزل اللهُ تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ
 عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾... الآية.

خرَّجَه البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة^(١).

وفي بعض الألفاظ عن أبي هريرة: أنَّ الضيف كان من أهل الصُّفَّة،
 والمضيف كان من الأنصار، وأنَّ النبي ﷺ قال: «لَقَدْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا
 أَهْلُ السَّمَاءِ»^(٢).

والثَّاني: أنَّ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ أهدى له رأسُ شاةٍ،
 فقال: إنَّ أخِي فلاناً وُعِيالُه أحوج إلى هذا، فبعث به إليه، فلم يزل
 يبعث به واحد إلى واحد حتى تناولها سبعة أهل أبيات، حتى رجعت إلى
 أولئك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر^(٣).

(١) «صحيح البخاري» (٣٧٩٨)، و«صحيح مسلم» (٢٠٥٤)، وأخرجه البغوي في «تفسيره»
 ٥٨/٥ - ٥٩ من طريق البخاري.

(٢) هذه الرواية أخرجهما الواحدي في «أسباب النزول» ص ٤١٩.

(٣) أخرجه الحَاكِم في «مستدركه» ٥٧٠/٢، وصحَّحه، والبيهقيُّ في «شعب الإيمان»
 ١٤١/٥ (٣٢٠٤)، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٤٢٠، وقوام السنة في «الترغيب» =

وروي نحو هذه القصة عن أنس بن مالك قال: أهدي لبغض الصَّحابة رأسُ شاة مشوي، وكان مجهودًا، فوجه به إلى جارٍ له فتناوله تسعة أنفس، ثم عاد إلى الأول، فنزلت هذه الآية^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ وقرأ ابن السميع، وأبو رجاء: «ومن يوق» بتشديد القاف^(٢).

قال المفسرون: هو أن لا يأخذ شيئًا مما نهاه الله عنه ولا يمنع شيئًا أمره الله بأدائه.

والمعنى: أن الأنصار ممن وقى شح نفسه حين طابت أنفسهم بترك الفبيء للمهاجرين.

فَضْلٌ

وقد اختلف العلماء في الشُّحِّ والبُخل هل بينهما فرق أم لا؟

فقال ابن جرير: الشُّحُّ في كلام العرب: هو منع الفضل من المال^(٣).

وقال أبو سليمان الخطَّابي: الشُّحُّ أبلغُ في المنع من البخل، وإنَّما الشُّحُّ بمنزلة الجنس، والبخل بمنزلة النوع، وأكثر ما يُقال في البخل:

= والترهيب "٢٦٦/٢ (١٥٥٦)، وزاد السيوطي في "الدر المأثور" ١٠٧/٨، عزوه لابن مردويه.

(١) ذكرها الثعلبي في "الكشف والبيان" ٢٧٩/٩.

(٢) هي قراءة شاذة قرأ بها أيضًا: محمد بن النضر القارئ كما في "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٥، ونسبها لأبي حيو: ابن عطية في "المحرر الوجيز" ٢٨٨/٥.

(٣) "تفسير الطبري" ٢٣/٢٨٥.

إنما هو في أفراد الأمور وخواص الأشياء، والشُّحُّ عامٌ فهو كالوصف
اللازم للإنسان من قبل الطبع والجبلّة.

وحكى الخطّابي عن بعضهم أنّه قال: البخلُ: أن يضرَّ بهالِه،
والشُّحُّ: أن يَنخُلَ بهالِه ومعروفه^(١).

وقد روى أبو الشعثاء أنّ رجلاً أتى ابنَ مسعودٍ، فقال: إنّي أخاف
أن أكون قد هلكْتُ. قال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ
نَفْسِهِ﴾ وأنا رجلٌ شحيحٌ لا يكادُ يُخْرِجُ من يدي شيءٌ، فقال: ليس ذلك
بالشُّحِّ الذي ذكره الله في القرآن، الشُّحُّ: أن تأكلَ مالَ أخيك ظلماً، إنما
ذلك البخلُ، وبئس الشيءُ البخلُ!^(٢)

وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ، أنّه^(٣) قال: «بَرِيءٌ مِنَ الشُّحِّ مَنْ
أَدَّى الزَّكَاةَ، وَقَرَى الضَّيْفَ، وَأَعْطَى فِي النَّائِبَةِ»^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يعني: التابعين إلى يوم القيامة.

قال الزّجاج: والمعنى: ما أفاء الله على رسوله فله وللرسول ولهُؤُلَاءِ
المسلمين، وللذين يجيئون من بعدهم إلى يوم القيامة ما أقاموا على محبة

(١) "معالم السنن" للخطابي ٢/ ٨٣ - ٨٤.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٨٥ - ٢٨٦، والخطابي في "بيان إعجاز القرآن"
ص ٣٠ - ٣١، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٨٠.

(٣) ليست في (ر).

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٨٦، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٨١،
والبيهقي في "شعب الإيمان" ١٣/ ٢٨٩ (١٠٣٤٨)، وزاد السيوطي في "الدر المنثور"

٨/ ١٠٩ - ١١٠ عزوه لابن مردويه.

أصحاب رسول الله ﷺ، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾؛ أي: الذين جاؤوا في حال قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ [٧٧٧/أ] فمن ترخّم على أصحاب رسول الله ﷺ ولم يكن في قلبه غلّ لهم، فله حظّ من فيء المسلمين، ومن شتمهم ولم يترخّم عليهم، وكان في قلبه غلّ لهم، فما جعل الله له حقاً في شيء من فيء المسلمين بنصّ الكتاب^(١).

وكذلك روي عن مالك بن أنس رضي الله عنه أنّه قال: من تنقّص أصحاب رسول الله ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غلّ فليس له حقّ في فيء المسلمين، ثمّ تلا هذه الآيات^(٢).

وروى الشعبي عن بعض أشياخه، قال: فضّلت اليهود والنصارى على الرافضة بخضلة، سُئِلَتِ اليهود من خير أهل ملّتكم؟ فقالت: أصحاب موسى. وسُئِلَتِ النصارى من خير أهل ملّتكم؟ فقالوا: حوارى عيسى. وسُئِلَتِ الرافضة من شرّ أهل ملّتكم، فقالوا: أصحاب محمد، أمروا بالاستغفار لهم فسيبّوهم^(٣).

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٤٦/٥ - ١٤٧.

(٢) أخرجه عن مالك مسنداً: أبو القاسم الجوهري في "مسند الموطأ" (٨٥، ٨٤).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨ / ١٤٦١ - ١٤٦٢)، والسنة للخلال (١ / ٤٩٦ - ٤٩٨)، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (١ / ٢٣ - ٢٦) عن ابن شاهين في كتاب: "اللطيف من السنة" وخشيش بن أصرم في كتابه، ومن طريقه أبو عمرو الطلمنكي في كتابه "الأصول". وقال: فهذا الأثر قد روي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضاً، وبعضها يزيد على بعض، لكن عبد الرحمن بن مالك ضعيف، وذم الشعبي لهم - الرافضة - ثابت من طرق أخرى.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أَخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أَخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيْنَّ الْأَذْبَرَنَّةَ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنَّهُ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْبَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَذَلِكَ يَتَّبِعُ الَّذِينَ مِنْ قِبَلِهِمْ قُرْبًا ذَاتًا وَيَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَذَلِكَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَقِبُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١١ - ١٧].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ﴾ في الدين؛ لأنهم كفارٌ مثلهم^(١)، وهم اليهود ﴿لَئِنْ أَخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾؛ أي: في خذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ فكذبهم الله تعالى في ذلك بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

ثم ذكر أنهم يخلفونهم ما وعدوهم من الخروج والنصر بالآية التي تلي هذه، فكان الأمر على ما ذكره الله تعالى؛ لأنهم أخرجوا فلم يخرج معهم المنافقون، وقوتلوا فلم ينصروهم.

ومعنى ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾: لئن قدر وجود نصرهم؛ لأن الله نفى نصرهم فلا يجوز وجوده. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ يعني: بني النضير.

(١) أشار ناسخ الأصل في الحاشية إلى نسخة فيها: ملتهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَأَنْتُمْ﴾ يعني: المؤمنين ﴿أَشْدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ﴾
وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم المنافقون، قاله مقاتل^(١).

والثاني: أنهم بنو النضير، قاله الفراء^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُقْلِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم اليهود، قاله الأكثرون.

والثاني: اليهود والمنافقون، قاله أبو سليمان الدمشقي.

والمعنى: أنهم لا يبرزون لحربكم إنما يقاتلون متحصنين ﴿فِي قُرَى
مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبان: «من وراء
جدار» بِالْفِ.

وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي: «جُدُر» بضم
الجيم والدال^(٣).

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٢٨١ / ٤.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ١٤٦ / ٣.

(٣) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٢، و"الحجة للقراء
السبعة" لأبي علي الفارسي ٢٨٣ / ٦، و"التيسير في علم القراءات السبع" لأبي عمرو
الداني ص ١٧٠.

وقرأ أبو بكر الصديق، وابنُ أبي عبلة: "جَدَر" بفتح الجيم والدَّال جميعاً^(١).
 وقرأ عمر بن الخطاب، ومعاوية، وعاصمُ الجحدري: "جَدَر" بفتح
 الجيم وسكون الدَّال^(٢).

وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي، [وعكرمة]^(٣)،
 والحسن، وابن سيرين، وابن يعمر: "جُدَر" بضم الجيم وإسكان الدَّال^(٤).

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: عداوةٌ بعضهم لبعضٍ شديدةٌ.

والثاني: أنَّ بَأْسَهُم بينهم فيما وراء الحصون شديدٌ، وإذا خرجوا إليكم
 فهم أجبنُ خلقِ الله.

(١) هي قراءة شاذة، ينظر: "الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" ص ٦٤٧،
 و"رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" للحافظ عبد الرزاق الرسعني ص ٨١.

(٢) هي قراءة شاذة أيضاً، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٥ ونسبها
 لابن كثير في رواية، و"رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" للحافظ عبد الرزاق
 الرسعني ص ٨١، و"إنحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" للدمياطي ص ٥٣٨.

(٣) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) هي قراءة شاذة أيضاً، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٥، و"رموز
 الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" للحافظ عبد الرزاق الرسعني ص ٨١، و"إنحاف فضلاء
 البشر في القراءات الأربعة عشر" للدمياطي ص ٥٣٨.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ فِيهِمْ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمُ الْيَهُودُ وَالْمَنَافِقُونَ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ^(١).

وَالثَّانِي: بَنُو النَّضِيرِ، قَالَهُ الْفَرَّاءُ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: أَيُّ: وَهْمٌ مُخْتَلِفُونَ لَا تَسْتَوِي قُلُوبُهُمْ، وَلَا يَتَعَاوَنُونَ بَنِيَّاتٍ مُجْتَمِعَةً؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَاصِرُ حَزْبِهِ وَخَاذِلُ أَعْدَائِهِ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ﴾ يَعْنِي ذَلِكَ الْاِخْتِلَافَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿مَا فِيهِ﴾ الْحِظُّ لَهُمْ، ثُمَّ ضَرَبَ لِلْيَهُودِ مَثَلًا؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾.

[٧٧٧/ب] وَفِيهِمْ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ بَنُو قَيْنِقَاعَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَكَانَ بَنُو قَيْنِقَاعَ يَهُودًا، وَكَانُوا وَادَّعُوا^(٤) رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ غَدَرُوا بِهِ^(٥) فَحَاصَرَهُمْ^(٦)، ثُمَّ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، أَنَّ لَهُ أَمْوَالَهُمْ وَلَهُمُ النِّسَاءُ وَالذَّرِيَّةُ.

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٢٨١ / ٤.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ١٤٦ / ٣.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٤٨ / ٥.

(٤) أشار ناسخ الأصل إلى نسخة فيها: واعدوا.

(٥) ليست في (ر).

(٦) في (ر): فحاصروهم.

والمعنى: مثل بني النضير فيما فعل بهم كبني قينقاع فيما فعل بهم.

والثاني: أنهم كفار قريش يوم بدر، قاله مجاهد^(١).

والمعنى: مثل هؤلاء اليهود كمثل المشركين الذين كانوا من قبلهم قريباً، وذلك لقرب غزوة^(٢) بني النضير من غزاة بدر.

والثالث: أنهم بنو قريظة.

فالمعنى: مثل بني النضير كبني قريظة ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾ بأن قتلت مقاتلتهم، وسييت ذرايرهم، وهؤلاء أجلوا عن ديارهم، فذاقوا وبال أمرهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، ثم ضرب لليهود والمنافقين مثلاً، فقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾.

والمعنى: مثل المنافقين في غرورهم بني النضير وقولهم: {لئن أخرجتم لنخرجن معكم، ولئن قوتلتهم لننصرنكم}. ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنه مثل ضربه الله تعالى للكافر في طاعة الشيطان، وهو عام في جميع الناس، قاله مجاهد^(٣).

(١) "تفسير مجاهد" ص ٦٥٣، وأخرجه عنه الطبري في "تفسيره" ٢٣ / ٢٩٣، وزاد السيوطي في "الدر المنثور" ٨ / ١١٥ عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) في (ر): غزاة.

(٣) "تفسير مجاهد" ص ٦٥٣، وأخرجه عنه الطبري في "تفسيره" ٢٣ / ٢٩٧، وعبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨ / ١١٩.

والثاني: أَنَّهُ مَثَلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ تَعَالَى لِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ، وَعَلَى هَذَا جَمْهُورُ الْمَفْسَرِينَ.

وَهَذَا شَرْحُ قِصَّتِهِ:

ذَكَرَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ أَنَّ عَابِدًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ يُقَالُ لَهُ: بَرِّصِيصًا، تَعَبَّدَ فِي صَوْمَعَةٍ لَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَجَمَعَ إِبْلِيسُ يَوْمًا مَرْدَةً الشَّيَاطِينِ، فَقَالَ: أَلَا أَحَدٌ مِنْكُمْ يَكْفِينِي بَرِّصِيصًا؟
فَقَالَ الْأَبْيَضُ: وَهُوَ صَاحِبُ الْأَنْبِيَاءِ أَنَا أَكْفِيكَه.

فَانْطَلَقَ عَلَى صِفَةِ الرُّهْبَانِ، وَأَتَى صَوْمَعَتَهُ، فَنَادَاهُ فَلَمْ يَجِبْهُ وَكَانَ لَا يَنْفَتِلُ عَنْ صَلَاتِهِ، إِلَّا فِي كُلِّ عَشْرَةِ أَيَّامٍ، وَلَا يَفْطُرُ إِلَّا فِي كُلِّ عَشْرَةِ أَيَّامٍ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَجِيبُهُ أَقْبَلَ عَلَى الْعِبَادَةِ فِي أَضَلِّ صَوْمَعَتِهِ، فَلَمَّا انْفَتَلَ بَرِّصِيصًا، أَطْلَعَ فَرَأَهُ مُتَّصِبًا يُصَلِّيَ عَلَى هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ، فَنَادَاهُ مَا حَاجَتُكَ؟

فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ، أَقْتَبِسُ مِنْ عَمَلِكَ، وَأَتَأَدَّبُ بِأَدَبِكَ، وَنَجْتَمِعُ عَلَى الْعِبَادَةِ.

فَقَالَ بَرِّصِيصًا: إِنِّي لَفِي شُغْلٍ عَنْكَ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، وَأَقْبَلَ الْأَبْيَضُ يُصَلِّي، فَلَمْ يَقْبَلْ إِلَيْهِ بَرِّصِيصًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ انْفَتَلَ فَرَأَهُ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَى شِدَّةَ اجْتِهَادِهِ، قَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟

فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ: فَأَذِنَ لَهُ فَصَعِدَ إِلَيْهِ، فَأَقَامَ مَعَهُ حَوْلًا لَا يَفْطُرُ إِلَّا كُلَّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَلَا يَنْفَتِلُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَرَبَّمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا رَأَى بَرِّصِيصًا اجْتِهَادَهُ أَعْجَبَهُ شَأْنُهُ وَتَقَاصَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، فَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ؛ قَالَ الْأَبْيَضُ لِبَرِّصِيصًا: إِنِّي مَنْطَلِقٌ عَنْكَ، فَإِنْ لِي صَاحِبًا

غيرك ظننت أنك أشدَّ اجتهدًا مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي أرى. فاشتدَّ ذلك على برصيصا، وكره مفارقتَه، فلما ودَّعه قال له الأبيض: إن عندي دعوات أعلمكها يشفي الله بها السقيم، ويعافي بها المبتلى.

فقال برصيصا: إني أكره هذه المنزلة؛ لأنَّ لي في نفسي شغلاً، فأخاف أن يعلم النَّاس بهذا، فيشغلوني عن العبادة. فلم يزل به حتى علمه إيَّاهَا.

ثم انطلق إلى إبليس فقال: قد والله أهلك الرجل، فانطلق الأبيض، فتعرض لرجل فخقه، ثم جاءه في صورة رجل متطبَّب، فقال لأهله: إنَّ [٧٧٨/أ] بصاحبكم جنوناً فأعالجه؟! قالوا: نعم. فقال لهم: إني لا أقوى على جنيِّه، ولكن سأرشدكم إلى مَنْ يدعو له فيعافي. فقالوا له: دلنا.

قال: انطلقوا إلى برصيصا [العابد] ^(١) فإنَّ عنده اسمَ الله الأعظم. فانطلقوا إليه فسألوه ^(٢) فدعا بتلك الكلمات، فذهب عنهم الشيطان، وكان الأبيض يفعل بالنَّاس ذلك، ثم يرشدهم إلى برصيصا، فيعافون، (إلى أن) ^(٣) انطلق إلى جارية من بنات ملوك بني إسرائيل، لها ثلاثة إخوة، فخنقها، ثم جاء إليهم في صورة متطبَّب، فقال أعالجهما؟ قالوا: نعم. فقال: إنَّ الذي عرض لها ماردٌ لا يطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها. قالوا: ومن هو؟

(١) من (ر).

(٢) ليست في (ر).

(٣) في (ر): فلما طال ذلك عليه.

قال: بَرَصِيصًا. قالوا: فكيف لنا أن يقبلها منا وهو أعظم شأنًا من ذلك؟ قال: إن قبلها، وإلا فضعوها في صومعته، وقولوا له: هي أمانة عندك. فانطلقوا إليه فأبى عليهم، فوضعوها عنده.

وفي بعض الروايات أنه قال: ضعوها في ذلك الغار، وهو غار إلى جنبِ صومعته، فضعوها، فجاء الشيطانُ فقال له: انزل إليها فامسحها بيدك تعافى، وتنصرف إلى أهلها. فنزل، فلما دنا إلى باب الغار دخل الشَّيْطَانُ فيها، فإذا هي تركض، فسقطت عنها ثيابها، فنظر العابد إلى شيء لم يرمثه حسنًا وجمالًا، فلم يتمالك أن وقع عليها، وضرب على أذنه، فجعل يختلف إليها إلى أن حَمَلَتْ.

فقال له الشيطان: ويحك يا بَرَصِيصًا قَدْ افْتُضَحْتَ، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب؟ فإن سألوك عنها قلت: جاء شيطانها، فذهب بها. فلم يزل به حتى قتلها، ودفنها، ثم رجع إلى صومعته، فأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يسألون عنها، فقالوا: يا بَرَصِيصًا ما فعلت أختنا؟ قال: جاء شيطانها فذهب بها، ولم أطلقه. فصدقوه، وانصرفوا.

وفي بعض الروايات أنه قال: دعوت لها، فعافاها الله، ورجعت إليكم. فتفرقوا ينظرون لها أثرًا، فلما أمسوا جاء الشيطان إلى كبيرهم في منامه، فقال: ويحك! إن بَرَصِيصًا فعل بأختك كذا وكذا، وإنه [دفنها]^(١) في موضع كذا من جبل كذا. فقال: هذا حلم، وبرصيصا خير من ذلك. فتتابع عليه ثلاث ليال، وهو لا يكثرث، فانطلق إلى الأوسط كذلك، ثم

(١) في الأصل: قتلها، والمثبت من سائر النسخ.

إلى الأصغر مثل ذلك.

فقال الأصغر لإخوته: لقد رأيت كذا وكذا. فقال الأوسط: وأنا والله. فقال الأكبر: وأنا والله. فأتوا برّصيصا، فسألوه عنها: فقال: قد أعلمتكم بحالها، فكأنكم اهتمموني. قالوا: لا والله. واستحيوا، وانصرفوا، فجاءهم الشيطان، فقال: ويحكم إنها المدفونة في موضع كذا وكذا، وإن إزارها لخارج من التراب. فانطلقوا، فحفروا عنها، فرأوها، فقالوا: يا عدو الله لم قتلتها؟ اهبط. فهدموا صومعته، ثم أوثقوه، وجعلوا في عنقه حبلاً، ثم قادوه إلى الملك فأقرّ على نفسه، وذلك أنّ الشيطان عرض له، فقال: تقتلها ثم تكابر، فاعترف. فأمر الملك بقتله وصلّبه، فعرض له الأبيض، فقال: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات، ويحك ما اتقيت الله في أمانة خنت أهلها، أما استحييت من [٧٧٨/ب] الله؟ ألم يكفك ذلك حتى أقررت ففضحت نفسك وأشباهك بين الناس؟ فإن مت على هذه الحالة لم تفلح، ولا أحد من نظرائك.

قال: فكيف أصنع؟ قال: تطيعني في خصلة حتى أنجيك، وأخذ بأعينهم، وأخرجك من مكانك. قال: ما هي؟ قال: تسجد لي. فسجد له، فقال: هذا الذي أردت منك صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾؛ ثم قتل. فضرب الله هذا المثل لليهود حين غرّهم المنافقون، ثم أسلموهم^(١).

(١) القصة بتامها أخرجهما: الثعلبي في "الكشف والبيان" ٢٨٤/٩ - ٢٨٦، وذكرها البغوي في "معالم التنزيل" ٦٣/٥ - ٦٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ ونصب ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو ياء: "إني" وأسكنها الباقون^(١). وقد بينّا المعنى في الأنفال [آية: ٤٨] ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا﴾ يعني: الشيطان وذلك الكافر.

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ١٨ - ٢٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾؛ أي: لينظر أحدكم أي شيء قدم؟ أعمالاً صالحاً يُنجيه؟ أم سيئاً يُوبقه؟ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ أي: تركوا أمره ﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾؛ أي: أنساهم حظوظ أنفسهم، فلم يعملوا بالطاعة، ولم يقدموا خيراً.

قال ابن عباس: يريد قريظة، والنضير، وبني قينقاع^(٢).

﴿لَوْ أَنْزَلْنَاهُذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَضِيعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضِرُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ

(١) كلنا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٢، و"معاني القراءات" للأزهري ٢/ ٢٣٦، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٨٤، و"العنوان في القراءات السبع" لأبي طاهر السرقسطي ص ١٨٨، و"الإقناع في القراءات السبع" لأبي جعفر الغرناطي ص ٣٨٣.

(٢) ذكرها الواحد في "البيوط" ٢١/ ٣٩١ و"الوسيط" ٤/ ٢٧٨، والحافظ عبد الرزاق الرسغني في "رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" ص ٩١.

الْمُؤْمِنُ الْمُهِمِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾
هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿الحشر: ٢١ - ٢٤﴾.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ أخبر الله [بهذا]^(١) عن
تعظيم شأن القرآن، وأنه لو جعل في جبل على قساوته وصلابته تمييزاً،
كما جعل في بني آدم ثم أنزل عليه القرآن، لتشقق خشية من الله^(٢)، وخوفاً
أن لا يؤدي حق الله في تعظيم القرآن.

و"الخاشع": المتطاطئ الخاضع. و"المتصدع": المتشقق.

وهذا توبيخ لمن لا يحترم القرآن، ولا يؤثر في قلبه مع الفهم والعقل،
ويدلُّك على هذا المثل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ ثم أخبر
بعظمته وربوبيته؛ فقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال الزجاج:
قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ﴾ رد على قوله تعالى: في أول السورة: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

فأما هذه الأسماء، فقد سبق ذكر "الله"، و"الرحمن"، و"الرحيم"
في الفاتحة، وذكرنا معنى "عالم الغيب والشهادة" في الأنعام [آية: ٧٣]،
و"الملك" في سورة المؤمنین [آية: ١١٦].

(١) من (ر).

(٢) في (ر): لتشقق من خشية الله.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٥٠/٥.

فَأَمَّا ﴿الْقُدُّوسُ﴾: فقرأ أبو الأشهب، وأبو نهيك، ومعاذ القاري: بفتح القاف^(١).

قال أبو سليمان الخطابي: "القدوس": الطَّاهِرُ مِنَ الْعُيُوبِ، المنزه عن الأنداد والأولاد. "والقدس": الطهارة، ومنه سمي بيت المقدس. ومعناه: المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب، وقيل للجنة: حظيرة القدس؛ لطهارتها من آفات الدنيا.

والقدس: السطل الذي يتطهر فيه، ولم يأت من الأسماء على فعول بضم الفاء إلا "قدوس" و"سبوح"، وقد يقال أيضا: قَدُّوس، وَسَبُّوح بالفتح فيهما، وهو القياس في الأسماء؛ كقولهم سفود، وكلوب^(٢).

فَأَمَّا ﴿السَّلَامُ﴾: فقال ابن قتيبة: سمي نفسه سلامًا؛ لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والفناء^(٣).

وقال الخطابي: معناه: ذو السلام، والسلام في صفة الله سبحانه هو الذي سلم من كُلِّ عيب، وبرئ من كُلِّ آفة ونقص يلحق المخلوقين، قال: وقد قيل: هو الذي سلم الخلق من ظلمه^(٤).

(١) هي قراءة شاذة، وقرأ بها أيضًا: أبو السمال. ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٥، و"الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهذلي ص ٦٤٧، وأبو الدينار الأعرابي. ينظر: "إعراب القرآن" للنحاس ٤/ ٢٦٧، و"المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" لابن جني ٢/ ٣١٧.

(٢) "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي ص ٤١.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٦.

(٤) "أعلام الحديث" ١/ ٥٤٩، "شأن الدعاء" ص ٤١ كلاهما لأبي سليمان الخطابي.

فَأَمَّا ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ ففيه ستة أقوال:

أحدها: أنه الذي آمن الناس ظلمه، وأمن من آمن به عذابه، قاله ابن عباس، ومقاتل^(١).

والثاني: أنه المجير، قاله القرظي.

والثالث: الذي يصدق المؤمنين إذا وحّدوه، قاله ابن زيد.

والرابع: أنه الذي وحّد نفسه؛ لقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [آل عمران: ١٨] ذكره الزّجاج^(٢).

والخامس: أنه الذي يصدق عباده وعده، قاله ابن قتيبة^(٣).

والسادس: أنه يصدق ظنون عباده المؤمنين، ولا يخيب آمالهم؛ كقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما يحكيه عن ربه عز وجل: "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي"^(٤) حكاه الخطّابي^(٥).

(١) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٢٨٧/٩، والبغوي في "معالم التنزيل" ٦٦/٥، وأخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس كما في "الدر المنثور" للسيوطي ١٢٣/٨.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٥٠/٥.

(٣) "غريب الحديث" لابن قتيبة ص ١٠.

(٤) اخذت أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧٤٠٥)، ومسلم في "صحيحه" (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة.

(٥) "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطّابي ص ٤٥.

فَأَمَّا ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ ففيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه الشهيد، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والكسائي^(١).

قال الخطابي: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، فالله الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل^(٢).

والثاني: أنه الأمين، قاله الضحاك.

قال الخطابي: وأصله مؤيمن، فقلبت الهمزة هاء؛ لأن الهاء أخفٌ عليهم من الهمزة. ولم يأت مفعِل في غير التصغير، إلا في ثلاثة أحرف "مسيطر" و"مبيطر" و"مهيمن"^(٣). وقد ذكرنا في سورة الطور [آية: ٣٧] عن أبي عبيدة أنها خمسة أحرف^(٤).

والثالث: المصدق فيما أخبر، قاله ابن زيد.

والرابع: أنه الرقيب على الشيء، والحافظ له، قاله الخليل.

قال الخطابي: وقال بعض أهل اللغة: الهيمنة: القيام على الشيء، والرعاية له، وأنشد [من الطويل]:

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٠٤ عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في "الدر المشور" للسيوطي ٢/ ١٢٣ عن ابن عباس.

(٢) "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي ص ٤٦.

(٣) "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي ص ٤٦.

(٤) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٦ وفيه: مهيمن ومبيقر ومبيطر ومسيطر، هذه الأربعة الأحرف صفات، لها أفعال، ووجدنا من الأسماء ما لا ندري لعلها مصغرة: مديبر اسم واد، ومجيمر ومبيقر.

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِ مُهَيِّمُهُ التَّالِيهِ فِي الْعُرْفِ وَالنُّكْرِ

يريد القائم على الناس بعده بالرعاية لهم^(١)، وقد زدنا هذا شرحاً في المائدة [آية: ٤٨] وبيننا معنى: العزيز في البقرة [آية: ١٢٩].

فَأَمَّا ﴿الْجَبَّارُ﴾ ففيه أربعة أقوال:

أحدها: أَنَّهُ الْعَظِيمُ، قاله ابن عباس^(٢).

والثاني: [أَنَّهُ]^(٣) الذي يقهر الناسَ ويجبرهم على ما يريد، قاله القرظي والسُّدِّي.

وقال قتادة: جبر خلقه على ما شاء^(٤).

وحكى الخطَّابي أَنَّهُ الَّذِي جبر الخلق على ما أراد من أمره ونهيه، يقال: جبره السلطان وأجبره^(٥).

(١) "شأن الدعاء" ص ٤٦-٤٧، "غريب الحديث" ٢/ ٢٠١ كلاهما لأبي سليمان الخطابي. والبيت من الطويل، ذكره دون نسبة: أبو بكر الأنباري في "الزاهر في معاني كلمات الناس" ٢/ ٢٠١، والأزهري في "تهذيب اللغة" ٦/ ١٧٧ عن الأنباري، فلعله المقصود في كلام الخطابي.

(٢) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٨٧، والواحدي في "السيط" ٢١/ ٣٦٩، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ٦٧.

(٣) من (ر).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣٠١ (٣١٩٦)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٠٤.

(٥) "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي ص ٤٨.

والثالث: أنه الذي جبر مفاقر الخلق، وكفاهم أسباب المعاش والرزق.

والرابع: أنه العالي فوق خلقه من قولهم: تجبر النبات؛ إذا طال وعلا، ذكر القولين الخطأين.

فَأَمَّا ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ ففيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه الذي تكبر عن كل سوء، قاله قتادة.

والثاني: أنه الذي تكبر عن ظلم عباده، قاله الزجاج^(١).

والثالث: أنه ذو الكبرياء وهو الملك، قاله ابن الأنباري^(٢).

والرابع: أنه المتعالي عن صفات الخلق.

والخامس: أنه الذي يتكبر على عتاة خلقه، إذا نازعوه العظمة فقَصَمَهُمْ، ذكرهما الخطابي.

قال: والتاء في المتكبر تاء التفرد والتخصيص^(٣)؛ لأنَّ التعاطي، والتكلف، والكبر، لا يليق بأحد من المخلوقين، وإنما سمة العبدِ الخضوعُ والتَّذَلُّلُ^(٤). وقيل: إنَّ المتكبر من الكبرياء الذي هو عظمة الله، لا من الكبر الذي هو مذمومٌ في الخلق.

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٥١/٥.

(٢) "الزاهر في معاني كلمات الناس" لأبي بكر الأنباري ٨٢/١.

(٣) في الأصل: التخصيص، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي ص ٤٨.

وَأَمَّا ﴿الْخَلْقُ﴾، فقال الخطابي: هو المتبدئ للخلق، المخترع لهم على غير مثالٍ سبق، فأما في نعوت آدميين فمعنى الخلق: التقدير؛ كقول زهير [من الكامل]:

وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يُخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي

يقول: إذا قدرت شيئاً قطعته، وغيرك يقدر ما لا يقطعه؛ أي: يتمنى ما لا يبلغه^(١).

و﴿الْخَلْقُ الْبَارِئُ﴾: الخالق، يقال: برأ الله الخلق، يبرؤهم.

و﴿الْمُصَوِّرُ﴾: الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها. ومعنى التصوير: التخطيط، والتشكيل.

وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن السميع: ﴿الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ بفتح الواو والراء جميعاً، يعني: آدم عليه السلام^(٢)، وما بعد هذا قد تقدم بيانه إلى آخر السورة.

(١) "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي ص ٤٩ - ٥٠. والبيت من الكامل، نسبه لزهير: سيبويه في "الكتاب" ٤/ ٤٨٥، وأبو عبيد في "غريب الحديث" ٢/ ٥٧، ٤/ ٢١٦ وأبو بكر الأنباري في "الزاهر في معاني كلمات الناس" ١/ ٨٨، و"الأضداد" ص ١٥٩، وأبو علي القالي في "المقصود والمدود" ص ٣١٠. وهو في "ديوانه" شرحه وقدم له الأستاذ: علي حسن فاعور ص ٥٦. وفي "الكتاب": (وَأَرَاكَ) بدل (ولأنت).

(٢) هي قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٥، ونسبها لليمان، ونسبها الزمخشري في "الكشاف" ٤/ ٥١٠ لحاطب بن أبي بلتعة، و"رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" للحافظ عبد الرازق الرسعني ص ٩٤ عنهم جميعاً.

سُورَةُ الْمُتَحَنِّةِ

وهي مدنيّة كلّها بإجماعهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ (١) إِنْ يَتَفَقَّهْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَهُمْ بِالسُّوَىٰ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ (٢) لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾ [المتحنة: ١ - ٣].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [٧٧٩/ب]

ذكر أهل التفسير أنّها: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أنّ سارة مولاة أبي عمرو ابن صيفي بن هاشم، أتت رسول الله ﷺ، من مكة إلى المدينة، ورسول الله ﷺ يتجهّز لفتح مكة، فقال لها: "أُمْسِلِمَةً جِئْتِ؟" قالت: لا.

قال: فَمَا جَاءَ بِكِ؟ قالت: أنتمُ الأهل، والعشيرة، والموالي، وقد احتججتُ حاجةً شديدةً، فقدمت إليكم لتعطوني. قال لها رسول الله ﷺ: "فَأَيْنَ أَنْتِ مِنْ شَبَابِ أَهْلِ مَكَّةَ؟" - وكانت مُعْنِيَةً - فقالت: ما طلب مني شيءٌ بعد وقعة بدر.

فحثَّ رسول الله ﷺ بني عبد المطلب (وبني المطلب)^(١) فكسوها، وحملوها، وأعطوها، فأتاها حاطب بن [أبي]^(٢) بلتعة، فكتب معها كتاباً إلى أهل مَكَّة، وأعطاهَا عشرةَ دنانير على أن تُوصَلَ الكتاب إلى أهل مَكَّة، وكتب في الكتاب: من حاطب إلى أهل مَكَّة، إنَّ رسول الله ﷺ يُريدكم، فخذوا حذرکم.

فخرجت [به]^(٣) سارة، ونزل جبريل، فأخبر رسول الله ﷺ بما فعل حاطب، فبعث رسول الله ﷺ عليّاً، وعماراً، والزبير، وطلحة، والمقداد، وأبا مرثد، وقال: "انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاح، فَإِنَّ بِهَا^(٤) ظِعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبٍ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَخُذُوهُ مِنْهَا وَخَلُّوا سَبِيلَهَا، فَإِنْ لَمْ تَدْفَعْهُ إِلَيْكُمْ فَاضْرِبُوا عُنُقَهَا"، فخرجوا حتَّى أدركوها، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها من كتاب، ففتَّشوا متاعها فلم يجدوا شيئاً فهموا بالرجوع.

فقال علي: والله ما كُذِّبنا ولا كَذَبنا، وسلَّ سيفه، وقال: أخرجني الكتاب، وإلَّا ضربت عنقك. فلما رأت الجَدَّ أخرجته من ذؤابتها فخلوا سبيلها، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فأرسل إلى حاطب، فأتاه فقال له: "هَلْ تَعْرِفُ الْكِتَابَ"؟ قال: نعم.

(١) ليست في (ر).

(٢) من سائر النسخ.

(٣) من (ر).

(٤) في (ر): فيها.

قال: "فَمَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟" فقال: يا رسول الله! والله ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت غريباً فيهم، وكان أهلي بين ظهرائهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يداً، وقد علمت أن الله تعالى ينزل بهم بأسه، وكتابي لا يغني عنهم شيئاً، فصدقه رسول الله ﷺ، وَعَذْرُهُ^(١)، ونزلت هذه السورة تنهى حاطباً عما فعل، وتنهى المؤمنين أن يفعلوا كفعله، فقام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله! دعني^(٢) أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: "وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ! لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ".

وقد أخرج هذا الحديث في "الصحيحين" مختصراً، وفيه ذكر علي، والزبير، وأبي مرثد فقط.

قوله تعالى: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أن الباء زائدة، والمعنى: تلقون إليهم المودة، ومثله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، هذا قول الفراء^(٣)، وأبي عبيدة^(٤)،

(١) أخرجه بأخصر من هذه الرواية: البخاري في "صحيحه" (٣٠٠٧)، ومسلم في "صحيحه" (٢٤٩٤) وغيرهما من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) في الأصل: ادعني، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) معاني القرآن (٣/ ١٤٧).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٥٧).

وابن قتيبة^(١)، والجمهور.

والثاني: تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ وسره^(٢) بالمودة التي بينكم [٧٨٠ / أ] وبينه، قاله الزجاج^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ الواو للحال، والمعنى^(٤): وحالهم أنهم كفروا بما جاءكم من الحق، وهو القرآن ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ من مكة ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ أي: تفعلوا^(٥) ذلك لإيمانكم بالله ربكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ هذا شرط جوابه متقدم، وفي الكلام تقديم وتأخير.

قال الزجاج: معنى الآية: إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي؛ فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء^(٦).

قوله تعالى: ﴿تَسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾ الباء في "المودة" حكمها حكم الأولى. قال المفسرون: والمعنى: تسرون إليهم النصيحة.

﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾ مِنَ الْمُودَةِ لِلْكَفَّارِ ﴿وَمَا أَغْلَنْتُمْ﴾ أي: أظهرتم باليسنتكم.

(١) غريب القرآن (ص: ٤٦١).

(٢) في (ر): وسيره.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ١٥٥).

(٤) ليست في (ر).

(٥) في الأصل: تفعلون، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥ / ١٥٦.

وقال ابنُ قُتَيْبَةَ: المعْنَى: كيف تستسرون بمودتكم لهم منِّي، وأنا أعلم بما تُضمِّرون وما تُظهرون؟^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ﴾ يعني: الإِسْرَارَ والإِلْقَاءَ إليهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾؛ أي: أخطأ طريقَ الهدى، ثم أخبر بَعْدَاوَةَ الكِفَارِ، فقال تعالى: ﴿إِنْ يَشْفِقُوكُمْ﴾؛ أي: يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ لا موالين ﴿وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ﴾ أيديهم بالضَّرْبِ والقَتْلِ ﴿وَالسِّنَنَّهُمْ بِالسُّوءِ﴾ وهو الشَّتْمُ ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ فترجعون إلى دينهم.

والمعنى: أَنَّهُ لا ينفعكم التقربُ إليهم، بنقل أخبار رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ﴾؛ أي: قِرابَاتكم، والمعنى: ذُوو أَرْحَامكم، أراد: لَنْ ينفعكم الذين عصيتم الله لأجلهم.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: "يُفْصَلُ" برفع الياء وتسكين الفاء ونصب الصاد.

وقرأ ابن عامر: "يُفْصَلُ بَيْنَكُمْ" برفع الياء والتشديد، وفتح الصاد، وافقه حمزة، والكسائي، وخلف إلا أَنَّهُم كسروا الصَّادَ.

وقرأ عاصم، غير المفضل، ويعقوب: بفتح الياء وسكون الفاء، وكسر الصاد، وتخفيفها^(٢).

(١) "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ص ٢١١.

(٢) القراءات جميعها سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٣، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٦٥، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٨٥.

وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، وأبو العالية: "تَفْصِل" بنون مرفوعةٍ وفتح الفاء مكسورة الصَّاد مشددة^(١).

وقرأ أبو رزين، وعكرمة، والضَّحَّاك: "تَفْصِل" بنون مفتوحة ساكنة الفاء مكسورة الصَّاد خفيفة^(٢)؛ أي: نفصل بين المؤمن والكافر وإن كان ولده.

قال القاضي أبو يعلى: في هذه القصة دلالةٌ على أنَّ الخوف على المال والولد لا يبيح التقيَّةَ في إظهار الكفر، كما يبيح في الخوف على النفس، ويبين ذلك أنَّ الله تعالى فرض الهجرة، ولم يعذرهم في التخلف لأجل أموالهم وأولادهم، وإنما ظنَّ حاطِبٌ أنَّ ذلك يجوز له ليدفع به عن ولده، كما يجوز له أن يدفع عن نفسه بمثل ذلك عند التقيَّة، وإنما قال عمر: دُعني أضرب عُنقَ هذا المنافق^(٣)؛ لأنَّه ظنَّ أنَّه فعَلَ ذلك عن غير تأويل.

(١) هي قراءة شاذة، قرأ بها أيضا: طلحة بن مصرف. كما في "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٦.

(٢) هي قراءة شاذة، قرأ بها أيضا: أبو حيرة. كما في "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٦.

(٣) قول عمر ؓ جزء من حديث علي رضي الله عنه السابق إخرجه في "صحيح البخاري" (٣٠٠٧)، و"صحيح مسلم" (٢٤٩٤).

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبْنَيْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا سَعْفَرَنَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ④﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑤﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ⑥﴾ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ⑦﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⑧﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَلَمُوا عَلَيْكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاقِلُونَ ⑨﴾ [المتحنة: ٤ - ٩].

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ وقرأ عاصم: "أسوة" بضم الألف^(١)، وهما لغتان؛ أي: اقتداء حسن به وبمن معه.

وفيه قولان:

أحدهما: أنهم الأنبياء.

والثاني: المؤمنون إذ قالوا لقومهم: ﴿إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ﴾.

قال الفراء: يقول: أفلا تأسيت يا حاطبُ بإبراهيم وقومه فتبرأت من أهلِكَ كما تبرؤوا من قومِهِمْ^(٢)؟.

(١) هي قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٣، و"معاني القراءات" للأزهري ٦٧/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٢٨٦/٦.

(٢) "معاني القرآن" للقراء ١٤٩/٣.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾.

قال المفسرون: والمعنى: تأسوا بإبراهيم، إلا في استغفار إبراهيم لأبيه فلا تأسوا به في ذلك، فإنه كان عن موعدة وعدها إيَّاه. [٧٨٠/ب]

﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ أي: ما أَدفع عنك عذابَ الله إن أشركت به، وكان من دعاء إبراهيم وأصحابه ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾... إلى قوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وقال الفراء: قولوا أنتم: ربَّنَا عليك توكَّلنا^(١).

وقد بيَّنا معنى قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في يؤنس.

ثم أعاد الكلام في ذكر الأسوة، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾؛ أي: في إبراهيم ومن معه، وذلك أنهم كانوا يبغضون من خالف الله.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمَّا كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿لَكُمْ﴾ وبيان أن هذه الأسوة، لمن يخاف الله، ويخشى عقاب الآخرة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾؛ أي: يعرض عن الإيمان ويوال الكفار ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ إلى أوليائه فلما أمر الله المؤمنين بعبادة الكفار عادوا أقرباءهم، فأنزل الله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ﴾؛ أي: من كفار مكة ﴿مَوَدَّةً﴾ ففعل ذلك بأن أسلم كثير منهم يوم الفتح، وتزوج رسول الله ﷺ أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، فانكسر أبو سفيان عن كثير مما كان عليه حتى هداه الله تعالى للإسلام ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٥٠.

على جعل المودة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم بعدما أسلموا.

قوله تعالى: ﴿لَا يَتَهَنَّكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُّوكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أنها نزلت^(١) في أسماء بنت أبي بكر، وذلك أن أمها قتيلة بنت عبد العزى، قدمت عليها المدينة بهدايا، فلم تقبل منها^(٢) هداياها، ولم تدخلها منزلها، فسألت لها عائشة رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية، فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها منزلها، وتقبل هديتها، وتكرمها، وتحسن^(٣) إليها، قاله عبد الله بن الزبير^(٤).

والثاني: أنها نزلت في خزاعة وبني مدلج وكانوا صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا، قاله ابن عباس^(٥).

وروي عن الحسن البصري أنها نزلت في خزاعة، وبني الحارث بن عبد مناف، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فداموا على الوفاء به^(٦).

(١) ليست في (ر).

(٢) ليست في (ر).

(٣) في الأصل: وتحن، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسي في "مسنده" ٢٠٩/٣ (١٧٤٤)، وأحمد في "مسنده" ٣٧/٢٦ (١٦١١١)، وعمر بن شبة في "تاريخ المدينة" ٤٩٦/٢، وابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" ٩٠/٨، والطبري في "تفسيره" ٣٢٢/٢٣.

(٥) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٢٩٤/٩.

(٦) ذكره مكى بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية" ٧٤٢٢/١١، وابن عطية في "المحرر الوجيز" ٢٩٦/٥.

والثالث: أنَّها^(١) نزلت في قوم^(٢) من بني هاشم منهم العباس، قاله عطية العوفي.

والرابع: أنَّها عامَّة في جميع الكفار، وهي منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا الشَّرَافَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، قاله قتادة.

والخامس: أنَّها [نزلت]^(٣) في النساء والصبيان، حكاه الزجاج^(٤).

قال المفسرون: وهذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين، وجواز برهم وإن كانت الموالاة منقطعة [منهم]^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَخْرُجُوا كَرِهًا مِنْ دِينِكُمْ﴾؛ أي: من مكة ﴿أَنْ تَبْزُوهُمْ وَتُقْطِعُوا إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: تعاملوهم بالعدل فيما بينكم وبينهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَخْرُجُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾؛ أي: عاونوا على ذلك ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾، والمعنى: إنما ينهاكم عن أن تولوا هؤلاء؛ لأن مكاتبتهم بإظهار ما أسره رسول الله ﷺ موالاة.

وذكر بعض المفسرين أنَّ معنى الآية والتي قبلها منسوخ بآية السيف.

(١) ليست في (ر).

(٢) في الأصل: جماعة، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) من (ر)، و(س).

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٥٨/٥.

(٥) من (ر).

قال ابن جرير: لا وجه لادعاء النسخ؛ لأنَّ بِرَّ المؤمنين للمحاربين [٧٨١/أ] سواء كانوا قرابة أو غير قرابة، غير محرم إذا لم يكن في ذلك تقوية لهم على الحرب بكراع أو سلاح، أو دلالة لهم على عورة أهل الإسلام^(١). ويدلُّ على ذلك حديث أسماء وأمها الذي سبق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَانَسْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُنْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَنْصَحُكُمْ وَيُنَظِّرُكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَتَاوُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المتحنة: ١٠ - ١١].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾. قال ابن عباس: إنَّ مشركي مكَّة صالحوا رسول الله ﷺ عام الحديبية على أنَّ مَنْ أتاه من أهل مكَّة رده إليهم، ومَنْ أتى أهل مكَّة من أصحابه، فهو لهم، وكتبوا بذلك الكتاب، وختموه، فجاءت سبيعة بنتُ الحارث الأسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبى بالحديبية، فأقبل زوجها وكان كافراً، فقال: يا محمد! ازدد عليَّ امرأتي فإنك قد شرطت لنا أن تردَّ علينا مَنْ أتاكَ مِنَّا، وهذه طينة الكتاب لم تحفَّ بعدُ، فنزلت هذه الآية^(٢).

(١) "تفسير الطبري" ٢٣/٣٢٣.

(٢) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/٢٩٤، والواحدي في "أسباب النزول" ص ٤٢٤.

وذكر جماعة من العلماء منهم محمد بن سعد - كاتب الواقدي -:
أن هذه الآية نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أول من
هاجر من النساء إلى المدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ، فقدمت المدينة في
هدنة الحديبية، فخرج في أثرها أخوها الوليد وعمارة ابنا عقبة، فقالا: يا
محمد! أوف لنا بشرطنا.

وقالت أم كلثوم: يا رسول الله! أنا امرأة، وحال النساء إلى الضعف
ما قد علمت، فتردني إلى الكفار يفتنوني عن ديني، ولا صبر لي؟! فنقض
الله عز وجل العهد في النساء وأنزل فيهن المحنة، وحكم فيهن^(١) بحكم
رضوه كلهم.

ونزل^(٢) في أم كلثوم: ﴿فَاصْبِرْ لَهُنَّ﴾ فامتحنها رسول الله ﷺ، وامتحن
النساء بعدها يقول: "وَاللَّهِ مَا أَخْرَجَكُنَّ إِلَّا حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا خَرَجْتُنَّ
لِزَوْجٍ وَلَا مَالٍ؟" فإذا قلن ذلك تركن، فلم يرددن إلى أهلهن^(٣).

وقد اختلف العلماء في المرأة التي كانت سبباً لنزول هذه الآية على
ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها سبيعة، وقد ذكرناه عن ابن عباس.

والثاني: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وقد ذكرناه عن جماعة
من أهل العلم وهو المشهور.

(١) في الأصل: فيه، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) في الأصل: ونزلت، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) "الطبقات الكبرى" لابن سعد ٨/ ١٨٣ - ١٨٤.

والثالث: أميمة بنتُ بشر، من بني عمرو بن عوف، ذكره أبو نعيم الأصبهاني^(١).

قال الماوردي: وقد اختلف أهل العلم هل دخل ردُّ النساء في عقد الهدنة لفظاً أو عمومًا؟

فقالت طائفة: قد كان شرطُ ردِّهن في عقدِ^(٢) الهدنة لفظاً صريحاً؛ فنسخ الله تعالى ردَّهن من العقد، ومنع منه، وأبقاها في الرجال على ما كان.

وقالت طائفة (من العلماء)^(٣): لم يشرط ردَّهن في العقد صريحاً، وإنَّما أطلق العقد، وكان ظاهر العموم اشتماله مع الرجال، فبيَّن الله عز وجل خروجهن عن عمومِه، وفرق بينهما وبين الرجال لأمرين:

أحدهما: أنَّهن ذواتُ فروجٍ فحرمن^(٤) عليهن.

والثاني: أنَّهن أرقُّ قلوباً، وأسرع تقلباً منهم.

فأمَّا المقيمة على شركها: فمردودةٌ عليهم^(٥).

وقال القاضي أبو يعلى: وإنَّما لم تُردَّ^(٦) النساءُ عليهم؛ لأنَّ النسخ جائزٌ بعد التمكين من الفعل، وإن لم يقع الفعل.

(١) "معركة الصحابة" لأبي نعيم الأصبهاني ٦/ ٣٢٦٥.

(٢) في (ر): لفظ.

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (ر): تحرمن.

(٥) "النكت والعيون" للماوردي ٥/ ٥٢١.

(٦) في (ر): يرد.

قال المفسرون: والمراد بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ رسول الله ﷺ؛ لأنه هو الذي تولّى امتحانهم، ويراد به سائر المؤمنين عند غيبته ﷺ. [٧٨١/ب]

قال ابن زبيد: وإنما أمر^(١) بامتحانهم؛ لأن المرأة كانت إذا غضبت على زوجها بمكّة، قالت: لألحقن بمحمّد^(٢).

وفيما كان يمتحنهن به ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان يمتحنهن بـ "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله"، رواه العوفي عن ابن عباس^(٣).

والثاني: أنه كان يستحلف المرأة بالله: ما خرجت من بغض زوج، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا التماس دنيا، وما خرجت إلا حباً لله ولرسوله، وروي عن ابن عباس أيضاً^(٤).

(١) في (ر): أمرنا.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٣٢٦/٢٣ - ٣٢٧.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٣٢٨/٢٣، وابن مردويه كما في "الدر المشور" للسيوطي ١٣٤/٨.

(٤) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في "مسنده" كما في "بغية الباحث" للهيتمي ٧٣٠/٢ (٧٢٢)، والبخاري في "البحر الزخار" كما في "كشف الأستار" للهيتمي ٧٥/٣ (٢٢٧٢)، والطبري في "تفسيره" ٣٢٥/٢٣، قال السيوطي في "الدر المشور" ١٣٤/٨: أخرج ابن أبي أسامة والبخاري وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند حسن عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. فذكره.

والثالث: أنه كان يمتحنهن بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ فمن أقرت بهذا الشرط؛ قال: قد بايعتك. هذا قول عائشة^(١).

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِنَ﴾؛ أي: إن هذا الامتحان لكم، والله أعلم بهن، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ وذلك يعلم من إقرارهن^(٢)، فحيث لا يحل ردُّهن ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾؛ لأنَّ الله تعالى لم يُبَحِّمْ مؤمنةً لمشرك، ﴿وَأَتَوْهُنَّ﴾ يعني: أزواجهن الكفار.

﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ يعني: المهر، قال مقاتل: هذا إذا تزوجها مسلم، فإن لم يتزوجها أحدٌ فليس لزوجها الكافر شيء^(٣).

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾: وهي المهور.

فَضْلٌ

عندنا إذا هاجرت الحرَّة بعد دخول زوجها بها، وقعت الفرقة على انقضاء عدتها.

فإن أسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي امرأته، وهذا قول الأوزاعي، والليث، ومالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: تقع الفرقة باختلاف الدارين^(٤).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٧١٣)، ومسلم في "صحيحه" (١٨٦٦).

(٢) في (ر): بإقرارهن.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٣٠٣/٤، وذكره الواحدي في "البيسط" ٤١٩/٢١.

(٤) ينظر: "المبسوط" للسرخسي ٥١/٥، و"بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع" للكاساني ٣٢٨/٢.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ ﴿١٠﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: "تُنْسِكُوا" بضم التاء والتخفيف.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب: "تُمَسِّكُوا" بضم التاء وبالتشديد^(١).

وقرأ ابن عباس، وعكرمة، والحسن، وابن يعمر، وأبو حيوة: "تَمَسَّكُوا" بفتح التاء والميم والسين مشددة^(٢).

"والكوافر": جمع كافرة، والمعنى: إن الله تعالى نهى المؤمنين عن المقام على نكاح الكوافر، وأمرهم بفراقهن.

وقال الزجاج: المعنى: أنها إذا كفرت، فقد زالت العصمة بينها وبين المؤمن؛ أي: قد انبث عقد النكاح. وأصل العصمة: الحبل، وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَنَلُو مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ ﴿١١﴾ أي: إن لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفار مرتدة، فاسألوهم ما أنفقتم من المهر إذا لم يدفعوها إليكم.

(١) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٤، و"الحجة في القراءات السبع" لابن خالويه ص ٣٤٤، و"معاني القراءات" للأزهري ١/ ٤٢٨، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٨٦.

(٢) هي قراءة شاذة، قرأ بها أيضاً: معاذ عن أبي عمرو، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٦.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٥٩.

﴿وَلَيْسَتُلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾ يعني: المشركون الذين لحقت أزواجهم بكم مؤمنات إذا تزوجن منكم فليسأل أزواجهن الكفار من تزوجهن منكم^(١) "ما أنفقوا" وهو المهر، والمعنى: عليكم أن تغرموا لهم الصداق كما يغرمون لكم.

قال أهل السير: وكانت أم كلثوم حين هاجرت عاتقاً لم يكن لها زوج، فبيعت إليها قدر مهرها، فلما هاجرت تزوجت زيد بن حارثة. قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ﴾ يعني: ما ذكر في هذه الآية.

فَضْلٌ

وذكر بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَافِرِ﴾ أنه نسخ ذلك في حرائر أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥]، وهذا تخصيص لا نسخ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ﴾ [٧٨٢/١]

قال الزَّجَّاج: أي: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم^(٢).

وقرأ ابن مسعود، والزُّهري، والنَّخعي: "فَعَقَبْتُمْ" بغير ألف وبفتح العين والقاف وبتخفيفها^(٣).

(١) ليست في (ر).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٦٠/٥.

(٣) هي قراءة شاذة، ينظر: "معاني القراءات" للأزهري ٦٦/٣، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٦، و"المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" =

وقرأ ابن عباس، وعائشة، (والحسن)^(١)، وحيد، والأعمش: مثل ذلك، إلا أن القاف مشددة^(٢).

قال الزجاج: المعنى: في التشديد والتخفيف واحد، فكانت العقبى لكم بأن غلبتم^(٣).

وقرأ أبي بن كعب وعكرمة، ومجاهد: "فأعقبتم" بهمزة ساكنة العين، مفتوحة القاف خفيفة^(٤).

وقرأ معاذ القارئ، وأبو عمران الجوني: "فعقبتم" بفتح العين وكسر القاف وتخفيفها من غير ألف^(٥).

﴿فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾؛ أي: أعطوا الأزواج من رأس الغنيمة ما أنفقوا من المهر.

= لابن جني ٣١٩/٢.

(١) ليست في (ر).

(٢) هي قراءة شاذة أيضاً، ينظر: "معاني القراءات" للأزهري ٦٦/٣، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٦، و"المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" لابن جني ٣١٩/٢.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٦٠/٥.

(٤) هي قراءة شاذة أيضاً، ينظر: "معاني القرآن" للنحاس ٢٧٤/٤، و"معاني القراءات" للأزهري ٦٦/٣، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٦، و"المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" لابن جني ٣٢٠/٢.

(٥) هي قراءة شاذة أيضاً، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٦ ونسبها لمسروق.

وذكر بعضُ المفسرين أنَّ هذه الآية نزلت في عياض بن غنم، كانت زوجته مسلمة وهي أم الحكم بنت أبي سفيان، فارتدت فلحقت بمكة، فأمر الله المسلمين أن يعطوا زوجها من الغنمة بقدر ما ساق إليها من المهر، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١] إلى رأس الخمس.

فَضْلٌ

قال القاضي أبو يعلى: وهذه الأحكام في أداء المهر، وأخذه من الكفار، وتعويض الزوج من الغنمة، أو من صداقٍ قد وجب رده على أهل الحرب، منسوخة عند جماعة من أهل العلم. وقد نصَّ أحمد على هذا.

قلت: وكذا قال مقاتل: كلُّ هؤلاء الآيات نسختها آية السيف^(١).

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة: ١٢].

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ﴾.

قال المفسرون: لما فتح رسول الله ﷺ مكة جاءته النساء يبايعنه، فنزلت هذه الآية، وشرط في مبايعتهنَّ الشرائط المذكورة في الآية فبايعهن، وهو على الصفا.

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ١٧٦/٥.

فلَمَّا قَالَ: ﴿وَلَا يَزِينَنَّ﴾، قالت هند: أوتزني الحرة؟ فقال: ﴿وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ﴾. فقالت: ربيناهم صغارًا فقتلتموهم كبارًا، فأنتم وهم أعلم^(١).

وقد صحَّ في الحديث أن النبي ﷺ لم يَصَافِخْ في البيعة امرأة، وإنما بايعهن بالكلام^(٢)، وقد سميْنَا من أحصينا من المبايعات في كتاب "التلقيح" على حروف المعجم، وهنَّ أربعمائة وسبع وخمسون امرأة^(٣)، والله الموفق.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ﴾ قال المفسرون: هو الوأْد الذي كانت الجاهلية تفعله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِيْهَتَيْنِ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يلحقن بأزواجهنَّ غير أولادهم، قاله ابن عباس^(٤)، والجمهور. وذلك أن المرأة كانت تلتقط المولود، فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فذلك البهتان المفترى. وإنما قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾؛ لأنَّ الولد إذا وضعته الأم يسقط^(٥) بين يديها ورجليها، وقيل: معنى ﴿يَفْتَرِيْنَهُ﴾

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٣٤١/٢٣ - ٣٤٢، وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٤٠ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٧١٣)، ومسلم (١٨٦٦) من حديث عائشة.

(٣) "تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير" ص ٢٣٤ وما بعدها.

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٣٤٠/ ٢٣، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٤١.

(٥) في (ر): سقط.

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴿﴾: يَأْخُذْنَهُ لَقِيطًا ﴿﴾ وَأَرْجُلُهُمْ ﴿﴾ مَا وَلَدْنَهُ مِنْ زَنًا.
وَالثَّانِي: أَنَّهُ ^(١) السَّحَرُ.

وَالثَّلَاثُ: الْمَشْيُ بِالنَّمِيمَةِ وَالسَّعْيِ فِي الْفُسَادِ، ذَكَرَهُمَا الْمَوَارِدِيُّ ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿﴾ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴿﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ النُّوحُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ^(٣). وَرُوِيَ مَرْفُوعًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ^(٤).

وَالثَّانِي: أَنَّهُ لَا يَدْعِيْنَ وَيَلَا، وَلَا يَخْدُشْنَ وَجْهَهَا، وَلَا يَنْشُرْنَ شَعْرًا، وَلَا يَشَقُقْنَ ثَوْبًا، قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ. [٧٨٢/ب]

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ ^(٥) جَمِيعُ مَا يَأْمُرُهُنَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَدَابِهِ، قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ الدَّمَشَقِيُّ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ طَاعَةَ الْوَلَاةِ إِنَّمَا تَلْزَمُ فِي الْمُبَاحِ دُونَ الْمَخْظُورِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿﴾ قَبَائِعُهُنَّ ﴿﴾ الْمَعْنَى: إِذَا بَايَعْنَكَ عَلَى هَذِهِ الشَّرَائِطِ فَبَايَعْنَهُنَّ.

﴿﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿﴾ [الْمُتَحَنَّةُ: ١٣].

(١) ليست في (ر).

(٢) "النكت والعيون" للمواردي ٥/٥٢٥.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/٣٤١.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٧/٤٩٠ (١٢٢٢٧)، وأحمد في "مسنده" ٤٤/٣١٠.

(٥) (٢٦٧٢٠)، وابن ماجه في "سننه" (١٥٧٩)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/٢٤٤ من حديث

أم سلمة. وأخرجه أحمد في "مسنده" ١١/٤٣٧ (٦٨٥٠) من حديث أميمة بنت رقيقة.

(٥) ليست في (ر).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: وهم اليهود، وذلك أن ناسًا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبارًا المسلمين، يتقربون إليهم بذلك ليصيبوا من ثمارهم وطعامهم، فنزلت هذه الآية.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ يَسْأَلُ مِنَ الْآخِرَةِ﴾: وذلك أن اليهود بتكذيبهم محمدًا، وهم يعرفون صدقه، قد يسأوا من أن يكون لهم في الآخرة خيرًا، والمعنى: قد يسأوا من ثواب الآخرة، هذا قول الجمهور، وهو الصحيح. وقال قتادة: قد يسأوا أن يبعثوا^(١).

﴿كَمَا يَسَّ الْكُفَّارُ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: كما يسس الكفار من بعث من في القبور، قاله ابن عباس^(٢).

والثاني: كما يسس الكفار الذين ماتوا من ثواب الآخرة؛ لأنهم أيقنوا بالعذاب، قاله مجاهد^(٣).

(١) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٢٨٩، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٤٧.

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي (ط. هجر) ١٤/ ٤٣٧، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٩٩.

(٣) "تفسير مجاهد" ص ٦٥٧، وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٤٨.

سُورَةُ الصَّفِّ

وَيُقَالُ لَهَا: سُورَةُ الْحَوَارِيِّينَ.

وَفِيهَا قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهَا^(١) مَدَنِيَّةٌ قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَعُكْرَمَةُ، وَقَتَادَةُ، وَالْجُمْهُورُ.

وَالثَّانِي: مَكِّيَّةٌ قَالَه ابْنُ يَسَارٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنِينَ مَرْصُوفٌ ﴿[الصَّف: ١ - ٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ فِي سَبَبِ نَزُولِهَا خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: مَا رَوَى أَبُو سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: قَعَدْنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَا: لَوْ نَعْلَمُ أَيَّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَمَلُنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾... إِلَى آخِرِ السُّورَةِ^(٢).

(١) لَيْسَتْ فِي (ر).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي "مُسْنَدِهِ" ٢٠٥/٣٩ (٢٣٧٨٨)، وَالدَّارِمِيُّ فِي "سُنَنِهِ" ١٥٤٥/٣، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي "سُنَنِهِ" (٣٣٠٩) عَنْهُ بِهِ، وَالسَّيُوطِيُّ فِي "الدَّر الْمَشْهُور" ٤٤٠/١٤ مِنْ طَرِيقِ الدَّارِمِيِّ، وَالتَّطَبَّرَانِي فِي "الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ" ١٦٩/١٣ - ١٧٠ (٤٠٦، ٤٠٧)، وَالثَّعْلَبِيُّ فِي "الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ" ٣٠٣/٩، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي "السَّنَنِ الْكُبْرَى" ٢٦٩/٩، وَالْوَاهِدِيُّ فِي "الْوَسِيطِ" ٢٩٠/٤ (١١٨٨). وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي "صَحِيحِهِ" ٤٥٤/١٠ (٤٥٩٤).

والثاني: أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَجِيءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فيقول: فعلت كذا وكذا. وما فعل فنزلت: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ رواه عكرمة عن ابن عباس^(١)، وكذلك قال الضَّحَّاك: كان الرجل يقول: قاتلت، ولم يقاتل، وطعنت، ولم يطعن، وصبرت، ولم يصبر، فنزلت هذه الآية^(٢).

والثالث: أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٣) كانوا يقولون قبل أن يفرض الجهاد: لوددنا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى دَلَّنَا عَلَى أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْهِ، فلما نزل الجهاد، كرهه ناس من المؤمنين، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس^(٤).

والرَّابِع: أَنَّ صَهِيبًا قَتَلَ رَجُلًا يَوْمَ بَدْرٍ، فجاء رجلٌ فادَّعى أَنَّهُ قَتَلَهُ وأخذ السلب^(٥)، فقال صهيب: أنا قتلته يا رسول الله! فأمره أن يدفع سلبه إلى صهيب، ونزلت هذه الآية، رواه سعيد بن المسيب، عن صهيب^(٦).

والخامس: أَنَّ الْمُنَافِقِينَ كانوا يقولون للنبي وأصحابه: لو قد خرجتم خرجنا معكم، ونصرناكم. فلمَّا خرج النبي ﷺ نَكَصُوا عَنْهُ، فنزلت هذه

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "لباب النقول" للسيوطي ص ١٩٥.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٣٥٥/٢٣.

(٣) في (ر): المسلمين.

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٣٥٤/٢٣، وعبد بن حميد وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ١٤٦/٨.

(٥) في (ر): سلبه.

(٦) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣٠٢/٩.

الآية، قاله ابن زيد^(١).

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: "مَقْتًا": منصوب على التمييز، والمعنى: كبر قولكم ما لا تفعلون مقتًا عند الله.

ثم أَعْلَمَ عز وجل ما الذي يحبه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ نُسُتَيْنَ مَرْصُوصٍ﴾؛ أي: بنيان لاصق بفضله [٧٨٣/أ] ببعض، فأعلم أنه يحب من ثبت في الجهاد، ويلزم مكانه كثبوت البنيان المرصوص.

ويجوز أن يكون عنى أن يستوي ثباتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص^(٢).

وللمفسرين في المراد بـ "المرصوص" قولان:

أحدهما: أنه الملتصق ببعضه ببعض، فلا يرى فيه خلل لإحكامه، قاله الأكثرون.

والثاني: أنه المبني بالرصاص، وإلى نحو هذا ذهب الفراء^(٣).

وكان أبو بحرية يقول: كانوا يكرهون القتال على الخيل، ويستحبون القتال على الأرض لهذه الآية^(٤).

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/٣٥٥.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/١٦٣ - ١٦٤.

(٣) "معاني القرآن" للفراء ٣/١٥٣.

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/٣٥٨.

اسم أبي بحرية: عبد الله بن قيس التراغمي، يروي عن معاذ، وكأنه أشار بذلك إلى أن الفرسان لا يصطفون في الغالب إنما يصطف الرجال.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ٩﴾

[الصف: ٥ - ٩].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ المعنى: اذكر لمن يؤذيك من المنافقين ما صنعت بالذين آذوا موسى، وقد ذكرنا ما آذوا به موسى في الأحزاب [آية: ٦٩].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ أي: مالوا عن الحق ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: أمالها عن الحق جزاء لما ارتكبوه، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿يَأْتِي مِنْ بَعْدِي﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: "من بعدي اسمه" بفتح الياء.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: "من

بعدي اسمه "بإسكان الياء"^(١).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم اليهود، قاله مقاتل^(٢).

والثاني: النصارى حين قالوا: عيسى ابن الله، قاله أبو سليمان الدمشقي.

وقرأ ابن مسعود، وعاصم الجحدري، وطلحة بن مصرف: "وهو يَدْعِي إلى الإسلام" بفتح الياء، والبدال، وتشديدها، وبكسر العين^(٣)، وما بعد هذا في براءة [آية: ٣٢]... إلى قوله تعالى: ﴿مُتِمُّنُ نُورِهِ﴾.

قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم وخلف: "مُتِمُّ نُورِهِ" مضاف.

وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: "مُتِمُّ" رفع منون^(٤).

(١) كلنا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٥، و"معاني القراءات" للأزهري ٦٨/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٢٨٨/٦.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٣١٦/٤.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٦، و"المحتسب" لابن جني ٣٢١/٢.

(٤) كلنا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٥، و"معاني القراءات" للأزهري ٦٨/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٢٨٩/٦.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَىٰ يَحْزَرُ تُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (١٠) ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١١) ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٢) ﴿وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا أَنْصَارَ اللَّهُ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٠ - ١٤].

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَذْكَرُ عَلَىٰ يَحْزَرُ﴾.

قال المفسرون: نزلت هذه الآية حين قالوا: لو علمنا أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا به أبداً، فدهم الله على ذلك، وجعله بمنزلة التجارة لكان ربحهم فيه.

قوله تعالى: ﴿تُنَجِّكُمْ﴾ قرأ ابن عامر: "تنجّيكم" بالتشديد، وقرأ الباكون بالتخفيف^(١).

ثم بيّن التجارة؛ فقال تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾. قال الزّجاج: وقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ جواب قوله: ﴿وَتُجَاهِدُونَ﴾؛ لأنّ معناه معنى الأمر.

والمعنى: آمنوا بالله وجاهدوا، يغفر لكم؛ أي: إن فعلتم ذلك يغفر لكم، وقد غلط بعض النحويين، فقال: هذا جواب: "هل" وهذا غلط بيّن؛ لأنّه

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٥، و"معاني القراءات" للأزهري ٦٨/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/٢٨٩ - ٢٩٠.

ليس إذا دلهم على ما ينفعهم غفر لهم، إنما يغفر لهم إذا عملوا بذلك^(١).
ومن قرأ: "يغفر لكم" بإدغام الراء في اللام، فغير جائز عند
سيبويه^(٢)، والخليل؛ لأنه لا تدغم الراء في اللام في قولهم.
وقد رويت عن أبي عمرو بن العلاء -وهو إمام عظيم^(٣)- ولا
أحسبه قرأها إلا وقد سمعها من العرب.

وقد زعم سيبويه، والخليل وجميع البصريين، ما خلا أبا عمرو، أن
اللام تدغم في الراء، وأن الراء لا تدغم في اللام، وحجّتهم أن الراء حرف
مكرر قوي، فإذا أدغمت في اللام ذهب التكرير منها. وما بعد هذا قد
[٧٨٣/ب] سبق إلى قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾.

قَالَ الْفَرَّاءُ: والمعنى: ولكم في العاجل مع ثواب الآخرة أخرى
تحبونها، ثم فسّرها فقال تعالى: ﴿نَصَرْتُمُ اللَّهَ وَفَنَحَّ قَرِيبٌ﴾^(٤).
وفيه قولان:

أحدهما: أنه فتح مكة، قاله ابن عباس^(٥).

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٦٦/٥.

(٢) "الكتاب" لسيبويه ٤٤٨/٤.

(٣) قراءة سبعية، لكنها عن أبي عمرو وحده، ينظر: "الحجة في القراءات السبع" لابن
خالويه ص ٨٠.

(٤) "معاني القرآن" للفرّاء ١٥٤/٣.

(٥) لم أجده عن ابن عباس، وهو قول الكلبي، ينظر: "الوسيط" للواحدي ٢٩٣/٤، "معالم
التنزيل" للبغوي ١١٠/٨.

والثاني: فتح فارس والروم، قاله عطاء^(١).

قوله تعالى: ﴿وَيَنْتَرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: بالنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة، ثم حصّهم على نصر دينه بقوله تعالى: ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: "كونوا أنصاراً لله" منونة.

وقرأ عاصم وابن عامر، وحمزة، والكسائي: "أنصار الله" مضاف^(٢)، ومعنى الآية: دوموا على ما أنتم عليه، وانصروا دين الله، مثل نصره الحواريين لما قال لهم عيسى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾.

وحرك نافع ياء: "من أنصاري إلى الله"^(٣). وقد سبق تفسير هذا الكلام.

قوله تعالى: ﴿فَتَأْمَنَّتْ ظَلِيفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بعيسى ﴿وَكَفَرَتْ ظَلِيفَةٌ﴾ فأيدنا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بعيسى ﴿عَلَىٰ عِدْوِهِمْ﴾ وهم مخالفو عيسى، كذلك قال ابن عباس، ومجاهد، والجمهور.

وقال مقاتل: تمّ الكلام عند قوله تعالى: ﴿وَكَفَرَتْ ظَلِيفَةٌ﴾^(٤).

﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمحمّد ﴿عَلَىٰ عِدْوِهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ بمحمّد على

الأديان.

(١) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٢٩٣/٤، والبغوي في "معالم التنزيل" ٨٠/٥.

(٢) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٥، و"معاني القراءات" للأزهري ٦٩/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٢٩٠/٦.

(٣) قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٥، و"معاني القراءات" للأزهري ٢٥٧/١، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٢٩٠/٦.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٣١٨/٤.

وقال إبراهيم النخعي: أصبح من آمن بعيسى ظاهرين بتصديق محمد ﷺ أن عيسى كلمة الله وروحه بتعليم الحجة^(١).

قال ابن قتيبة: ﴿فَأَصْحُوا أَظْهَرِينَ﴾ أي: غالين عليهم بمحمد؛ من قولك: ظهرت على فلان؛ إذا علوته، وظهرت على السطح؛ إذا صرت فوقه^(٢).

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٥٠.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٦٤.

سورة الجمعة

وَهِيَ مَدْنِيَّةٌ كُلُّهَا بِإِجْمَاعِهِمْ، وَقَدْ سَبَقَ شَرْحُ فَاتِحَتِهَا.

وَقَرَأَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ، وَعُكْرَمَةُ، وَالنَّخْعِيُّ،
وَالْوَلِيدُ عَنْ يَعْقُوبَ: ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ بِالرَّفْعِ فِيهِنَّ^(١).

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْفَائِدَةُ فِي إِعَادَتِهِ ذِكْرَ التَّسْبِيحِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ ذَلِكَ لَاسْتِفْتَاكِ السُّورِ بِتَعْظِيمِ اللَّهِ عِزِّ وَجَلِّ، كَمَا
تُسْتَفْتَحُ بِـ "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" وَإِذَا جَلَّ الْمَعْنَى فِي تَعْظِيمِ اللَّهِ عِزِّ
وَجَلِّ، حُسْنُ الْاسْتِفْتَاكِ بِهِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ
فِي الْأُمَمِينَ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُو أَعْلَانِيَةً مَا يَنْزِلُ بِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ
لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ^(٢) وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿[الجمعة: ١ - ٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ﴾ يَعْنِي: الْعَرَبَ، وَكَانُوا لَا
يَكْتُبُونَ، وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا الْمَعْنَى فِي الْبَقَرَةِ [آية: ٧٨].

﴿رُسُلًا﴾ يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ ﴿مِنْهُمْ﴾ أَي: مِنْ جِنْسِهِمْ وَنَسَبِهِمْ.

(١) قراءة شاذة، قرأ بها أيضا أبو وائل شقيق بن سلمة، ينظر: "إيضاح الوقف والابتداء"
لأبي بكر الأنباري ٩٣٥/٢، و"القطع والانتفاف" للنحاس ص ٧٣٧، و"مختصر في شواذ
القرآن" لابن خالويه ص ١٥٦.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا وَجْهُ الْاِمْتِنَانِ فِي أَنَّهُ بَعَثَ نَبِيًّا أَمِيًّا؟

فَعَنهُ ثَلَاثَةُ أَجَوِبَةٍ:

أَحَدُهَا: لِمُوَافَقَةِ مَا تَقَدَّمَتْ بِشَارُهُ الْأَنْبِيَاءُ بِهِ^(١).

وَالثَّانِي: لِمُشَاكَلَةِ حَالِهِ لِأَحْوَالِهِمْ، فَيَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى مُوَافَقَتِهِمْ^(٢).

وَالثَّلَاثُ: لِئَلَّا يَظُنَّ بِهِ أَنَّهُ يَعْلَمُ كَتَبَ مِنْ قَبْلِهِ. وَمَا بَعْدَ هَذَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ [آيَةٌ: ١٢٩]... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾؛ أَي: وَمَا كَانُوا قَبْلَ بَعَثِهِ إِلَّا فِي ﴿ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بَيِّنٍ، وَهُوَ الشَّرْكَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: وَبَعَثَ مُحَمَّدًا فِي آخِرِينَ مِنْهُمْ؛ أَي: مِنَ الْأَمِيينَ.

وَالثَّانِي: وَيَعْلَمُ آخِرِينَ مِنْهُمْ، وَيَزَكِّيهِمْ.

وَفِي الْمُرَادِ بِالْآخِرِينَ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمُ الْعَجَمُ، قَالَ ابْنُ عَمْرٍو، وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ^(٣)، وَهِيَ رَوَايَةُ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ^(٤).

(١) فِي (ر): مَا تَقَدَّمَتْ الْبَشَارَةُ بِهِ فِي كَتَبِ الْأَنْبِيَاءِ.

(٢) فِي (ر): لِمُوَافَقَتِهِمْ.

(٣) ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي "الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ" ٣٠٦/٩، وَمَكِّي بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي "الْهُدَايَةِ إِلَى بَلُوغِ النِّهَايَةِ" ٧٤٥٨/١٢، وَالسَّمْعَانِيُّ فِي "تَفْسِيرِهِ" ٤٣١/٥، وَابْنُ الْبُغْوِيِّ فِي "مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ" ٨١/٥.

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي "تَفْسِيرِهِ" ٣٧٤/٢٣.

فعلی هذا إنما قال: "منهم"؛ لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم؛ إذ المسلمون يد واحدة، وملة واحدة.

والثاني: أنهم التابعون، قاله عكرمة، ومقاتل^(١).

والثالث: جميع من دخل في الإسلام إلى يوم القيامة، قاله ابن زيد، وهي رواية ابن أبي نجیح عن مجاهد^(٢).

والرابع: أنهم الأطفال، حكاه الماوردي^(٣).

قوله تعالى: ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾؛ أي: لم يلحقوا بهم.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ يعني: الإسلام والهدى ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ بإرسال محمد ﷺ.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمِلُوا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا يَتْسَلُّونَ مِثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾ يتأيت الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴿٥﴾ قل بآياتها الذين هادوا إن رعونتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صديقين ﴿٦﴾ ولا يمتنونه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴿٧﴾ قل إن الموت الذي تفرعون منه فإنه ملق بكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴿٨﴾

[الجمعة: ٥ - ٨].

(١) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣١١ (٣٢٢٣)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٥٣ عن عكرمة، وفي "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣٢٥: الباقي من هذه الأمة ممن بقي منهم.

(٢) أخرجه عنها الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٧٥.

(٣) "النكت والعيون" للماوردي ٦/ ٧.

ثُمَّ ضَرَبَ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ تَرَكَوا الْعَمَلَ بِالتَّوْرَةِ مَثَلًا؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مِثْلَ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ﴾؛ أَي: كُلَّفُوا الْعَمَلَ بِهَا فِيهَا ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾؛ أَي: لَمْ يَعْمَلُوا بِمُوجِبِهَا، وَلَمْ يُؤَدُّوا حَقَّهَا ﴿كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا﴾ وَهِيَ جَمْعُ سَفَرٍ. وَالسَّفَرُ: الْكِتَابُ، فَشَبَّهَهُم بِالْحِمَارِ لَا يَعْقِلُ مَا يَحْمِلُ، إِذْ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا فِي التَّوْرَةِ، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَهَذَا الْمِثْلُ يَلْحَقُ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِالْقُرْآنِ وَلَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيهِ.

﴿يَنْسُ مِثْلَ الْقَوْمِ﴾ ذَمُّ مِثْلِهِمْ، وَالْمَرَادُ ذَمُّهُمْ، وَالْيَهُودُ كَذَبُوا بِالْقُرْآنِ وَبِالتَّوْرَةِ حِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أَنْفُسَهُمْ بِتَكْذِيبِ الْأَنْبِيَاءِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ، قَالُوا: نَحْنُ وَلَدُ إِسْرَائِيلَ اللَّهِ، ابْنُ ذَبِيحِ اللَّهِ، ابْنُ خَلِيلِ اللَّهِ، وَنَحْنُ أَوْلَى بِاللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ، وَإِنَّمَا تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِينَا. فَقَالَ اللَّهُ عِزٌّ وَجَلٌّ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: قُلْ لَهُمْ: {إِنْ كُنْتُمْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ}؛ لِأَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ مِنَ الدُّنْيَا.

وَقَدْ بَيَّنَّا هَذَا وَمَا بَعْدَهُ فِي الْبَقَرَةِ [آيَةُ: ٩٤]... إِلَى قَوْلِهِ عِزٌّ وَجَلٌّ: ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ عَلِمُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَفْسَدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَمْرَ الْآخِرَةِ بِتَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا، وَكَانُوا يَكْرَهُونَ الْمَوْتَ، فَقِيلَ لَهُمْ: لَا بَدَّ مِنْ نَزْوِلِهِ بِكُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾.

قَالَ الْفَرَّاءُ: الْعَرَبُ تُدْخِلُ الْفَاءَ فِي كُلِّ خَبَرٍ كَانَ اسْمُهُ مِمَّا يُوَصَّلُ: مِثْلُ:

"من" و"الذي"، فَمَنْ أدخل الفاء هاهنا ذهب "بألذي" إلى تأويل الجزاء.
وفي قراءة عبد الله: "إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ مُلَاقِيكُمْ" ^(١)، وهذا على القياس؛ لأنك تقول: إِنَّ أَخَاكَ قَائِمٌ، وَلَا تَقُولُ: فَقَائِمٌ، ولو قلت: إِنَّ ضَارِبَكَ فَظَالِمٌ، لَجَازٌ؛ لِأَن تَأْوِيلَهُ: إِنْ مِنْ يَضْرِبُكَ فَظَالِمٌ ^(٢).

وقال الزَّجَّاجُ: إنما جاز دخولُ الفاء؛ لِأَنَّ في الكلام معنى الشرط والجزاء. ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ كأنه قيل: إِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ أَيِّ مَوْتٍ كَانَ مِنْ قَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ: ﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾، وتكون "فإنه" استئنافاً بعد الخبر الأول ^(٣).

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ثَوَدَى لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩ - ١٠].

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهذا هو النداء الذي ينادى به إذا جلس الإمام على المنبر، ولم يكن في عهد رسول الله نداء سواه، كان إذا جلس على المنبر أذن بلال على باب المسجد، وكذلك كان على عهد أبي بكر، وعمر، فلما كثر الناس على عهد عثمان أمر بالتأذين على دار له بالسوق، يقال لها: "الزوراء" وكان إذا جلس أذن أيضاً ^(٤).

(١) قراءة شاذة، ذكرها أيضاً الزمخشري في "الكشاف" ٥٣٢/٤.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ١٥٥ - ١٥٦.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٧١/٥.

(٤) أخرجه أحمد في "مسنده" ٤٩٢/٣٤ (١٥٧١٦)، والنسائي في "المجتبى" ١٠٠ - ١٠١، =

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِلصَّلَاةِ﴾ أَي: لوقت الصلاة.

وفي "الجمعة" ثلاث لغات: ضم الجيم والميم، وهي قراءة الجمهور، وضم الجيم مع إسكان الميم، وبها قرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رجاء، وعكرمة، والزهري، وابن أبي ليلى، وابن أبي عبله، والأعمش^(١)، وبضم الجيم مع فتح الميم، وبها قرأ أبو مجلز، وأبو العالية، والنخعي، وعدي بن الفضل عن أبي عمرو^(٢).

قال الزَّجَّاج: ومن قرأ بتسكين الميم، فهو تخفيف الجمعة لثقل [٧٨٤/ب] الضمتين، وأما فتح الميم، فمعناها: الذي يجمع الناس، كما تقول: رجل لعنة: يكثر لعنة الناس، وضحكة: يكثر الضحك^(٣).

وفي تسمية هذا اليوم بيوم الجمعة ثلاثة أقوال:

أحدها: لأن فيه جمع آدم.

روى سلمان قال: قال لي رسول الله ﷺ: "أَتَذَرِي مَا الْجُمُعَةُ؟" قُلْتُ:

=والثعلبي في "الكشف والبيان" ٣٠٨/٩ من حديث السائب بن يزيد.

(١) قراءة شاذة، ينظر: "معاني القرآن" للفراء ١٥٦/٣، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٧.

(٢) قراءة شاذة أيضاً، قال الفراء في "معاني القرآن" ١٥٦/٣: هي لغة لبني عقيل لو قرئ بها كان صواباً. وقال الزجاج في "معاني القرآن وإعرابه" ١٧١/٥: ويجوز في اللغة الجمعة بفتح الميم ولا ينبغي أن يقرأ بها إلا أن ثبت بها رواية عن إمام من القراء. وقال ابن خالويه في "مختصر في شواذ القرآن" ص ١٥٧: ولم يقرأ بها أحد.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٧١/٥.

لَا. قال: "فِيهِ مُجَمَّعٌ أَبُوكَ" يعني: تَمَامَ خَلْقِهِ فِي يَوْمٍ^(١).

وَالثَّانِي: لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهِ لِلصَّلَاةِ.

وَالثَّلَاثُ: لِاجْتِمَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ الْيَوْمَ الَّذِي مِنْهُ فَرَّغَ مِنْ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ.

وَفِي أَوَّلِ مَنْ سَمَّاها بِالْجُمُعَةِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ كَعَبِ بْنِ لُؤْيٍ سَمَّاها بِذَلِكَ، وَكَانَ يُقَالُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ: الْعُرُوبَةُ. قَالَه أَبُو سَلَمَةَ^(٢). وَقِيلَ: إِنَّمَا سَمَّاها بِذَلِكَ لِاجْتِمَاعِ قَرِيشٍ فِيهِ.

وَالثَّانِي: أَوَّلُ مَنْ سَمَّاها بِذَلِكَ الْأَنْصَارُ، قَالَه ابْنُ سِيرِينَ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وَفِي هَذَا السَّعْيِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْمَشْيُ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ. وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقْرَأُهَا: "فَامْضُوا"، وَيَقُولُ: لَوْ قَرَأْتُمَا: "فَاسْعُوا" لَسَعَيْتَ حَتَّى يَسْقُطَ رِدَائِي^(٤).

(١) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي "مُصْنَفِهِ" ٢٥٦/٣ (٥٥٦١) عَنْ الْأَعْمَشِ مَرْسَلًا، وَابْنُ خَزِيمَةَ فِي "صَحِيحِهِ" ٨٣٨/٢ (١٧٣٢)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي "صَحِيحِهِ" ١١٨/٣ (١٧٣٢)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي "الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ" ٢٣٧/٦ (٦٠٩١، ٦٠٩٢)، الْوَاحِدِيُّ فِي "الْوَسِيطِ" ٢٩٦/٤ (١١٩١) مَوْصُولًا.

(٢) أَخْرَجَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي "الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ" ٣٠٩/٩.

(٣) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي "مُصْنَفِهِ" ١٥٩/٣ (٥١٤٤)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ الْمُنْذَرِ كَمَا فِي "الْدَّرِ الْمَشْهُورِ" لِلْسَّيْطِيِّ ١٥٩/٨، وَالثَّعْلَبِيُّ فِي "الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ" ٣٠٩/٩.

(٤) قِرَاءَةُ شَاذَةٍ، أَخْرَجَهَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي "مُصْنَفِهِ" ٢٠٧/٣ (٥٣٤٨، ٥٣٤٩، ٥٣٥٠)، وَفِي "تَفْسِيرِهِ" ٣٠٩/٣ (٣١٠، ٣٢١٦، ٣٢١٧) وَالطَّبْرَانِيُّ ٢٣/٣٨١-٣٨٢، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَبِي الْعَالِيَةِ. وَابْنُ الْبَيْهَقِيِّ فِي "السَّنَنِ الْكَبِيرِ" ٢٢٧/٣ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ.

وقال عطاء: هو الذهاب والمشي إلى الصلاة^(١).

والثاني: أنَّ المراد بالسعي: العمل، قاله عكرمة، والقرظي، والضحاك^(٢)، فيكون المعنى: فاعملوا على المضي إلى ذكر الله بالتفرغ له، والاشتغال بالطهارة ونحوها.

والثالث: أنه النية بالقلب، قاله الحسن^(٣).

وقال ابن قتيبة: هو المبادرة بالنية والجد^(٤).

وفي المراد "بذكر الله" قولان:

أحدهما: أنَّه الصلاة، قاله الأكثرون.

والثاني: موعظة الإمام، قاله سعيد بن المسيب^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي: دعوا التجارة في ذلك الوقت.

(١) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" ٢٠٧/٣ (٥٣٤٧)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ١٦٢/٨.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٧٥/٤ (٥٥٩٩، ٥٦٠٢) عن عكرمة ومحمد بن كعب القرظي، والطبري في "تفسيره" ٣٨٣/٢٣ عن عكرمة والضحاك، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ١٦٢/٨ عن محمد بن كعب القرظي.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٧٥/٤ (٥٥٩٨)، وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ١٦٢/٨.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٦٥.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٣٦/٢ (٥٦٠١)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/٣٨، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٣١١/٩.

وعندنا: أنه لا يجوز البيع في وقت النداء، ويقع البيع باطلاً في حق من يلزمه فرض الجمعة، وبه قال مالك خلافاً للأكثرين.

فَضْلٌ

تجب الجمعة على من سمع النداء من المصر، إذا كان المؤذن صيِّتاً، والريح سالكة. وقد حده مالك بفرسخ، ولم يحده الشافعي. وعن أحمد في التحديد نحوهما.

وتجب الجمعة على أهل القرى، وقال أبو حنيفة: لا تجب إلا على أهل الأمصار. ويجوز لأهل المصر أن يقيموا الجمعة في الصحراء القريبة من المصر خلافاً للشافعي.

ولا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين. وعن أحمد: أقله خمسون. وعنه: أقله ثلاثة. وقال أبو حنيفة: تنعقد بثلاثة والإمام، والعدد شرط في الجمعة، وقال أبو حنيفة في إحدى الروايتين: يصح أن يخطب منفرداً. وهل تجب الجمعة على العبيد؟ فيه عن أحمد روايتان.

وعندنا: تجب على الأعمى إذا وجد قائداً، خلافاً لأبي حنيفة. ولا تنعقد الجمعة بالعبيد والمسافرين، خلافاً لأبي حنيفة.

وهل تجب الجمعة والعيذان من غير إذن سلطان؟ فيه عن أحمد روايتان. وتجوز الجمعة في موضعين في البلد مع الحاجة. وقال مالك، والشافعي، وأبو يوسف: لا تجوز إلا في موضع واحد.

وتجوز إقامة الجمعة قبل الزوال خلافاً لأكثرهم، وإذا وقع العيد يوم الجمعة أجزأ حضوره عن يوم الجمعة، وبه قال الشعبي، والنخعي، خلافاً للأكثرين.

والمستحب لأهل الأعدار أن يصلوا الظهر في جماعة. وقال أبو حنيفة: يكره. ولا يجوز السفر يوم الجمعة بعد الزوال. وقال أبو حنيفة: يجوز. [٧٨٥/أ]

وهل يجوز السفر بعد طلوع الفجر؟ فيه عن أحمد روايتان. ونقل عن أحمد: أنه لا يجوز الخروج في الجمعة إلا للجهاد. وقال أبو حنيفة: يجوز لكل سفر. وقال الشافعي: لا يجوز أصلاً.

والخطبة شرط في الجمعة. وقال داود: هي مستحبة.

والطهارة لا تشترط في الخطبة، خلافاً للشافعي في أحد قوليهِ. والقيام ليس بشرط في الخطبة، خلافاً للشافعي. ولا تجب القعدة بين الخطبتين، خلافاً له أيضاً.

ومن شرط الخطبة: التحميدُ، والصَّلاة على النبي ﷺ، وقراءة آية، والموعظة. وقال أبو حنيفة: يجوز أن يخطب بتسبيحة.

والخطبتان واجبتان، وأمَّا القراءة في الخطبة الثانية، فهي شرطٌ، خلافاً للشافعي.

والسنة للإمام إذا صعد المنبر، واستقبل الناس: أن يسلم، خلافاً لأبي حنيفة، ومالك.

وهل يحرم الكلام في حال سماع الخطبة؟ فيه عن أحمد روايتان.
ويحرم على المستمع دون الخاطب، خلافاً للأكثرين. ولا يكره الكلام قبل
الابتداء بالخطبة، وبعد الفراغ منها، خلافاً لأبي حنيفة.

ويستحب له أن يصلي تحية المسجد والإمام يخطب، خلافاً لأبي
حنيفة، ومالك.

وهل يجوز أن يخطب واحد، ويصلي آخر، فيه عن أحمد روايتان.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إن كان لكم علم
بالأصلح ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾؛ أي: فرغتم منها ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾
هذا أمر بإباحة ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ إباحة لطلب الرزق بالتجارة بعد
المنع منها بقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾، وقال الحسن، وسعيد بن جبیر:
هو طلب العلم^(١).

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو
وَمِنَ النَّجْوَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾.

سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم الجمعة، إذ أقبلت غير
قد قدمت، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت
هذه الآية.

(١) ذكره الزمخشري في "الكشاف" ٥٣٦/٤.

أخرجه البخاري ومسلم في "الصحيحين" من حديث جابر بن عبد الله^(١)، قاله الحسن.

وذلك أنهم أصابهم جوعٌ، وغلاء سعر، فلما سمعوا بها خرجوا إليها، فقال النبي ﷺ: "لَوْ اتَّبَعَ آخِرُهُمْ أَوَّلُهُمُ التَّهَبَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَارًا"^(٢). قال المفسرون: كان الذي قدم بالتجارة دحية بن خليفة الكلبي.

قال مقاتل: وذلك قبل أن يسلم^(٣). قالوا: قدم بها من الشام، وضرب لها طبل يؤذن الناس بقدومها. وهذه كانت عادتهم إذا قدمت غير. قال جابر بن عبد الله: كانت التجارة طعامًا^(٤).

قال أبو مالك: كانت زيتًا^(٥).

والمراد باللهو: ضرب الطبل. و﴿أَنْفَضُوا﴾ بمعنى: تفرقوا عنك، فذهبوا إليها. والضمير للتجارة.

وإنما خصت برد الضمير إليها، لأنها كانت أهم إليهم، هذا قول الفراء^(٦)، والمبرد.

(١) "صحيح البخاري" (٢٠٥٨)، و"صحيح مسلم" (٨٦٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣١١ (٣٢٢١)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٨٧.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣٢٨، وأخرجه أبو داود في "مراسيله" (٦٢).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩٣٦).

(٥) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٨٦.

(٦) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٥٧.

وقال الزَّجَّاج: المعنى: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها^(١)، أو لهوا انفضوا إليه، فحذف خبر أحدهما؛ لأن الخبر الثاني يدلُّ على الخبر المحذوف.

وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبله: "انفضوا إليهما" على الشنية. وعن ابن مسعود، وابن أبي عبله: "انفضوا إليه" على ضمير مذكر^(٢).

﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ وهذا القيام كان في الخطبة ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من ثواب الصلاة والثبوت^(٣) مع رسول الله ﷺ ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوَمِنَ الْجَزَاءِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾؛ [٧٨٥/ب] لأنه يرزق من يؤمن به ويعبده، ومن يكفر به ويحده، فهو يُعطي من سأل، ويبتدئ من لا يسأل، وغيره إنما يرزق من يرجو منفعة، أو يُقبل على خدمته.

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٧٢/٥.

(٢) كلتا القراءتين شاذة، ذكرهما: الحافظ عبد الرازق الرسعني في "رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" ص ١٧٠، وابن عادل الدمشقي في "اللباب في علوم الكتاب" ٩٧/١٩، والآلوسي في "روح المعاني" ١٠٥/٢٨.

(٣) في (ر): الثبات.

سورة المنافقون

وهي مدنيّةٌ كلّها بإجماعهم.

وذكر أهل التفسير أنّها نزلت في عبد الله بن أبيّ ونظرائه.

وكان السبب أن عبد الله خرج مع النبي ﷺ في خلق كثير من المنافقين إلى المريسيع، وهو ماء لبني المصطلق طلباً للغنيمة، لا للرغبة في الجهاد؛ لأنّ السفر كان قريباً^(١).

فلما قضى رسول الله ﷺ غزوه، أقبل رجل من جهينة، يُقال له: سنان، وهو حليف لعبد الله بن أبيّ، ورجل من بني غفار يُقال له: جهجاه بن سعيد، وهو أجير لعمر بن الخطاب لاستيقاء الماء، فدار بينهما كلام، فرفع الغفاري يده فلطم الجهني، فأذماه، فنادى الجهني: يا آل الخزرج، فأقبلوا، ونادى الغفاري: يا آل قريش، فأقبلوا، فأصلح الأمر قوم من المهاجرين.

فبلغ الخبر عبد الله بن أبيّ فقال -وعنده جماعة من المنافقين-: والله ما مثلكم ومثل هؤلاء الرّهط من قريش إلا مثل ما قال الأوّل: سَمَنْ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ، ولكن هذا فعلكم بأنفسكم، أو يَتُمُوهم في منازلكم، وأنفقتم عليهم أموالكم، فقوموا وضعفتهم. وإيم الله: لو أمسكتهم أيديكم لتفرقت عن هذا جموعه، ولئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذلّ، وكان في القوم زيد بن أرقم، وهو غلام يومئذ لا يؤبه له، فقال لعبد الله: أنت والله الذليل القليل. فقال: إنما كنت ألعب.

(١) في (ر): لأن السفر قريب.

فأقبل زيد بالخبر إلى رسول الله ﷺ، فقال عمرُ: دغني أضرب عنقه. فقال: "إِذْنُ تَرَعْدُ لَهُ أَنْفٌ كَثِيرَةٌ". قال: فإن كرهت أن يقتله رجلٌ من المهاجرين، فمُرَّ سعد بن عبادَةَ، أو محمد بن مسلمة، أو عباد بن بشر فليقتله. فقال: "إِذْنُ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ".

فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبيّ، فأتاه، فقال: «أَنْتَ صَاحِبُ هَذَا الْكَلَامِ؟» فقال: والذي أنزل عليك، ما قلت شيئاً من هذا، وإن زيداً للكذاب. فقال من حضر: لا يُصَدِّقُ عليه كلام غلام، عسى أن يكون قد وهم. فعذّره رسول الله ﷺ، وفشّت الملامة في^(١) الأنصار لزيد، فكذبوه، وقال له عمّه: ما أردت إلا أن كذّبتك رسول الله ﷺ [والمسلمون]^(٢)، ومقتوك فاستحيا زيد، وجلس في بيته.

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ما كان من أمر أبيه، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبيّ؛ لما بلغك عنه. فإن كنت فاعلاً فمُرني به^(٣)، فأنا أحمل إليك رأسه، فإنني أخشى أن يقتله غيري، فلا تدعني نفسي حتى أقتل قاتله، فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «بَلْ نُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا»، وأنزل الله سورة المُنَافِقِينَ في تصديق زيد، وتكذيب عبد الله، فأرسل رسول الله ﷺ إلى زيد فقرأها عليه، [٧٨٦/أ] فقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ».

(١) في (ر): من.

(٢) من سائر النسخ.

(٣) ليست في (ر).

ولما أراد عبد الله بن أبي أن يدخل المدينة جاء ابنه، فقال: ما وراءك؟ قال: ما لك ولك؟ قال: والله لا تدخلها أبداً إلا بإذن رسول الله ﷺ لتعلم^(١) اليوم من الأعز، ومن الأذل. فشكا عبد الله إلى رسول الله ﷺ ما صنع ابنه^(٢)، فأرسل إليه رسول الله ﷺ أن خل عنه حتى يدخل، فلما نزلت السورة وبأن كذبه قيل له: يا أبا حباب: إنه قد نزلت فيك آيات شِداد فاذهب إلى رسول الله ليستغفر لك. فلوى رأسه^(٣)، فذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَأَوْهُ وَسَّمُوهُ﴾، وقيل: الذي قال له هذا عبادة بن الصامت^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(١) أَخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ^(٣) وَإِذَا رَأَوْهُ تَعْجَبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوَّ فَاذْرُهُمْ فَتِلْهُمْ اللَّهُ أَفَى يَوْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ١ - ٤].

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه.

(١) في (ر): ليعلم.

(٢) ليست في (ر).

(٣) في (ر): فلوى به رأسه.

(٤) القصة بتمامها مع اختلاف في بعض ألفاظها ذكرها البغوي في "معالم التنزيل" ٩٩/٥ - ١٠٠ عن ابن إسحاق.

﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ وهاهنا تمّ الخبر عنهم، ثم ابتدأ فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴿وإنما جعلهم كاذبين؛ لأنهم أضمرُوا غير ما أظهرُوا.

قال الفراء: إنما كذب ضميرهم^(١).

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قد ذكرناه في المجادلة: [آية: ١٦].

قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية تدلّ على أن قول القائل: "أشهد" يمين؛ لأنهم قالوا: "نشهد" فجعله يميناً بقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾^(٢)، وقد قال أحمد، والأوزاعي، والثوري، وأبو حنيفة: أشهد، وأقسم، وأعزم، وأحلف، كلّها أيمان.

وقال الشافعي: "أقسم" ليس بيمين، وإنما قوله: "أقسم بالله" يمين إذا أراد اليمين.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الكذب ﴿بِأَيْمَنِهِمْ﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ في السرّ ﴿فَطُغِيَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان والقرآن ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعني: أن لهم أجساماً ومناظر.

قال ابن عباس: كان عبد الله بن أبي جسيماً فصيحاً، ذلق اللسان، فإذا قال سمع النبي ﷺ قوله^(٣). وقال غيره: المعنى: تُصغي إلى قولهم،

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٥٨.

(٢) "المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين" للقاضي أبي يعلى الفراء ٣/ ٥٠.

(٣) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٢٠، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ٩٨، والزحشري في "الكشاف" ٤/ ٥٤٠.

فتحسب أنه حقٌّ.

﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة: "خُشْبٌ" بضم الخاء، والشين جميعاً، وهو جمع خشبة؛ مثل: ثمرة، وثمر.

وقرأ الكسائي: "خُشْبٌ" بضم الخاء، وتسكين الشين؛ مثل: بدنة، وبُذن، وأكمة، وأكم. وعن ابن كثير، وأبي عمرو، مثله^(١).

وقرأ أبو بكر الصديق، وعروة، وابن سيرين: "خَشَبٌ" بفتح الخاء، والشين جميعاً^(٢).

وقرأ أبو نبيك، وأبو المتوكل، وأبو عمران: "خَشَبٌ" بفتح الخاء، وتسكين الشين^(٣)، فوصفهم الله بحسن الصورة، وإبانة المنطق، ثم أعلم أنهم في ترك التفهم والاستبصار بمنزلة الخشب. والمسندة: الممالة إلى الجدار.

والمراد: أنها ليست بأشجار تثمر وتنمي، بل خشب مسندة إلى حائط.

ثم عابهم بالجبين، فقال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: لا يسمعون صوتاً إلا ظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب أن يكشف الله أسرارهم، وهذه مبالغة في الجبن. وأنشدوا في هذا المعنى [من الطويل]:

(١) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٦، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٧١، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٩١.

(٢) قراءة شاذة، قرأ بها أيضاً: ابن المسيب وسعيد بن جبير كما في "المحرر الوجيز" لابن عطية ٥/ ٣١٢.

(٣) قراءة شاذة أيضاً، ولم أقف على من ذكرها غير ابن الجوزي.

وَلَوْ أَنَّهَا عُصْفُورَةٌ لَحَسِبْتُهَا مُسَوِّمَةٌ تَدْعُو عِيْدًا وَأَزَنًا^(١)

أي: لو طارت عصفورة لحسبتها من جُنُك خيلاً تدعو هاتين [٧٨٦/ب] القبيلتين.

قوله تعالى: ﴿هُرَّ الْعَدُوِّ فَاحْذَرُهُمْ﴾؛ أي: لا تأمنهم على شرك؛ لأنهم عيون لأعدائك من الكفار ﴿فَلَهُمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤَفِّكُونَ﴾ مفسر في براءة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّازُءُكُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۝ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝ يَقُولُونَ لِنَنْزِعَنَّا إِلَى الْمَدِينَةِ لِنُخْرِجَ الْأَعْرَضَ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٥ - ٨].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ قد بينا سببه في نزول السورة.

(١) البيت من الطويل، وهو دون نسبة في: "الحيوان" للجاحظ ٥/١٣١، ٦/٥٤٨، و"جمهرة اللغة" لابن دريد ٢/٨٢٨، و"المذكر والمؤنث" لأبي بكر الأنباري ١/١٠٠، و"غريب القرآن" ص ٤٦٨، و"تأويل مشكل القرآن" ص ١٤ لابن قتيبة. وفي "الحماسة الصغرى" لأبي تمام ص ٢٣٠ أن قائله: العوام، أحد بني شيبان بن ثعلبة. ومنسوب في "أمالي اليزيدي" ص ٦٦ لمغيرة بن طارق بن ديسق اليربوعي، ونسبه ابن عبد ربه في "العقد الفريد" ٦/٥٤ للعوام.

وقال العيني في "المقاصد النحوية" ٤/١٩٦٦: قائله هو العوام بن شوذب.

﴿لَوْ أَرَادُوا سَمَّ﴾ وقرأ نافع، والمفضل عن عاصم، ويعقوب: "لَوْأ" بالتخفيف^(١). واختار أبو عبيدة التَّشديد^(٢). وقال: لأنهم فعلوا ذلك مرَّةً بعد مرَّةً^(٣).

قال مجاهد: لما قيل لعبد الله بن أبي: تعال يستغفر لك رسول الله لوى رؤوسهم^(٤)، قال: ماذا قلت؟^(٥).

وقال مقاتل: عطفوا رؤوسهم رغبةً عن الاستغفار^(٦). وقال الفراء: حَرَّكُوهَا استهزاءً بالنبي وبدعائه^(٧).

قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾؛ أي: يُعرضون عن الاستغفار. ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: متكبرون عن ذلك.

ثم ذكر أن استغفاره لهم لا ينفعهم بقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ

(١) قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٦، و"معاني القراءات" للأزهري ٧١/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٢٩٢/٦، "الإقناع في القراءات السبع" لأبي جعفر الغرناطي ص ٣٨٤.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٥٩).

(٣) لم أقف عليه في كتب أبي عبيدة معمر بن المثنى أو غيره.

(٤) في سائر النسخ: رأسه.

(٥) "تفسير مجاهد" ص ٦٦١، وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٣٩٩/٢٣، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ١٧٤/٨.

(٦) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٣٣٨/٤.

(٧) "معاني القرآن" للفراء ١٥٩/٣.

﴿أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ﴾ وقرأ أبو جعفر: "أَسْتَغْفِرْتَ" بالمد^(١).

قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ قد بينا أنه قول ابن أبي. و﴿يَنْفِقُوا﴾ بمعنى: ينفقوا.

﴿وَلِلْمَخْرَإِئِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال المفسرون: خزائن السموات: المطر، وخزائن الأرض: النبات.

والمعنى: أنه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين، لا أولئك.

﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يعلمون أن الله رازقهم في حال إنفاق هؤلاء عليهم ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا﴾ من هذه الغزوة.

وقد تقدم ذكرها وهذا قول ابن أبي ﴿لِيُخْرِجَ الْأَعْزُ﴾ يعني: نفسه، وعنى بـ﴿الْأَذَلَّ﴾ رسول الله ﷺ.

وقرأ الحسن: "لنُخْرِجَنَّ" بالنون مضمومة وكسر الراء^(٢). "الأعز" نصب الزاي على الحال، المعنى: لنخرجنه ذليلاً على أي حال ذل. والكل نصبوا "الأذل"، فرد الله عز وجل عليه فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ وهي: المنعة والقوة ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بإعزاز الله ونصره إياهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

(١) إحدى القراءات العشر، ينظر: "الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهذلي ص ٣٩٨، و"الكنز في القراءات العشر" لأبي محمد الواسطي ٦٨٤/٢.

(٢) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٧ وزاد نسبتها لابن أبي عبة.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءُمُورُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ①﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ② وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿[المنافقون: ٩ - ١١].

قوله تعالى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ أي: لا تشغلکم.

وفي المراد بذكر الله هاهنا أربعة أقوال:

أحدها: طاعة الله في الجهاد، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: الصَّلاة المكتوبة، قاله عطاء، ومقاتل^(١).

والثالث: الفرائض من الصلاة، وغيرها، قاله الضحاك^(٢).

والرابع: أنه على إطلاقه.

قال الزَّجَّاج: حَضَّهْم بهذا على إدامة الذكر^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ في هذه النفقة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه زكاة الأموال، قاله ابنُ عباس.

(١) "تفسير مقاتل" ٤/ ٣٤١، وأخرجه الفريابي عن عطاء كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٢٠٧/٦.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤١٠ بلفظ: الصلوات الخمس. وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٨٠، وذكره الماوردي في "النكت والعيون" ١٨/٦ بلفظ المصنف.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٧٧.

والثاني: أنَّها النفقة في الحقوق الواجبة بالمال؛ كالزكاة والحج، ونحو ذلك، وهذا المعنى مروى عن الضحاك.

والثالث: أنها^(١) صدقة التطوع، ذكره الماوردي^(٢).

فعلى هذا يكون الأمر ندباً، وعلى ما قبله يكون أمر وجوب.

قوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِكَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾ قال الزجاج: أي: من قبل أن يعاين ما يعلم منه أنه ميت^(٣).

قوله تعالى: ﴿لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي﴾ أي: هلاً أخرتني ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ يعني بذلك الاستزادة في أجله ليتصدق ويزكي، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَق﴾ [٧٨٧/أ] [قال أبو عبيدة]^(٤): "فأصدق" نصب؛ لأنَّ كلَّ جواب بالفاء للاستفهام منصوب. تقول: من عندك فأتيك. هلاً فعلت كذا فافعل كذا، ثم تبعها ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بغير واو.

وقال أبو عمرو: إنما هي، وأكون، فذهبت الواو من الخط. كما يكتب أبو جاد أبجد هجاء^(٥). وهكذا يقرؤها أبو عمرو "وأكون" بالواو، ونصب النون. والباقون يقرؤون "وأكن" بغير واو^(٦).

(١) في (ر): أنه.

(٢) "النكت والعيون" للماوردي ١٩/٦.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٧٧/٥.

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢٥٩/٢.

(٦) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٣، و"معاني القراءات" =

قَالَ الرَّجَّاجُ: مَنْ قَرَأَ: "وَأَكُونُ" فَهُوَ عَلَى لَفْظٍ: "فَأُصَدِّقُ"، وَمَنْ جَزَمَ "أَكُنْ" فَهُوَ عَلَى مَوْضِعِ "فَأُصَدِّقُ"؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: إِنْ أَخَّرْتَنِي أَصَدِّقُ وَأَكُنْ^(١).
وَرَوَى أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: "فَأُصَدِّقُ"؛ أَيُّ: أَزْكِي مَالِي ﴿وَأَكُنْ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾؛ أَيُّ: أَحْجُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ^(٢).

وَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ لِّمَا تَعْمَلُونَ﴾ وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ: "يَعْمَلُونَ" بِالْيَاءِ وَالْبَاقُونَ بِالتَّاءِ، وَالْمَعْنَى: بِمَا تَعْمَلُونَ مِنَ التَّكْذِيبِ بِالصَّدَقَةِ. قَالَ مِقَاتِلٌ: يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ^(٣).

وَرَوَى الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَا مِنْ أَحَدٍ مَيِّتٍ، وَقَدْ كَانَ لَهُ مَالٌ لَمْ يَزْكِهِ، وَأَطَاقَ الْحِجَّ فَلَمْ يَحْجِ، إِلَّا سَأَلَ اللَّهُ الرَّجْعَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّمَا يَسْأَلُ الرَّجْعَةَ الْكَفَّارُ. فَقَالَ: أَنَا أَتْلُو عَلَيْكُمْ بِهِ قِرْآنًا. ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ^(٤).

= لِلْأَزْهَرِيِّ ٣/ ٧١، وَ"الْحِجَّةُ لِلْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ" لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ ٦/ ٢٩٣، "الْحِجَّةُ لِلْقُرَّاءِ السَّبْعِ" لِابْنِ خَالَوَيْهِ ص ٣٤٦.

(١) "مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ" لِلزَّجَّاجِ ٥/ ١٧٨.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ كَمَا فِي "الدَّرُ الْمُنْثُورِ" لِلْسَّيُوطِيِّ ٨/ ١٨٠.

(٣) "تَفْسِيرُ مِقَاتِلِ بْنِ سَلِيمَانَ" ٤/ ٣٤٢.

(٤) أَخْرَجَهُ الْفَاكْهِيُّ فِي "أَخْبَارِ مَكَّةَ" ١/ ٣٧٢ (٧٨١)، وَالتَّطَبُّرِيُّ فِي "تَفْسِيرِهِ" ٢٣/ ٤١١.



سورة التغابن

وفيه قولان:

أحدهما: أنها مدنية، قاله الجمهور، منهم ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة.

والثاني: أنها مكية، قاله الضحاك.

وقال عطاء بن يسار: هي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ واللتان بعدها^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْبِغْ لَكَ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِرْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا
تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ
أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا
وَقَالُوا وَآسَفْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿[التغابن: ١ - ٦].

وقد سبق تفسيرُ فاتحتها إلى قوله تعالى: ﴿فَنُكِرْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾

وفيه قولان:

(١) ذكره البغوي في "معالم التنزيل" ١٠٢/٥.

أحدهما: أن الله خلق بني آدم مؤمنًا وكافرًا، رواه الوالبي عن ابن عباس^(١).

والأحاديث تعضد هذا القول؛ كقوله عليه الصلاة والسلام: "خُلِقَ فِرْعَوْنُ فِي بَطْنٍ أُمِّهِ كَافِرًا، وَخُلِقَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا فِي بَطْنٍ أُمِّهِ مُؤْمِنًا"^(٢)، وقوله: "فَيُؤَمِّرُ الْمَلِكُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكِتَابِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ"^(٣).

والثاني: أن تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ﴾، ثم وصفهم فقال تعالى: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾.

واختلف أرباب هذا القول فيه على أربعة أقوال:

أحدها: فمنكم كافر [يؤمن]^(٤)، ومنكم مؤمن يكفر، قاله أبو

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٣٨٢/١٢، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٤٣٧/٣، وذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٢٢٨/٤، والواحدي في "الوسيط" ٣٠٦/٤، والسمعي في "تفسيره" ٤٤٨/٥، والبغوي في "معالم التنزيل" ١٠٢/٥.

(٢) أخرجه الآجري في "الشریعة" ٧٨٨/٢ (٣٦٩)، والطبراني في "المعجم الكبير" ٢٢٤/١٠ (١٠٥٤٣)، وابن بطّة في "الإبانة الكبرى" ٣٢/٤ (١٤١٥، ١٤١٦)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" ٦٣٣/٣ (١٠١٩-١٠٢١) من حديث ابن مسعود. قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١٩٣/٧: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ. وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٨٣١) بمجموع طرقه.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦٥٩٤)، ومسلم في "صحيحه" (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود.

(٤) من (ر)، و(س).

الجوزاء عن ابن عباس^(١).

والثاني: فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة، ومنكم مؤمن في حياته كافر في العاقبة، قاله أبو سعيد الخدري^(٢).

والثالث: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب، قاله عطاء بن أبي رباح^(٣)، وعن ذلك شأن الأنواء. والرابع: فمنكم كافر بالله خلقه، ومؤمن بالله خلقه، حكاه الزجاج^(٤).

والكفر بالخالق مذهب الدهرية، وأهل الطوائع، وما بعد هذا قد سبق إلى قوله تعالى: ﴿وَصَوِّرْهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ قال الزجاج: أي: خلقكم أحسن الحيوان كله^(٥).

وقرأ الأعمش: "صَوِّرْكُمْ" بكسر الصاد^(٦)، ويُقال في جمع صورة: صُور، وصور، كما يُقال في جمع حية: حَيى، وحُى.

(١) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٢٧.

(٢) ذكره البغوي في "معالم التنزيل" ١٠٣/ ٥.

(٣) ذكره البغوي في "معالم التنزيل" ١٠٣/ ٥، وابن عطية في "المحرر الوجيز" ٥/ ٢١٧-٢١٨.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٧٩ وفيه: أي: مؤمن بأن الله خلقه وكافر بأن الله خلقه.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٨٠.

(٦) قراءة شاذة، قرأ بها أيضاً أبو رزين، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" ص ١٥٨، و"الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهذلي ص ٦٤٩، و"إنحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" للدمياطي ص ٥٤٥.

وذكر ابن السائب أن معنى ﴿فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾: أحكمها^(١).

وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُشْرُونَ﴾ روى المفضل

[٧٨٧/ب] عن عاصم "يسرون" و"يعلنون" بالياء فيهما^(٢).

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ هذا خطاب لأهل مكة خوفاً منهم ما نزل بالكفار قبلهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَذَاقُوا بَالِ أَمْرِهِمْ﴾؛ أي: جزاء أعمالهم، وهو ما أصابهم من العذاب في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة ﴿ذَلِكَ﴾ الذي أصابهم ﴿يَأْتِيهِمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فينكرون ذلك، ويقولون: ﴿أَبَشْرٌ﴾؛ أي: ناس مثلنا، ﴿يَهْدُونَا﴾ والبشر: اسم جنس، معناه: الجمع، وإن كان لفظه واحداً.

﴿فَكْفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾؛ أي: أعرضوا عن الإيمان ﴿وَأَسْتَعْنَى اللَّهُ﴾ عن إيمانهم وعبادتهم.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٧)
فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنَّورِ الَّتِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ^(٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ
ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^(٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ^(١٠) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(١١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(١) ذكره دون نسبة لابن السائب: الماتريدي في "تأويلات أهل السنة" ٣٢/١٠، وأبو الليث السمرقندي في "بحر العلوم" ٢٠٣/٣، والماوردي في "النكت والعيون" ٢١/٦.

(٢) قراءة سبعة متواترة، ينظر: "معاني القراءات" للأزهري ٧٦/٢.

الرَّسُولَ فَإِنَّ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٣﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ آزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُولًا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحَنَفٍ فَهُوَ الْمُقْلِحُونَ ﴿١٧﴾ إِن تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٩﴾

التغابن: [٧ - ١٨].

قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كان ابن عمر يقول: "زعموا" كناية الكذب^(١). وكان مجاهد يكره أن يقول الرجل: زعم فلان^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني: البعث ﴿وَالنُّور﴾ هو القرآن، وفيه بيان أمر البعث والحساب والجزاء.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجْمَعُكُمْ﴾ هو منصوب بقوله تعالى: ﴿لَتُبْعَنَّ ثُمَّ لَنَنْبُوَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾.

﴿يَوْمَ تَجْمَعُكُمْ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ وقرأ يعقوب: {يوم تجمعكم} بالنون، كيوم الجمع وهو يوم القيامة، وسمي بذلك؛ لأن الله تعالى يجمع فيه الجن والإنس، وأهل السموات، وأهل الأرض ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾: تفاعل من

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٤١٨/٢٣.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٢١٢/١٣ (٢٦٣٠٩)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ١٨٣/٨.

الغبين، وهو فوت^(١) الحظ.

والمراد في تسميته يوم القيامة بيوم التغابن فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه ليس من كافر إلا وله منزل وأهل في الجنة، فيرث ذلك المؤمن، فيغبن حينئذ الكافر، ذكر هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس^(٢).

والثاني: غبن أهل الجنة أهل النار، قاله مجاهد، والقرظي^(٣).

والثالث: أنه يوم غبن المظلوم الظالم^(٤)؛ لأن المظلوم كان في الدنيا مغبوناً، فصار في الآخرة غابناً، ذكره الماوردي^(٥).

والرابع: أنه يوم يظهر فيه غبن الكافر بتركه الإيمان^(٦)، وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان، ذكره الثعلبي^(٧).

قال الزجاج: وإنما ذكر ذلك مثلاً للبيع والشراء؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَا رَیَحَتْ یَجْحَرُتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَذْکُرُ عَلٰی تَجَزَّرَ﴾ [الصف: ١٠]^(٨).

(١) في الأصل: موت، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٨٣.

(٣) "تفسير مجاهد" ص ٦٦٢، وأخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٣٧٦/ ١٩ (٣٦٣٧٩)، والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٨٣.

(٤) في الأصل: للظالم، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) "النكت والعيون" للماوردي ٦/ ٢٣.

(٦) في (ر): للإيمان.

(٧) "الكشف والبيان" للثعلبي ٩/ ٣٢٨.

(٨) "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ١٨٠.

وَمَا بَعْدَ هَذَا ظَاهِرٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صَلِّحَا لِي كَفْرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾.

قرأ نافع، وابن عامر، والمفضل عن عاصم: "نكفر" و"ندخله" بالنون فيهما. والباقون: بالياء^(١).

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: بعلمه وقضائه^(٢).

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ فيه ستة أقوال:

أحدها: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٣).

وقال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من قبل الله تعالى، فيسلم، ويرضى^(٤).

والثاني: يهد قلبه للاسترجاع، وهو أن يقول: إنا لله، وإنا إليه راجعون، قاله مقاتل^(٥).

(١) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٨، "معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٧٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٩٥، و"العنوان في القراءات السبع" لأبي طاهر السرقسطي ص ١٩١.

(٢) ذكره الواحدي في "البيسط" ٢١/ ٤٨٦، و"الوسيط" ٤/ ٣٠٧.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٢١، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٨٤.

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٢١، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٢٩، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٤/ ١١٠، وهو في "صحيح البخاري" كتاب تفسير القرآن، سورة التغابن معلقا.

(٥) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣٥٣، وأخرجه عن مقاتل بن حيان: أبو إسحاق =

والثالث: أنه إذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر، وإذا ظلم غفر،
قاله ابن السائب^(١)، وابن قتيبة^(٢).

والرابع: يهد قلبه؛ أي: يجعله مهتدياً، قاله الزجاج^(٣).

والخامس: يهد وليه بالصبر والرضا، قاله أبو بكر الوراق^(٤).

والسادس: يهد قلبه لاتباع السنة إذا صح إيمانه، قاله أبو عثمان الحيري^(٥).

وقرأ أبو بكر الصديق، وعاصم الجحدري، وأبو نهيك: "يَهْدَ" بياء
مفتوحة، ونصب الدال، "قَلْبُهُ" بالرفع^(٦).

قال الزجاج: هذا من هداً يهدأ؛ إذا سكن. فالمعنى: إذا سلم لأمر
[٧٨٨/أ] الله سَكَنَ قَلْبُهُ^(٧).

وقرأ عثمان بن عفان، والضحاك، وطلحة بن مصرف، والأزرق
عن حمزة: "يَهْدُ" بالنون^(٨).

= الجهمي في "أحكام القرآن" (٣٨٨).

(١) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٢٣/٦.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٦٩.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٨١/٥.

(٤) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣٢٩/٩.

(٥) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣٢٩/٩.

(٦) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٨، وفيه قراءة أبي
بكر: يَهْدُ قَلْبُهُ. والقراءة المذكورة نسبها هارون.

(٧) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٨١/٥.

(٨) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٨، و"المحرر الوجيز" =

وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن: "يُهِدَ" بضم الياء، وفتح الدال "قَلْبُهُ" بالرفع^(١). وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوَّكُمْ﴾.

سَبَبُ نَزُولِهَا: أَنَّ الرجلَ كَانَ يُسْلِم، فإذا أراد الهجرةَ منعه أهله، وولده، وقالوا: نَنشُدُكَ اللهَ أَنْ تذهبَ وَتَدَعَ أَهلكَ وعشيرتك وتصيرَ إلى المدينة بلا أهلٍ ولا مالٍ. فمنهم من يَرِقُّ لهم، ويقيم فلا يهاجر، فنزلت هذه الآية.

فلما هاجر أولئك، ورأوا الناس قد فَقَهُوا^(٢) في الدين هُمُوا أَنْ يعاقبوا أهليهم^(٣) الذين منعوهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا﴾... إلى آخر الآية، هذا قول ابن عباس^(٤).

= لابن عطية ٣١٩/٥ وزاد نسبتها لسعيد بن جبير.

(١) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٨ ونسبها لأبي جعفر بدل علي رضي الله عنه، و"المحرر الوجيز" لابن عطية ٣١٩/٥ ونسبها للضحاك.

(٢) في الأصل: مقتوا، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) في (ر): أهلهم.

(٤) أخرجه الترمذي في "سننه" (٣٣١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. والطبري في "تفسيره" ٤٢٣/٢٣، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" ١٤٠/٦، والطبراني في "المعجم الكبير" ٢٧٥/١١ (١١٧٢٠)، والحاكم في "مستدرکه" ٥٧٧/٢ وصححه، وزاد السيوطي في "الدر المنثور" ١٨٤/٨ عزوه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

وقال الرَّجَّاجُ: لما أرادوا الهجرة قال لهم أزواجهم، وأولادهم: قد صبرنا لكم على مفارقة الدين فلا نصبر^(١) لكم على مفارقتكم، ومفارقة الأموال، والمساكن، فأعلم الله عز وجل أن من كان بهذه الصورة، فهو عدو، وإن كان ولدًا، أو كانت زوجة^(٢).

وقال مجاهد: كان حب الرجل ولده وزوجته يحمله على قطيعة رحمه ومعصية ربه^(٣).

وقال قتادة: كان من أزواجهم، وأولادهم من ينهاهم عن الإسلام، ويثبطهم عنه^(٤)، فخرج في قوله تعالى: ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: بمنعه من الهجرة، وهذا على قول ابن عباس.

والثاني: بكونهم سببًا للمعاصي، وهذا على قول مجاهد.

والثالث: بنهيهم عن الإسلام، وهذا على قول قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ قال الفراء: لا تطيعوهم في التخلف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: بلاء وشغل عن الآخرة، فالمال والأولاد يوقعان في العظائم إلا لمن^(٥) عصمه الله.

(١) في الأصل: يصبر، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٨١.

(٣) "تفسير مجاهد" ص ٦٦٢، وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٢٤.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣١٤ (٣٢٢٨)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٢٤.

(٥) في (ر): من.

وقال ابن قتيبة: أي: إغرام، يقال: فتن فلان بالمرأة، وشغف بها؛ أي: أغرم بها^(١).

وقال أهل المعاني: إنما دخل "من" في قوله تعالى: "إن من أزواجكم؛ لأنه ليس كل الأزواج، والأولاد أعداء، ولم يذكر "من" في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾؛ لأنها لا تخلو من الفتنة، واشتغال القلب بها.

وقد روى بريدة عن رسول الله ﷺ أنه كان يخطب، فجاء الحسن، والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان، ويعثران، فنزل من المنبر، وحملهما، فوضعهما بين يديه ثم قال: "صَدَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيِّينِ يَمْشِيَانِ، وَيَعْثُرَانِ، فَلَمْ أَضِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي، وَرَفَعْتُهُمَا"^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: ثواب جزيل، وهو الجنة. والمعنى: لا تعصوه بسبب الأولاد، ولا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر العظيم.

﴿فَأَنفِقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾؛ أي: ما أطقتم ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تؤمرون به ﴿وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾.

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٦٩.

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" ٣٨/٩٩ (٢٢٩٩٥)، وأبو داود في "سننه" (١١٠٩)، والترمذي في "سننه" (٣٧٧٤) وقال: حسن غريب. والنسائي في "سننه" ٣/١٠٨، ١٩٢، وابن ماجه في "سننه" (٣٦٠٠). وصححه ابن خزيمة في "صحيحه" ٢/٣٥٥ (١٤٥٦)، ٣/١٥١ (١٨٠١)، وابن حبان في "صحيحه" ١٣/٤٠٢ - ٤٠٣ (٦٠٣٨، ٦٠٣٩)، والألباني في "صحيح سنن أبي داود" (١٠١٦).

وفي هذه النفقة ثلاثة أقوال:

أحدها: الصدقة، قاله ابن عباس^(١).

والثاني: نفقة المؤمن على نفسه، قاله الحسن^(٢).

والثالث: النفقة في الجهاد، قاله الضحاك^(٣).

﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حتى يعطي حقَّ الله في ماله، وقد تقدَّم بيانُ هذا في سورة الحشر، وما بعده قد سبق بيانه إلى آخر السورة.

(١) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٢٦/٦.

(٢) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٢٦/٦.

(٣) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٢٦/٦.

سورة الطلاق

وُتُسَمَّى سورة النِّسَاءِ الْقَصْرَى، وَهِيَ مَدْنِيَّةٌ كُلُّهَا بِإِجْمَاعِهِمْ. [٧٨٨/ب]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَبَلَاكٌ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: هَذَا خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَالْمُؤْمِنُونَ دَاخِلُونَ مَعَهُ فِيهِ. وَمَعْنَاهُ: إِذَا أَرَدْتُمْ طَلَاقَ النِّسَاءِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦]^(١).

وَفِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا نَزَلَتْ حِينَ طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَفْصَةَ، وَقِيلَ لَهُ: رَاجِعُهَا، فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ [قَوَّامَةٌ]^(٢)، وَهِيَ مِنْ إِحْدَى زَوْجَاتِكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ^(٣).

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٨٣/٥.

(٢) من (ر)، و(س).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" ١٤٢/٨، و"الدر المنثور" للسيوطي ١٨٩/٨.

والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن عمر، وذلك أنه طلق امرأته حائضاً، فأمره النبي ﷺ أن يراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، قاله السدي (١).

قوله تعالى: ﴿لِعَدَّتِهِنَّ﴾ أي: لزمان عدتهن، وهو الطهر، وهذا للمدخول بها؛ لأن غير المدخول بها لا عدة عليها.

والطلاق: على ضربين: سني، وبدعي.

فالسني: أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، فذلك هو الطلاق للعدة؛ لأنها تعدد بذلك الطهر من عدة، وتقع في العدة عقيب الطلاق، فلا يطول عليها زمان العدة.

والطلاق البدعي: أن يقع في حال الحيض، أو في طهر قد جامعها فيه، فهو واقع، وصاحبه آثم، فإن جمع الطلاق الثلاث في طهر واحد، فالمنصور من مذهبنا أنه بدعة.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أي: زمان العدة.

وفي إحصائها فوائد منها: مراعاة زمان الرجعة، وأوان النفقة، والسكنى، وتوزيع الطلاق على الإقرار إذا أراد أن يطلق ثلاثاً، وليعلم أنها قد بانت، فيتزوج بأختها، وأربع سواها.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أي: فلا تعصوه فيما أمركم به ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ فيه دليل على وجوب السكنى، ونسب البيوت إليهن، لسكناهن قبل الطلاق فيهن، ولا يجوز لها أن تخرج في

(١) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣٣٢/٩، والواحي في "البيسط" ٤٩٣/٢١.

عدتها إلا للضرورة ظاهرة، فإن خرجت أثمت ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ﴾.
وفيها أربعة أقوال:

أحدها: أن المعنى: إلا أن يخرجن قبل انقضاء المدة، فخرجهن هو الفاحشة المينة، وهذا قول عبد الله بن عمر، والسُّدي، وابن السائب^(١).
والثاني: أن الفاحشة: الزَّنا، رواه مجاهد عن ابن عباس^(٢)، وبه قال مجاهد^(٣)، والشعبي^(٤)، وعكرمة^(٥)، والضحاك^(٦).

فعلى هذا يكون المعنى: إلا أن يزنین فيخرجن لإقامة الحد عليهن.

والثالث: الفاحشة: أن تَبْذُوَ على أهلها^(٧)، فيجل^(٨) لهم إخراجها،

(١) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" ٣٢٢/٦ (١١٠١٩)، وابن وهب في التفسير من "جامعه" ١٤٢/١ (٣٣٢)، والطبري في "تفسيره" ٤٣٧/٢٣، ٤٤٠ من طريقه، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٤٣١/٧ عن ابن عمر. وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٤٣٧/٢٣، ٤٤٠ عن السدي، وذكره الواحدي في "البيسط" ٥٠٢/٢١، و"الوسيط" ٣١٢/٤ عن ابن السائب الكلبي.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" ٩٠٤/٣ (٥٠٣٨)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ١٩٣/٨.

(٣) "تفسير مجاهد" ص ٦٦٣، وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ١٩٣/٨، والطبري في "تفسيره" ٤٣٨/٢٣.

(٤) أخرجه عبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ١٩٣/٨.

(٥) أخرجه ابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ١٩٤/٨.

(٦) ينظر "تفسير ابن أبي حاتم" ٩٠٤/٣، و"تفسير ابن كثير" ٢/٢٤١.

(٧) في (س): أهله.

(٨) في الأصل: فيجعل، والمثبت من سائر النسخ.

رواه محمد بن إبراهيم عن ابن عباس^(١).

والرابع: أنها إصابة حدٍّ، فتخرج لإقامة الحدِّ عليها، قاله سعيد بن المسيب^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يعني: ما ذكر من الأحكام ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ التي بيَّنها. وأمر بها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾؛ أي: أثم فيما بينه وبين الله تعالى.

﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾؛ أي: يوقع في قلب الزوج المحبة لرجعتها بعد الطَّلَاقِ و الطَّلَاقِتين.

وهذا يدلُّ على أنَّ المستحب في الطلاق تفريقه، وأن لا يجمع الثلاث.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ أي: قاربن انقضاء العدة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ وهذا مبين في البقرة [آية: ٢٣١].

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ قال المفسرون: أشهدوا على الطلاق، أو المراجعة.

(١) أخرجه الشافعي في "مسنده بترتيب السندي" ١٨٥ / ٢ (٦٥٥)، وإسحاق بن راهويه في "مسنده" ٢٢٩ / ٥ (٢٣٧٥)، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٧ / ٧٠٨، وفي "معرفة السنن والآثار" ١١ / ٢٨٨، ٢١٠ / ١١ (١٥٣٠٠، ١٥٥٣٥).

(٢) أخرجه عبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨ / ١٩٣.

واختلف العلماء: هل الإشهاد على المراجعة واجب، أم مستحب؟
وفيه عن أحمد روايتان، وعن الشافعي قولان، ثم قال للشهداء: ﴿وَأَقِيمُوا﴾ [٧٨٩/أ]
الشَّهَادَةَ لِلَّهِ؛ أي: اشهدوا بالحق، وأدّوها على الصّحة، طلباً لمرضاة الله،
وقياماً بوصيته، وما بعده قد سبق بيّانه إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ
لَهُ مَخْرَجًا﴾ فذكر أكثر المفسرين أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أسر
العدو ابنه، فذكر ذلك للنبي ﷺ، وشكا إليه الفاقة، فقال: "اتَّقِ اللَّهَ،
وَاضْبِرْ، وَأَكْثِرْ مِنْ قَوْلٍ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ". ففعل الرجل ذلك،
فغفل العدو عن ابنه، فساق غنمهم، وجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف
شاة، فنزلت هذه الآية^(١).

وفي معناها للمفسرين خمسة أقوال:

أحدها: ومن يتق الله يُنَجِّهِ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ في الدنيا والآخرة، قاله
ابن عباس^(٢).

والثاني: بأن مخرجه: علمه بأن ما أصابه من عطاء أو منع، من قبل
الله، وهو معنى قول ابن مسعود^(٣).

(١) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣٣٦/٩، والخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد"
١١٨/١٠ (٢٩٧٧) من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/١٩٥ - ١٩٦.

(٣) أخرجه ابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/١٩٥.

والثالث: ومن يتق الله، فَيُطْلَقُ للسنة، ويُراجع للسنة، يجعل له مخرجًا، قاله السُّدِّي^(١).

والرابع: ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة، يجعل له مخرجًا من النار إلى الجنة، قاله ابنُ السَّائِبِ^(٢).

والخامس: يجعل له مخرجًا من الحرام إلى الحلال، قاله الزَّجَّاج^(٣).
والصَّحيح: أنَّ هذا عامٌّ، فإنَّ الله تعالى يجعل للتقي مخرجًا من كلِّ ما يضيق على مَنْ لا يتقي في كلِّ شدة^(٤).

قال^(٥) الربيع بن خثيم: يجعل له مخرجًا من كل ما ضاق^(٦) على النَّاسِ^(٧).
﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: من حيث لا يأمل، ولا يرجو.
قال الزَّجَّاج: ويجوز أن يكون: إذا اتقى الله في طلاقه، وجرى في ذلك على السُّنة، رزقه الله أهلًا بدل أهله^(٨).

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٤٤٦/٢٣.

(٢) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٣١/٦، والواحدي في "البسيط" ٥٠٦/٢١.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٨٤/٥.

(٤) في (ر): من كل ما يضيق عليه. ومن لا يتقي، يقع في كل شدة.

(٥) في الأصل: قاله، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) في (ر): يضيق.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣٢٣/٣، وابن أبي شيبة في "مصنفه" ٤٨١/١٩.

(٨) (٣٢٤٩)، والطبري في "تفسيره" ٤٤٦/٢٣.

(٨) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٨٤/٥.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾؛ أي: من وثق به فيما نأبه، كفاه الله ما أهمه.

﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ وروى حفص، والمفضل عن عاصم: "بالغ أمره" مضاف^(١). والمعنى: يقضي ما يريد.

﴿فَدَجَّلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾؛ أي: أجلاً ومنتهى ينتهي إليه قدر [الله]^(٢) ذلك كله، فلا يقدم ولا يؤخر.

قال مقاتل: قد جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء قدراً، فقد رمتى يكون هذا الغني فقيراً، أو هذا الفقير غنياً^(٣).

﴿وَالَّتِي يَبْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿١﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٤ - ٥].

قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي يَبْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنها لما نزلت عدة المطلقة، والمتوفى عنها زوجها في البقرة [آية: ٢٢٧ - ٢٣٢] قال أبي بن كعب: يا رسول الله! إن نساء من أهل المدينة يقلن: قد بقي من النساء ما لم يذكر فيه شيء. قال: "وما هو؟" قال:

(١) قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٣٩، و"معاني القراءات" للأزهري ٧٥/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٠٠/٦.

(٢) من سائر النسخ.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٣٦٤/٤.

الصغار والكبار، وذوات الحمل، فنزلت هذه الآية، قاله عمرو بن سالم^(١).
والثاني: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْصَنَ بَأْفُسِهِنَّ﴾...
الآية [البقرة: ٢٢٨]، قال خلاد بن النعمان الأنصاري: يا رسول الله! فما
عدة التي لا تحيض، وعدة التي لم تحض، وعدة الحبل؟ فنزلت هذه الآية
قاله مقاتل^(٢).

ومعنى الآية ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ أي: شككتم فلم تدروا ما عدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ
ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ كذلك.

فَصْلٌ

قال القاضي أبو يعلى: والمراد بالارتباب هاهنا: ارتياب المخاطبين في
مقدار عدة الآيسة والصغيرة كم هو؟ وليس المراد به ارتياب المعتدات
في اليأس من المحيض، أو اليأس من الحمل للسبب الذي ذكر في نزول
الآية، ولأنه لو أريد ذلك لَتَوَجَّهَ^(٣) الخطاب إليهن فقليل: إن ارتبتن، أو
[٧٨٩/ب] ارتبتن؛ لأن الحيض إنما يعلم من جهتهن.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٣١٢/٩ (١٧٣٨٧)، والطبري في "تفسيره" ٤٥١/٢٣،
وابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" ١٤٩/٨، والحاكم في "مستدرکه" ٥٧٩/٢،
والبيهقي في "السنن الكبرى" ٦٩٠/٧، والواحدي في "أسباب النزول" ص ٤٣٧.

(٢) لم أقف عليه في "تفسير مقاتل بن سليمان" ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣٣٩/٩،
والواحدي في "أسباب النزول" ٤٣٦، والبغوي في "معالم التنزيل" ١١٠/٥.

(٣) في (ر): لو أريد بذلك النساء لتوجه.

وقد اختلف في المرأة إذا تأخر حيضها لا لعارض كم تجلس؟ فمذهب أصحابنا أنها تجلس غالب مدة الحمل، وهو تسعة أشهر، ثم ثلاثة.

والعدة: هي الثلاثة التي بعد التسعة، فإن حاضت قبل السنة ولو^(١) بيوم، استأنفت ثلاث حيض، وإن تمت السنة من غير حيض، حلت، وبه قال مالك.

وقال أبو حنيفة، والشافعي في الجديد: تمكث أبداً حتى يعلم براءة رحمها قطعاً، وهي أن تصير في حد لا يحيض مثلها، فتعتد بعد ذلك ثلاثة أشهر.

قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ يعني: عدتهن ثلاثة أشهر أيضاً؛ لأنه كلام لا يستقل بنفسه، فلا بد له من ضمير، وضميره ما تقدم ذكره مظهرًا، وهو العدة بالشهور. وهذا على قول أصحابنا محمول على من لم يأت عليها زمان الحيض: أنها تعتد ثلاثة أشهر. فأما من أتى عليها زمان الحيض، ولم تحض، فإنها تعتد سنة.

قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ عامٌّ في المطلقات، والمتوفى عنهن أزواجهن، وهذا قول عمر، وابن عمر، وابن مسعود^(٢)، وأبي مسعود البدر، وأبي هريرة، وفقهاء الأمصار.

(١) ليست في (ر).

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/٤٥٤، وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/٢٠٣.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: تعتد آخر الأجلين^(١). ويدلُّ على قولنا عموم الآية، وقول ابن مسعود: من شاء لاعنته، ما نزلت: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَخْمَالُ﴾ إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها^(٢). وقول أم سلمة: إن سُبَيْعَةَ وضعت بعد وفاة زوجها بأيام، فأمرها رسول الله ﷺ أن تتزوج^(٣). قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾؛ أي: فيما أمر به ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة، وهذا قول الأكثرين.

وقال الضحاك: ومن يتق الله في طلاق السنة، يجعل الله له من أمره يسراً في الرجعة^(٤).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ يعني: ما ذكر من الأحكام ﴿أَمَرَ اللَّهُ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا﴾ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ ﴿بَطَاعَتِهِ﴾ يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ. أي: يمح عنه خطاياهم ﴿وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا﴾ في الآخرة.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤٩٠٩)، ومسلم في "صحيحه" (١٤٨٥).

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٤٧١/٦ (١١٧١٤)، وابن وهب في التفسير من "جامعه" ١٢٢/١ (٢٨٢)، وأبو داود في "سننه" (٢٣٠٧)، وابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" ١٥١/٨، والنسائي في "السنن الكبرى" ٣٠٤/٦ (٥٦٨٦)، و"الصغرى" ١٩٧/٦، والطبري في "تفسيره" ٤٥٣/٢٣، والطبراني في "المعجم الكبير" ٣٢٩/٩ (٩٦٤١، ٩٦٤١).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١٤٨٥) بمعناه، وأخرجه إسحاق بن راهويه في "مسنده" ١٥١/٤ (١٩٢٨)، والدارمي في "سننه" ١٤٦٦/٣ (٢٣٢٦)، والنسائي في "المجتبى" ١٩٣/٦، والطبراني في "المعجم الكبير" ٢٧٠/٢٣ (٥٧٤) بلفظه.

(٤) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٣١/٦، ٣٣، والبغوي في "معالم التنزيل" ١٠٩/٥.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارِزُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ
 حَمِلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا رِزْقَهُمْ بِمَعْرُوفٍ
 وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فُسْرَتُمْ فَلْيَضَحَّضِعْ لَهُ أُخْرَى ٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُغْنِقْ
 مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٦ - ٧].

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾؛ أي: حيث سكنتم، و"من" صلة قوله:
 ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ قرأ الجمهور بضم الواو.

وقرأ أبو هريرة، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، وقتادة، وروح عن
 يعقوب بكسر الواو^(١).

وقرأ ابن يعمر، وابن أبي عبله، وأبو حيوة: بفتح الواو^(٢).

قال ابن قتيبة: أي: بقدر وسعكم. والوجد: المقدرة، والغنى، يقال:
 افتقر فلان بعد وجد^(٣).

قال الفراء: يقول: على ما يجد، فإن كان مُوسَّعًا عليه، وسَّعَ عليها
 في المسكن والنفقة، وإن كان مُقْتَرًّا عليه، فعلى قدر ذلك^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُضَارِزُوهُنَّ﴾ بالتضييق عليهن في المسكن، والنفقة،
 وأنتم تجدون سعة.

(١) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٨.

(٢) قراءة شاذة أيضا، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٨.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٧١.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للفراء ٣/ ١٦٣.

قال القاضي أبو يعلى: المراد بهذا: المطلقة الرجعية دون المبتوتة،
بدليل قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]،
وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٢]
فدلّ على ذلك أنه أراد الرجعية.

وقد اختلف الفقهاء في المبتوتة: هل لها سكنى، ونفقة في مدة العدة، أم لا؟ فالمشهور عند أصحابنا: أنه لا سكنى لها ولا نفقة، وهو قول ابن أبي ليلى.

[٧٩٠/أ] وقال أبو حنيفة: لها السكنى، والنفقة. وقال مالك والشافعي: لها السكنى، دون النفقة. وقد رواه الكوسج عن أحمد.

ويدلّ على الأول حديث فاطمة بنت قيس أن النبي ﷺ قال لها:
"إِنَّمَا النَّفَقَةُ لِلْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا مَا كَانَتْ لَهُ عَلَيْهَا الرَّجْعَةُ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ
لَهُ عَلَيْهَا، فَلَا نَفَقَةَ وَلَا سُكْنَى" ^(١). ومن حيث المعنى: إنَّ النفقة إنما تجب
لأجل التمكين من الاستمتاع، بدليل أن الناشز لا نفقة لها.

واختلفوا في الحامل، والمتوفى عنها زوجها: فقال ابن مسعود، وابن
عمر، وأبو العالية، والشعبي، وشريح، وإبراهيم: نفقتها من جميع المال ^(٢)،

(١) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" ٢٣/٧ (١٢٠٢٦)، والحميدي في "مسنه" ١٥٥/١ (٣٦٧)، وأحمد في "مسنده" ٥٣/٤٥ (٢٧١٠٠)، والنسائي في "المجتبى" ١٤٤/٦، والطبراني في "المعجم الكبير" ٣٧٨/٢٤ (٩٣٥)، و"المعجم الأوسط" ١٤٤/٧ (٧١٠٩). وصححه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (١٧١١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٤٣/١٠ - ١٤٤ (١٩٣٢١) عن ابن مسعود، و(١٩٣٢٢) عن ابن عمر، (١٩٣٢٥، ١٩٣٢٦) عن شريح، و(١٩٣٢٤، ١٩٣٢٧) عن إبراهيم، و(١٩٣٢٣) عن الشعبي.

وبه قال مالك، وابن أبي ليلى، والثوري.

وقال ابن عباس، وابن الزبير، والحسن، وسعيد بن المسيب، وعطاء: نفقتها في مال نفسها^(١)، وبه قال أبو حنيفة، وأصحابه. وعن أحمد كالقولين.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني: أجره الرضاع. وفي هذا دلالة على أن الأم إذا رضيت أن ترضعه بأجرة مثله، لم يكن للأب أن يسترضع غيرها.

﴿وَأْتِمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: لا تشتط المرأة على الزوج فيما يطلبه من أجره الرضاع، ولا يقصر الزوج عن المقدار المستحق وإن تعاسرتم في الأجرة ولم يتراض الوالدان على شيء، ﴿فَسَتَرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾: لفظه لفظ الخبر، ومعناه: الأمر؛ أي: فليسترضع الوالد غير الدة الصبي.

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾: أمر أهل التوسعة أن يوسعوا على نسائهم المرضعات أولادهم على قدر سعيتهم.

وقرأ ابن السميع: "لِيُنْفِقَ" بفتح القاف^(٢). ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ أي: ضيق عليه من المطلقين.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٠/١٤٢ - ١٤٣ (١٩٣١٢، ١٩٣١٣، ١٩٣١٤، ١٩٣١٦، ١٩٣١٧).

(٢) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٩.

وقرأ أبو بن كعب، وحيد: "قَدَّرَ" بضم القاف، وتشديد الدال^(١).

وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبله: "قَدَّرَ" بفتح القاف وتشديد الدال
"رزقه" بنصب القاف^(٢).

﴿فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ على قدر ما أعطاه ﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا﴾؛
أي: على قدر ما أعطاه من المال ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾؛ أي: بعد ضيق
وشدة، غنى وسعة، وكان الغالب عليهم حينئذ الفقر، فأعلمهم أنه سيفتح
عليهم بعد ذلك.

﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرِيْبٍ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذِّبْنَهَا عَذَابًا نُكْرًا
(٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خَسِرًا (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّقُوا
الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّخُرَاجِ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿[الطلاق: ٨ - ١١].

قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ﴾؛ أي: وكم ﴿مِّن قَرِيْبٍ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾؛
أي: عن أمر رسله. والمعنى: عتا أهلها.

قال ابن زيد: عنت؛ أي: كفرت، وتركت أمر ربها، فلم تقبله.

وفي باقي الآية قولان:

أحدهما: أن فيها تقديمًا، وتأخيرًا. والمعنى: عذبتها عذابًا نكرًا في

(١) قراءة شاذة أيضًا، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٩.

(٢) قراءة شاذة أيضًا، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٩.

الدنيا بالجوع، والسيف، والبلايا، وحاسبناها حساباً شديداً في الآخرة، قاله ابن عباس^(١)، والفراء في آخرين^(٢).

والثاني: أنها على نظمها، والمعنى: حاسبناها بعملها في الدنيا، فجازيناها بالعذاب على مقدار عملها؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَعَذَّبْنَاهَا﴾ فجعل المجازاة بالعذاب محاسبة.

والحساب الشديد: الذي لا عفو فيه، والنكر: المنكر.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾؛ أي: جزاء ذنبها ﴿وَكَانَ عَقِبُهُ أَمْرُهَا خُسْرًا﴾ في الدنيا، والآخرة. وقال ابن قتيبة: الخسر: الهلكة^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾؛ أي: قرأنا ﴿رَسُولًا﴾؛ أي: وبعثه رسولاً، قاله مقاتل^(٤). وإلى نحوه ذهب السدي.

وقال ابن السائب: الرسول هاهنا: جبريل^(٥). فعلى هذا: يكون [٧٩٠/ب] الذكر والرسول جميعاً منزليين.

وقال ثعلب: الرسول: هو الذكر. وقال غيره: معنى الذكر هاهنا: الشرف. وما بعده قد تقدم... إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ يعني: الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٤٦٦/٢٣ بنحوه.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ١٦٤/٣.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٧١.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٣٦٧/٤.

(٥) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٣٦/٦.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾؛ أي: وخلق من الأرض بعددهن. وجاء في الحديث: أن كثافة كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بينها وبين الأخرى كذلك، وكثافة كل أرض خمسمائة عام، وما بينها وبين الأرض الأخرى كذلك^(١).

وقد روى أبو الضحى عن ابن عباس قال: في كل أرض آدم مثل آدمكم، ونوح مثل نوحكم، وإبراهيم كإبراهيم^(٢)، وعيسى كعيسى.

فهذا الحديث تارة يرفع إلى ابن عباس^(٣)، وتارة يوقف على أبي الضحى، وليس له معنى إلا ما حكى أبو سليمان الدمشقي، قال: سمعت أن معناه: إن في كل أرض خلقاً من خلق الله لهم سادة، يقوم كبيرهم ومتقدمهم في الخلق مقام آدم فينا، وتقوم ذريته في السن والقدم كمقام

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" ٢٩٢/٣ - ٢٩٣ (١٧٧٠)، وأبو داود (٤٧٢٣)، وأبو يعلى ٧٥/١٢.

(٢) (٦٧١٣)، والحاكم في "مستدرکه" ٣٤٤/٢ من حديث العباس بن عبد المطلب مرفوعاً.

ليس فيه: وكثافة كل أرض خمسمائة عام، وما بينها وبين الأرض الأخرى كذلك.

وأخرجه الطبراني في "مسند الشاميين" ٣٥/٤ (٢٦٦٥) من حديث أبي هريرة مرفوعاً تاماً.

وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٤٦٩/٢٣ - ٤٧٠ عن ابن مسعود موقوفاً.

(٢) في (ر): مثل إبراهيمكم.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٤٦٩/٢٣، والحاكم في "مستدرکه" ٤٩٣/٢ وقال: صحيح.

الإنسان ولم يجرّجاً. والبيهقي في "الأسماء والصفات" ٥٤٩/١، وابن أبي حاتم كما في

"الدر المنثور" ٢١١/٨. قال البيهقي: إسناده صحيح ولكنه شاذ لا أعلم لأبي الضحى

عليه متابعا.

نوح. وعلى هذا المثال سائرهم.

وقال كعب: ساكن الأرض الثانية الريح^(١) العقيم، وفي الثالثة: حجارة جهنم، والرابعة: كبريت جهنم، والخامسة: حيات جهنم، والسادسة: عقارب جهنم، والسابعة: فيها إبليس^(٢).

قوله تعالى: ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ في الأمر قولان:

أحدهما: أنه^(٣) قضاء الله عز وجل وقدره، قاله الأكثرون.

قال قتادة: في كل أرض من أرضه وسما من سمائه خلق من خلقه، وأمر من أمره، وقضاء من قضاؤه^(٤).

والثاني: أنه الوحي، قاله مقاتل^(٥).

قوله تعالى: ﴿لَتَعْلَمُوا﴾ أعلمكم هذا^(٦) لتعلموا قدرته على كل شيء وعلمه بكل شيء.

(١) في (ر): البحر.

(٢) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في "مسنده" كما في "بغية الباحث" للهيتمي ٨٤٥ / ٢ (٨٩٦).

(٣) ليست في (ر).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣ / ٣١٨ (٣٢٤٠)، والطبري في "تفسيره" ٣ / ٤٧٠،

وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨ / ٢١٠.

(٥) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤ / ٣٦٧.

(٦) في (ر): بهذا.



سورة التحريم

وهي مدنيّة كلها بإجماعهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَ لَكَ مَرْضَاتُ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسَرَ الْتَيْئُ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنَّ نُوبَنَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلْأِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَتٍ يَنْصِبْنَ عِندَ رِجْلَيْكِ تَنْتَبِهْنَ وَأُنَبِّئُكُنَّ﴾
[التحريم: ١ - ٥].

قوله تعالى: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أَنَّ حفصة ذهبت إلى أبيها تتحدث عنده، فأرسل النبي ﷺ إلى جاريته، فظلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة، فوجدتها في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرة شديدة.

فلما دخلت حفصة قالت: قد رأيت مَنْ كان عندك. والله لقد سؤتني، فقال النبي ﷺ "وَاللَّهِ لَا رُضِيَّتْكَ، وَإِنِّي مُسِرٌّ إِلَيْكَ سِرًّا فَاحْفَظِيهِ"، قالت: وما هو؟ قال: "إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ سُرِّيَّتِي هَذِهِ عَلَيَّ حَرَامٌ رِضَا لَكَ"،

وكانت عائشة وحفصة متظاهرتين على نساء النبي ﷺ، فانطلقت حفصة إلى عائشة، فقالت لها: أبشري؛ إِنَّ النبي ﷺ قد حرم عليه فتاته، فنزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس^(١).

وقد رُوي عن عمر نحو هذا المعنى، وقال فيه: فقالت حفصة: كيف تحرمها عليك، وهي جاريتك؟ فحلف لها أن لا يقربها، فقال لها: "لَا تُذَكِّرِيهِ لِأَحَدٍ"، فذكرته لعائشة، فآلى أن لا يدخل على نساءه شهراً، فنزلت هذه الآية^(٢).

وقال الضحاك: قال [لها]^(٣): "لَا تُذَكِّرِي لِعَائِشَةَ مَا رَأَيْتِ" فذكرته، فغضبت عائشة، ولم تنزل بنبي الله حتى حلف أن لا يقربها، فنزلت هذه الآية^(٤)، وإلى هذا المعنى: ذهب سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والشعبي، ومسروق، ومقاتل، والأكثررون.

[٧٩١/أ]

والثاني: ما روى عروة عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل، وكان إذا انصرف من صلاة العصر دخل على نساءه، فدخل على حفصة بنت عمر، واحتبس عندها، فسألت عن ذلك، فقيل: أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل، فسقت منه^(٥) رسول الله ﷺ،

(١) أخرجه ابن سعد وابن مردويه كما في "الدر المنثور" ٢١٤-٢١٥.

(٢) أخرجه الدارقطني في "سننه" ٥/٧٥، والواحدي في "أسباب النزول" ص ٤٣٨.

(٣) من (ر).

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/٤٧٧.

(٥) ليست في (ر).

فقلت: أما والله لنحتالن له، فقلت لسودة: إنه سيدنو منك إذا دخل عليك، فقولي له: يا رسول الله! أكلت مغاير. فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل. فقولي: جَرَسْتُ نَحْلَهُ الْعُرْفُط. وسأقول ذلك، وقولي أنت يا صفية ذلك.

فلما دنا من سودة قالت له ذلك ولما دخل عليّ قلت له مثل ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت [له]^(١): يا رسول الله! أسقيك منه؟ قال: "لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ". قالت: تقول سودة: سبحان الله! والله لقد حرّمناه. قلت لها: اسكتي. أخرج به البخاري ومسلم في "الصحيحين"^(٢).

وفي رواية ابن أبي مليكة عن ابن عباس: أن التي شرب عندها العسل سودة، فقالت له عائشة: إني لأجد منك ريحًا. ثم دخل على حفصة، فقالت: إني أجد منك ريحًا. فقال: إني أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه. فنزلت هذه الآية^(٣).

وفي حديث عبيد بن عمير عن عائشة أن التي شرب عندها العسل زينب بنت جحش، فتواطأت حفصة وعائشة أن تقولاً له ذلك القول^(٤).

(١) من (ر).

(٢) "صحيح البخاري" (٥٢٦٨)، "صحيح مسلم" (١٤٧٤).

(٣) أخرجه الطبراني في "الكبير" ١١٧/١١ (١١٢٢٦) موصولاً، والواحدي في "أسباب النزول" ص ٤٤٠ عن ابن أبي مليكة مرسلاً.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤٩١٢)، ومسلم في "صحيحه" (١٤٧٤).

قال أبو عبيد: المغاير: شيء شبيه بالصمغ فيه حلاوة، وخرج الناس يتمغفرون؛ إذا خرجوا يجتنونه. ويقال: المغاير بالثاء، مثل جدث، وجدف^(١).

وقال الزجاج: المغاير: صمغ متغير الرائحة^(٢).

فخرج في المراد بالذي أحل الله له قولان:

أحدهما: أنه جاريته.

والثاني: العسل.

قوله تعالى: ﴿تَبْنِيْ مَرْضَاتٍ اَزْوَاجِكَ﴾؛ أي: تطلب رضاهن بتحريم ذلك.

﴿وَاللهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾ غفر الله لك التحريم.

﴿قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ﴾ قال مقاتل: قد بين الله لكم^(٣).

﴿مَحَلَّةَ اٰيْمَانِكُمْ﴾؛ أي: كفارة أيمانكم، وذلك البيان في المائدة [آية: ٨٩].

قال المفسرون: وأصل "مَحَلَّة" تَحْلِيلٌ على وزن تَفْعِلَةٌ، فأدغمت، والمعنى: قد بين الله [لكم]^(٤) تحليل أيمانكم بالكفارة، فأمره الله أن يكفر يمينه، فأعتق رقبة.

(١) "غريب الحديث" لأبي عبيد ٢/٢٥٦.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/١٩١.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/٣٧٦.

(٤) من (ر).

واختلفوا هل حرم مارية على نفسه يمين، أم لا؟ على قولين:

أحدهما: حرمها من غير ذكر يمين، فكان التحريم موجباً لكفارة اليمين، قاله ابن عباس^(١).

والثاني: أنه حلف يميناً حرمها بها، قاله الحسن، [والشعبي]^(٢)، وقتادة^(٣).

﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾؛ أي: وليكم وناصركم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ يعني: حفصة من غير خلاف علمناه.

وفي هذا السر ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه قال لها: "إِنِّي مُسِرٌّ إِلَيْكَ سِرًّا فَأَحْفَظِيهِ، سُرَّتِي هَذِهِ عَلَيَّ حَرَامٌ". رواه العوفي عن ابن عباس^(٤)، وبه قال عطاء، والشعبي، والضحاك، وقتادة، وزيد بن أسلم، وابنه، والسدي.

والثاني: أنه قال لها: "أَبُوكَ، وَأَبُو عَائِشَةَ، وَإِلَيَّا النَّاسُ مِنْ بَعْدِي، فَإِيَّاكَ أَنْ تُخْبِرِي أَحَدًا"، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس^(٥).

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٤٧٨/٢٣.

(٢) من (ر)، و(س).

(٣) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٣٩/٦.

(٤) أخرجه ابن سعد وابن مردويه كما في "الدر المنثور" ٢١٤/٨ - ٢١٥.

(٥) أخرجه ابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٢١٩/٨، وابن عدي "الكامل في معرفة الضعفاء" ٥٠٨/٤، والواحد في "الوسيط" ٣١٩/٤ (١٢١٣)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" ٢٢٢/٣٠.

والثالث: أنه أسرَّ إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي، قاله ميمون بن مهران^(١).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾ أي: أخبرت به عائشة ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلع الله نبيه على قول^(٢) حفصة لعائشة، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً؛ لأنه استكتم حفصة ذلك، ثم دعاها، فأخبرها ببعض ما قالت، فذلك قوله عز وجل: ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾.

وفي الذي عَرَفَهَا إِيَّاه قولان:

أحدهما: أنه حدَّثها ما حدثها عائشة من شأن أبي بكر وعمر، وسكت عما أخبرت عائشة من تحريم مارية؛ لأنه لم يبال ما أظهرت من ذلك، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٣).

والثاني: أن الذي عرف: تحريم مارية، والذي أعرض عنه: ذكر الخلافة؛ لئلا ينتشر، قاله الضحاك^(٤)، وهذا اختيار الزَّجَّاج.

قال: ومعنى ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ عَرَفَ حفصة بَعْضَهُ^(٥). وقرأ الكسائي،

(١) أخرجه أحمد في "فضائل الصحابة" ١/ ٣٩٩ (٦١٠)، والعلبي في "الكشف والبيان" ٣٤٥/ ٩، وابن الأعرابي في "معجمه" ٢/ ٧٣١ (١٤٨٢)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" ٢٢٢/ ٣٠ - ٢٢٣.

(٢) في (ر): قوله.

(٣) أخرجه الدارقطني في "سننه" ٥/ ٢٧٠، وأبو نعيم في "فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم" (١٧٧).

(٤) أخرجه أبو نعيم في "فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم" (١٧٨).

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٩١.

"عَرَفَ" بِالْتَّخْفِيفِ^(١).

قال الزَّجَّاج: على هذه القراءة قد عرف كل ما أسره، غير أنَّ المعنى جارٍ على بعضه؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٩]؛ أي: يعلمه ويمجاز عليه، وكذلك: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]؛ أي: ير جزاءه.

ف قيل: إنَّ النبي ﷺ طَلَّقَ حفصةَ تطليقة، فكان ذلك جزاءها عنده، فأمره الله أن يراجعها^(٢).

وقال مقاتل بن حيان: لم يطلقها، وإنما همَّ بطلاقها، فقال له جبريل: لا تطلقها، فإنها صوامع قوام^(٣).

وقال الحسن: ما استقصى كريم قط، ثم قرأ: "عَرَفَ بعضه وأعرض عن بعض"^(٤).

وقرأ ابن مسعود، وأبيُّ بن كعب، وابنُ السَّمِيع: "عُرَّافَ برفع العين، وتشديد الراء وبألف "بعضه" بالخفض^(٥).

(١) قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٤٠، و"معاني القراءات" للأزهري ٧٦/٢، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٠١/٦.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٩٢/٥ - ١٩٣.

(٣) وهو أيضًا في "تفسير مقاتل بن سليمان" ٣٧٧/٤، وذكره عن مقاتل بن حيان: البغوي في "معالم التنزيل" ١١٨/٥.

(٤) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣٤٦/٩، والبغوي في "معالم التنزيل" ١١٨/٥.

(٥) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٩، وفيه: عُرَّافَ بعضه. سعيد بن المسيب وعكرمة.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّاهُ يَهُ﴾؛ أي: أخبر حفصة بإفشاءها السرَّ.

﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾؛ أي: من أخبرك بأني أفشيت سرَّك؟

﴿قَالَ بَنَانِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ﴾ ثم خاطب عائشة وحفصة، فقال: ﴿إِنْ نُنُوبَا

إِلَى اللَّهِ﴾؛ أي: من التعاون على رسول الله ﷺ بالإيذاء ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.

قال ابن عباس: زاعت، وأثمت^(١).

قال الزَّجَّاج: عدلت، وزاعت عن الحق^(٢).

قال مجاهد: كنا نرى قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ شيئاً هيناً

حتى وجدناه في قراءة ابن مسعود: فقد زاعت قلوبكما^(٣).

وإنما جعل القلبين جماعة؛ لأن كل اثنين فيما فوقهما جماعة. وقد أشرنا

إلى هذا في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ

سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١].

قال المفسرون: وذلك أنها أحب ما كره رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته.

﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو عبد الرحمن ومجاهد

والأعمش: "تَظَاهَرَا" بتخفيف الظاء^(٤)؛ أي: تعاوننا على النبي ﷺ بالإيذاء.

(١) ذكره مكِّي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية" ١٢/ ٧٥٦٩.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٩٣.

(٣) "تفسير مجاهد" ص ٦٦٥، والقراءة شاذة، رويت أيضاً عن علي والأعمش، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٩.

(٤) هي قراءة متواترة، قرأ بها أيضاً: عاصم وحزمة والكسائي، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ١٦٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٢/ ١٣١.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾؛ أي: وليُّه في العون، والنصرة ﴿وَجِبْرِيلُ﴾؛ وليه
﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وفي المراد بصالح المؤمنين ستة أقوال:

أحدها: أنهم أبو بكر وعمر قاله ابن مسعود، وعكرمة، والضحاك^(١).

والثاني: أبو بكر، رواه مكحول عن أبي أمامة^(٢).

والثالث: عمر بن الخطاب، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد^(٣).

والرابع: خيار المؤمنين، قاله الربيع بن أنس. [٧٩٢/أ]

والخامس: أنهم الأنبياء، قاله قتادة، والعلاء بن زياد العدوي، وسفيان^(٤).

(١) وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" ١٠/ ٢٠٥ (١٠٤٧٧)، وابن شاهين في "شرح
مذاهب أهل السنة" (١٥٥)، وأبو نعيم الأصبهاني في "فضائل الخلفاء الأربعة
وغيرهم" (١٠٣)، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٤٨، والواحدي في "الوسيط"
٤/ ٣٢٠ مرفوعاً من حديث ابن مسعود.

وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على "فضائل الصحابة" لأبيه ١/ ١٢٨ (٩٨)،
وابن المقرئ في "معجمه" (١١٧٢) عن عكرمة وسعيد بن جبير، وأحمد في "فضائل
الصحابة" ١/ ١٦٧ (١٦١) عن الضحاك.

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدركه" ٣/ ٧٨.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على "فضائل الصحابة" لأبيه ١/ ٢٤٦ (٣٠٥) عن
مجاهد، وفي ١/ ٢٥٩، ٣٤١، ٤٣٠، (٣٣٣، ٤٩٠، ٦٨١)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٧/ ٦٠
(٣٢٦٥٩) عن سعيد بن جبير.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣٢٣ (٣٢٥٠)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في
"الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٢٤، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٨٧ عن قتادة.
وأخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي =

والسَّادس: أنه عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، حكاها الماوردي^(١). قاله
الفراء^(٢).

﴿وَصَلِّحِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ موحد في مذهب جمع^(٣)، كما تقول: لا يأتيني إلا
سائس الحرب، فمن كان ذا سياسة للحرب، فقد أمر بالمجيء، ومثله قوله
تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا
مِنْكُمْ﴾ [النساء: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَسْنَخُ خُلُقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩]
في كثير من القرآن يؤدي معنى الواحد عن الجميع^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أي: ظهراء^(٥)، وهذا مما
لفظه لفظ الواحد، ومعناه الجميع، ومثله: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧]،
وقد شرحناه هناك.

ثم خوَّف نساء فقال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَفَكُنَّ﴾ وسبب نزولها:
ما روى أنس عن عمر بن الخطاب قال: بلغني بعض ما آذى به رسول
الله نساؤه، فدخلت عليهن، فجعلت أستقرئهن واحدة واحدة، فقلت: والله

= ٢٢٤ / ٨ عن العلاء بن زياد.

(١) "النكت والعيون" للماوردي "٤١ / ٦"، وأخرجه ابن مردويه كما في "الدر المنثور"
للسيوطي ٢٢٤ / ٨، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٣٤٨ / ٩ مرفوعاً من حديث أسماء
بنت عميس.

(٢) معاني الفراء (٣ / ١٦٧).

(٣) في (ر): جميع.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٣ / ١٦٧.

(٥) في (ر): ظهر.

لتنتهن، أو ليلدنه الله أزواجاً خيراً منك، فنزلت هذه الآية^(١).

والمعنى: واجب من الله ﴿إِنْ طَلَّقَكَ﴾ رسوله ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ﴾؛ أي: خاضعات لله بالطاعة ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ مصدقات بتوحيد الله ﴿قَانِتَاتٍ﴾؛ أي: طائعات ﴿سَخِيحَاتٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: صائحات، قاله ابن عباس^(٢)، والجمهور. وقد شرحنا هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿السَّخِيحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢].

والثاني: مهاجرات، قاله زيد بن أسلم، وابنه^(٣). {والثبات} جمع: ثَيِّب، وهي المرأة التي قد تزوجت، ثم ثابت إلى بيت أبيها، فعادت كما كانت غير ذات زوج.

"والأبكار": العذارى.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦) يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْنِدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا يُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٧) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٦ - ٨].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤٤٨٣).

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٤٩٠ / ٢٣.

(٣) أخرجه عنها الطبري في "تفسيره" ٤٩٠ / ٢٣.

قوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ وقاية النفس: بامتنال الأوامر، واجتناب النواهي، وقاية الأهل: بأن يؤمروا بالطاعة، وينهوا عن المعصية. وقال علي رضي الله عنه: علّموهم وأدّبوهم^(١).

﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ وقد ذكرناه في البقرة: [آية: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَكُتُكُمُ﴾ وهم خزنتها ﴿غَلاظٌ﴾ على أهل النار ﴿شِدَادٌ﴾ عليهم. وقيل: غلاظ القلوب شداد الأبدان.

وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: خزنة النار تسعة عشر، ما بين منكبّي أحدهم مسيرة سنة، وقوته: أن يضرب بالمقمعة، فيدفع بتلك الضربة سبعين ألفاً. فيهوون في قعر جهنم.

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾؛ أي: لا يخالفونه^(٢) فيما يأمر ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يتجاوزون ما يؤمرون به^(٣).

والثاني: يفعلونه في وقته لا يؤخرونه، ولا يقدمونه. ويقال لأهل النار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْنِذُوا الْيَوْمَ﴾.

(١) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣٢٤ (٣٢٥٤)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٩١، والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٢٥.

(٢) في (ر): يخالفون.

(٣) ليست في (ر).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم، وخارجة عن نافع "نُصُوحًا" بضم النون. والباقون بفتحها^(١).

قَالَ الرَّجَّاجُ: فمن فتح فعلى صفة التوبة، ومعناه: توبة بالغة في النصح، و"فَعُول" من أسماء الفاعلين التي تستعمل للمبالغة في الوصف. تقول: رجل صبور، وشكور. ومن قرأ بالضم، فمعناه: ينصحون فيها نُصُوحًا، يقال: نصحت له نُصْحًا، ونصاحة، ونُصُوحًا^(٢).

[٧٩٢/ب] وقال غيره: من ضم أراد: توبة نصح لأنفسكم.

وقال عمر بن الخطاب: التوبة النصوح: أن يتوب العبد من الذنب وهو يحدث نفسه أنه لا يعود^(٣).

وسئل الحسن البصري عن التوبة النصوح، فقال: ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك بالجوارح، وإضمار أن لا يعود^(٤).

وقال ابن مسعود: التوبة النصوح تكفر كل سيئة، ثم قرأ هذه الآية^(٥).

(١) كلتا القراءتين سبعة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٤١، و"معاني القراءات" للأزهري ٧٧/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٠٣/٦.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٩٤/٥.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/٣٢٤ (٣٢٥٦)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/٤٩٣، وابن أبي رَمَين المالكي في "تفسيره" ٧/٥، وغيرهم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/٢٢٧.

(٤) أخرجه نحوه عبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/٢٢٧.

(٥) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" ٢/٤٩٥ وصححه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ قد بينا معنى "الخزي" في آل عمران، وبيننا معنى قوله تعالى: ﴿يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ في الحديد [آية: ١٢] ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا﴾ وذلك إذا رأى المؤمنون نور المنافقين يطفأ سألوا الله تعالى أن يتم^(١) لهم نورهم، ويبلغهم به الجنة.

قال ابن عباس: ليس أحد من المسلمين إلا يُعطى نوراً يوم القيامة. فأما المنافق فيطفأ نوره، والمؤمن مشفق مما رأى من إطفاء نور المنافق، فهو يقول^(٢): ﴿رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا﴾^(٣).

﴿بَنَاتُهَا النَّبِيُّ جَهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِخِينَ ١٠ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ١١ وَزَكَرَتِ ابْنَتُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [التحريم: ٩ - ١٢].

قوله تعالى: ﴿جَهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ قد شرحنه في براءة.

(١) في (ر): يتم.

(٢) في (ر): فهم يقولون.

(٣) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" ٢ / ٤٩٥، والبيهقي في "البعث والنشور" كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨ / ٢٢٨.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ﴾.

قال المفسرون منهم مقاتل: هذا المثل يتضمن تخويف عائشة وحفصة أنهما إن عصيا ربهما لم يُغْنِ رسول الله ﷺ عنهما شيئاً.

قال مقاتل: اسم امرأة نوح "والهة" وامرأة لوط "والغة"^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ يعني: نوحاً ولوطاً عليهما السلام ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾.

قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، إنما كانت خيانتها في الدين، كانت امرأة نوح تخبر الناس أنه مجنون، وكانت امرأة لوط تدلُّ على الأضياف، فإذا نزل بلوط ضيف بالليل أوقدت النار، وإذا نزل بالنهار دُخنت ليعلم قومه أنه قد نزل به ضيف^(٢).

وقال السُّدِّي: كانت خيانتها: كفرهما^(٣).

وقال الضحاك: نيمتهما^(٤). وقال ابن السائب: نفاقهما^(٥).

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣٨٠، وفيه عن عائشة مرفوعاً، وذكره عن مقاتل: الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٥١، والماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٤٧، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٢٣.

(٢) أخرجه عنه بنحوه: الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٩٨ دون قوله: ما بغت امرأة نبي قط. أما هذا القول فقد رواه: عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ١٩٥ (١٢٣٣) دون بقية الحديث، وهذه البقية في حديث بعده (١٢٣٤).

(٣) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٤٦.

(٤) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٤٦.

(٥) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٢٢، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٢٣.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾؛ أي: فلم يدفعا عنهما من عذاب الله شيئًا.

وهذه الآية تقطع طمع من ركب المعصية ورجا أن ينفعه صلاح غيره. ثم أخبر أن معصية الغير لا تضر المطيع، بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ وهي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها. وقال يحيى بن سلام: ضرب الله المثل الأول يحذر به عائشة وحفصة رضي الله عنهما^(١).

ثم ضرب لهما هذا المثل يرغبهما في التمسك بالطاعة، وكانت آسية قد آمنت بموسى.

قال أبو هريرة: ضرب فرعون لامرأته أوتادًا في يديها ورجليها، وكانوا إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة، فقالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رآته قبل موتها^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن عمله: جماعه.

والثاني: أنه دينه روي عن ابن عباس^(٣).

(١) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٤٧/٦.

(٢) أخرجه أبو يعلى في "مسنده" ٣١٦/١١ (٦٤٣١)، والبيهقي كما في "الدر المنثور" ٢٢٩/٨ للسيوطي وصحح إسناده.

(٣) ذكره الواحدي في "البيسط" ٣٢٣/٤، والبغوي في "معالم التنزيل" ١٢٣/٥.

﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: أهل دين المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَدْتَ فَرجَهَا﴾ قد ذكرنا فيه قولين في سورة الأنبياء [آية: ٩١]، فمن قال: هو فرج ثوبها، قال "الهاء" في قوله تعالى: ﴿فَنفَخْنَا فِيهِ﴾ يرجع إليه، وذلك أن جبريل مدَّ جيب درعها، فدخل فيه. ومن قال: هو مخرج الولد، قال: "الهاء" كناية عن غير مذكور؛ لأنه إنما نفخ في درعها لا في فرجها.

قوله تعالى: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا﴾ فيه قولان: [٧٩٣/أ]

أحدهما: أنها قول جبريل ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٩].

والثاني: أن الكلمات هي التي تضمنتها كتب الله المنزل.

وقرأ أبو بن كعب، وأبو مجلز، وعاصم الجحدري: "بكلمة ربها" على التوحيد^(١)، وكتبه "قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: "وكتابه" على التوحيد.

وقرأ أبو عمرو، وحفص عن عاصم، وخارجة عن نافع: "وكتبه" جماعة^(٢)، وهي التي أنزلت على الأنبياء.

ومن قرأ: "وكتابه" فهو اسم جنس على ما بينا في خاتمة البقرة [آية: ٢٨٥] وقد بينا فيها القنوت مشروحا [البقرة: ١١٦].

ومعنى الآية: وكانت من القوم^(٣) القانتين، ولذلك لم يقل: من القانتات.

(١) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٥٩.

(٢) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٤١، و"معاني القراءات" للأزهري ٧٨/٣، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧١٥.

(٣) ليست في (ر).

سورة الملك

وهي مكيةٌ كلها^(١) بإجماعهم.

قال ابنُ مسعودٍ: هي المانعة من عذاب القبر^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿بِشْرَكَ الَّذِي يَدِيَهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَإِنْ رَجَعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝ (٣) ثُمَّ أَنْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ (٥) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلِسَ الْمَصِيرُ ۝ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝ (٧) تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ (١٠) فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَسَوْفَ نَنُصِّحُ أَصْحَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١ - ١١].

قوله تعالى: ﴿بِشْرَكَ﴾ قد شرحناه في الأعراف [آية: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَدِيَهِ الْمُلْكُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني: السلطان، يُعزُّزُ ويُدُلُّ.

(١) ليست في (ر).

(٢) أخرجه النسائي في "السنن الكبرى" ٢٦٢/٩ (١٠٤٧٩)، والعلبي في "الكشف والبيان" ٣٥٤/٩، والواحدي في "الوسيط" ٣٢٥/٤ (١٢٢٠).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ قال الحسن: خُلِقَ الموتُ المزيلُ للحياة، والحياةُ التي [هي] ^(١) ضِدُّ الموتِ. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [قد] ^(٢) شرحناه في هود [آ: ٧].

قال الزَّجَّاج: والمتعلِّق ^(٣) بـ ﴿أَيُّكُمْ﴾ مضمَّرٌ، تقديره: ليلوكم، فيعلم أيكم أحسن عملاً، وهذا علم وقوع. وارتفعت "أي" بالابتداء، ولا يعمل فيها ما قبلها؛ لأنها على أصل الاستفهام، ومثله: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ [الكهف: ١٢]، والمعنى: خلق الحياة ليختبركم فيها، وخلق الموت ليعثكم ويجازيكم ^(٤).

وقال غيره: اللام في ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلِّقٌ بخلق الحياة دون خلق الموت؛ لأنَّ الابتلاء ^(٥) بالحياة.

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾؛ أي: خلَقَهُنَّ مُطَابَقَاتٍ؛ أي: بعضها فوق بعض ﴿مَا تَرَى﴾ يا ابنَ آدَمَ ﴿فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ﴾ قرأ حمزة والكسائي: "من تَفَوُّتٍ" بتشديد الواو من غير ألف. وقرأ الباقون بألف ^(٦).

(١) من (ر)، و(س).

(٢) من (ر)، و(س).

(٣) في (ر): والمتعلق.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٩٧/٥.

(٥) في الأصل: الابتداء، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٤٤، و"معاني القراءات" للأزهري ٧٩/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٠٥/٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧١٥.

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَهُمَا بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ؛ كَمَا تَقُولُ: تَعَاهَدْتُ الشَّيْءَ، وَتَعَاهَدْتَهُ.

والتفاوت: الاختلاف^(١). وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: التَّفَاوُتُ: الاضْطِرَابُ والاختلاف، وأصله من الفوت، وهو أن يفوت شيء شيئاً، فيقع الخلل، ولكنه متَّصل ببعضه ببعض^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَرْجِعْ الْبَصَرَ﴾؛ أَي: كَرَّرِ النَّظَرَ^(٣). ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: "هل ترى" بإدغام اللام في التاء^(٤)؛ أَي: هل ترى فيها فروجاً وصدوعاً.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَرْجِعْ الْبَصَرَ كَرِّيْناً﴾؛ أَي: مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَي: مُبْعَدًا؛ مِنْ قَوْلِكَ: خَسَأْتُ الْكَلْبَ؛ إِذَا بَاعَدْتَهُ^(٥) ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾؛ أَي: كَلِيلٌ مُنْقَطِعٌ عَنْ أَنْ يُلْحَقَ مَا نَظَرَ إِلَيْهِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: قَدْ أَغْيَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرَى فِي السَّمَاءِ خِلَالًا^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ وَقَدْ شَرَحْنَاهُ فِي حَمِ السَّجْدَةِ [آيَة: ١٢].

(١) "معاني القرآن" للفرّاء ٣/ ١٧٠.

(٢) "غريب القرآن" ص ٤٧٤.

(٣) في (ر): البصر.

(٤) هي قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ١٢٠، و"جامع البيان في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ٢/ ٦٤٥.

(٥) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٧٤.

(٦) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٩٥.

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾؛ أي: يُرجم بها مُسْتَرْقُو السَّمْعِ، وقد سبق بيان هذا المعنى^(١).

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾؛ أي: في الآخرة ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ وهذا وما بعده قد سبق بيانه إلى قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾؛ أي: صوتًا مثل صوت الحمار، وقد بينّا معنى الشهيق في هود [آية: ١٠٦].

﴿وَهِيَ تَقُورُ﴾؛ أي: تغلي بهم كغلي المزجل. ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾؛ أي: تنقطع^(٢) من تغيطها عليهم. ﴿كُلَّمَا أَلْفَى فِيهَا فَوْجٌ﴾؛ أي: جماعة منهم ﴿سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ وهذا سؤال توبيخ. [٧٩٣/ب]

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾؛ أي: قلنا للرُّسل: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾؛ أي: [في]^(٣) ذهابٍ عن الحقِّ بعيد.

قال الزجاج: ثُمَّ اعترفوا بجهلهم فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾؛ أي: سماع مَنْ يعي ويفكر ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ عقل مَنْ يُمَيِّز وينظر ﴿مَا كُنَّا﴾ من أهل النار ﴿فَسُحْقًا﴾ [أي: بُعدًا]^(٤)، وهو منصوب على المصدر، المعنى: أسحقهم الله سحقًا، أي: باعدهم الله من رحمته مباعدة، والسَّحيق: البعيد^(٥).

(١) في سورة الحجر، آية: ١٨.

(٢) في الأصل: تنقطع، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) من (ر).

(٤) ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٩٩/٥.

وكذلك روى ابنُ أبي طلحة عن ابنِ عباس: "فسحقاً؛ أي: بعداً"^(١).
وقال سعيد بن جبير، وأبو صالح: السحق: واد في جهنم يقال له: سحق"^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٢) ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١١) ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٢ - ١٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ قد شرحناه في سورة الأنبياء [آية: ٤٩].

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لِذُنُوبِهِمْ ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: وهو الجنة، ثم عاد إلى خطاب الكفار، فقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾.

قال ابنُ عباس: نزلت في المشركين كانوا يتألون من رسول الله ﷺ، فيُخبره جبريل بما قالوا، فيقول بعضهم: أسروا قولكم حتى لا يسمع إله محمد^(٣).

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾؛ أي: ألا يعلم ما في الصدور خالقها؟ "واللطيف" مشروح في الأنعام [آية: ١٠٣]، "والخبير" في البقرة [آية: ٢٣٤].

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/٥١٠، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/٢٣٦.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٨/٥١٧، ١٩/٤٠٦، ٣٥٣٢٥، ٣٦٤٩٧، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/٢٣٦ عن سعيد بن جبير، ولم أقف عليه مسنداً عن أبي صالح، وذكره عنه الماوردي في "النكت والعيون" ٦/٥٣.

(٣) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/٣٥٩، والواحدي في "أسباب النزول" ص ٤٤٢، و"البيسوط" ٢٢/٥١، والبخاري في "معالم التنزيل" ٥/١٢٦.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾؛ أي: مذللة سهلة لم يجعلها ممتعة بالحزونة والغلظ.

قوله تعالى: ﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَاجِبِهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: طرقاتها، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد^(١).

والثاني: جبالها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة^(٢)، واختاره الزجاج.

قال: لأن المعنى: سهل لكم السلوك فيها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها، فهو أبلغ في التذليل^(٣).

والثالث: في جوانبها، قاله مقاتل، والفراء، وأبو عبيدة^(٤)، واختاره ابن قتيبة.

(١) في "تفسير مجاهد" ص ٦٦٧: أطرافها وفجاجها. وهو ما أخرجه الطبري في "تفسيره" ١٢٨/٢٣ عنه وعن ابن عباس من طريق العوفي، والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٢٣٧/٨.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٥١٢/٢٣، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٢٣٧/٨ عن ابن عباس.

وأخرجه عن قتادة: عبد الرزاق في "تفسيره" ٣٢٦/٣، وابن أبي شيبة في "مصنفه" ٨٤/٩ (١٦٤١٤)، والطبري في "تفسيره" ٥١٢/٢٣.

(٣) "معاني القرآن" للزجاج ١٩٩/٥.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٣٩١/٤، و"مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢٦٠/٢، و"معاني القرآن" للفراء ١٧١/٣.

قال: وَمَنْكِيَا الرجل: جانباه^(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾؛ أي: إليه يُبعثون من قبوركم.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾^(١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ^(١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَيْفَ كَانَ نَكِيرِ^(١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِرٌ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٦ - ١٩].

ثُمَّ خَوْفَ الْكُفَّارِ؛ فقال: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير: "وإليه النشور وأمنتم". وقرأ نافع، وأبو عمرو: "النشور آمنتم" بهمزة ممدودة. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمة، والكسائي: "أأمنتم" بهزتين^(٢).

﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ قال ابن عباس: أمنتم عذاب من في السماء، وهو الله عز وجل؟^(٣)، "وتمور" بمعنى: تدور. قال مقاتل: والمعنى: تدور بكم إلى الأرض السفلى^(٤).

قوله تعالى: ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ وهي الحجارة، كما أرسل على قوم لوط.

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٧٥.

(٢) القراءات الثلاث جميعها متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٤٤، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٨٠، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٠٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧١٦.

(٣) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٥٩، والبعثوني في "معالم التنزيل" ٨/ ١٧٨.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣٩١.

﴿فَسَعَّامُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾؛ أي: كيف كانت عاقبة إنذارى لكم في الدنيا إذا نزل بكم العذاب.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفار الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ﴾؛ أي: إنكارى عليهم بالعذاب.

﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًى﴾؛ أي: تصفأ أجنحتها في الهواء، وتقبض أجنحتها بعد البسط، وهذا معنى الطيران، وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ أن يقعن ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾.

﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ (٢) ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ، بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ (١) ﴿أَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢) ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٢٣) ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٤) ﴿يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٥) ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٢٦) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ [الملك: ٢٠ - ٢٧].

قوله تعالى: ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ﴾ هذا استفهام إنكار. ولفظ "الجند" موحد، فلذلك قال تعالى: ﴿هَذَا الَّذِي هُوَ﴾، والمعنى: لا جند لكم ﴿يَنْصُرُكُمْ﴾؛ أي: يمنعكم من عذاب الله تعالى إن أراده بكم.

﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ وذلك أن الشيطان يغرهم، فيقول: إن العذاب لا ينزل بكم.

﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾ المطر وغيره ﴿إِنْ أَمْسَكَ﴾ الله ذلك عنكم ﴿بَلْ

لَجُؤًا فِ عَتُوٍّ ۖ أَي: تَمَادٍ^(١) فِي كَفْرِ ۖ وَنُفُورٍ ۖ عَنِ الْإِيمَانِ.

ثم ضرب مثلاً، فقال تعالى: ﴿أَفَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ ۚ﴾ قال ابنُ [٧٩٤/أ] قتيبة: أي: لا يبصر يميناً، ولا شمالاً، ولا من بين يديه، يقال: أكب فلان على وجهه بالألف، وكبّه الله لوجهه، وأراد: الأعمى^(٢).

قال المفسرون: هذا مثل للمؤمن، والكافر. و"السوي": المعتدل؛ [أي]^(٣): الذي يبصر الطريق.

وقال قتادة: هذا في الآخرة يحشر الله الكافر مكباً على وجهه، والمؤمن يمشي سويّاً^(٤).

قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم لا يشكرون، قاله مقاتل^(٥).

والثاني: أنهم^(٦) يشكرون قليلاً، قاله أبو عبيد^(٧).

(١) في الأصل: تَمَادُوا، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٧٥.

(٣) من (ر).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/٣٢٧ (٣٢٦٨)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/٥١٦، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/٢٣٩.

(٥) ذكره الواحدي في "البيسط" ٢٢/٦١، و"الوسيط" ٤/٣٣٠، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/١٢٧.

(٦) ليست في (ر).

(٧) هو كلام أبي عبيدة في "مجاز القرآن" ٢/٢٦٢، ولم أقف عليه لأبي عبيد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَرَأَكُمْ﴾؛ أَي: خَلَقَكُمْ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يَعْنُونَ بِالْوَعْدِ: الْعَذَابَ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾؛ أَي: رَأَوْا الْعَذَابَ قَرِيبًا مِنْهُمْ ﴿سَيِّئَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: أَي: تَبَيَّنَ فِيهَا السَّوْءُ^(١). وَقَالَ غَيْرُهُ: قَبِحَتْ بِالسَّوَادِ.

﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ تَدْعُونَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ "تَدْعُونَ" بِالتَّشْدِيدِ، بِمَعْنَى تَدْعُونَ بِالتَّخْفِيفِ، وَهُوَ "تَفْعَلُونَ" مِنَ الدَّعَاءِ، يُقَالُ: دَعَوْتُ، وَادَّعَيْتُ؛ كَمَا يُقَالُ: خَبَرْتُ وَاخْتَبَرْتُ، وَمِثْلُهُ: يَذْكُرُونَ، وَيَذْكُرُونَ، هَذَا قَوْلُ الْفَرَاءِ^(٢)، وَابْنُ قَتِيبَةَ^(٣).
وَالثَّانِي: أَنَّ الْمَعْنَى: هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ مِنْ أَجْلِهِ تَدْعُونَ الْأَبَاطِيلَ وَالْكَاذِبِينَ، تَدْعُونَ أَنْكُمْ إِذَا مَتَمَّ لَا تَبْعَثُونَ؟ وَهَذَا اخْتِيَارُ الزَّجَّاجِ^(٤).
وَقَرَأَ أَبُو رَزِينٍ، وَالْحَسَنُ، وَعُكْرَمَةُ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ أَبِي عِبْلَةَ، وَيَعْقُوبُ: "تَدْعُونَ" بِتَخْفِيفِ الدَّالِّ، وَسَكُونِهَا، بِمَعْنَى تَفْعَلُونَ مِنَ الدَّعَاءِ^(٥).
وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانُوا يَدْعُونَ بِالْعَذَابِ^(٦).

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٠١/٥.

(٢) معاني القرآن للفراء ١٧١/٣.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٧٥.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٠١/٥.

(٥) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٠.

(٦) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٥١٩/٢٣.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾
 ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ
 مَاؤُكُمُ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿[الملك: ٢٨ - ٣٠].﴾

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ ﴾ بعذابه ﴿ وَمَنْ مَعِيَ ﴾ من المؤمنين.
 قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم:
 "معي" بفتح الياء.

وقرأ أبو بكر عن عاصم، والكسائي: "معي" بالإسكان^(١).

﴿ أَوْ رَحِمَنَا ﴾ فلم يعذبنا ﴿ فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ ﴾؛ أي يمنعهم ويؤمنهم
 ﴿ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

ومعنى الآية: إنا مع إيماننا، بين الخوف الرجاء: فمن يجيركم مع
 كفركم من العذاب؟ أي: لأنه لا رجاء لكم كرجاء المؤمنين.

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ﴾ الذي نعبد ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ وقرأ الكسائي: "فسيعلمون"
 بالياء عند معاينة العذاب مَنْ الضال نحن أم أنتم^(٢).

قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ قد بيناه في الكهف [آية: ٤١] ﴿ فَمَنْ
 يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾؛ أي: بماء ظاهر تراه العيون، وتنااله الأروحية.

(١) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٤٥، و"معاني القراءات"
 للأزهري ٨٢/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٠٨/٦.

(٢) قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٤٤، و"معاني القراءات"
 للأزهري ٨١/٣، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧١٦.

سُورَةُ نُونٍ^(١)

وهي مكيةٌ كُلُّهَا بِإِجْمَاعِهِمْ.

إِلَّا مَا حُكِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ أَنَّ فِيهَا مِنْ الْمَدَنِيِّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا بَلَوْتَهُمْ﴾... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ^(٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ
﴿٢﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ^(٣) فَسَتَبْصُرُ وَتُبْصِرُونَ^(٤) بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ^(٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ^(٦) [القلم: ١ - ٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ،
وَحَمْزَةٌ، وَحَفْصٌ: ﴿تَ وَالْقَلَمِ﴾ النُّونُ فِي آخِرِ الْهَجَاءِ مِنْ نُونِ ظَاهِرَةٍ عِنْدَ
الْوَاوِ^(٢)، وَهَذَا اخْتِيَارُ الْفَرَّاءِ^(٣).

وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ أَنَّهُ كَانَ لَا يَبِينُ النُّونَ مِنْ {نُونٍ} وَبِهَا

(١) في (ر): القلم.

(٢) قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٤٦، و"معاني القراءات" للأزهري ٨٣/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٠٩/٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧١٧.

(٣) "معاني القرآن" للفراء ١٧٢/٣.

قرأ الكسائي، وخلف، ويعقوب^(١)، وهو اختيار الزجاج^(٢).

وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وقتادة، والأعمش: "نُونِ والقلم" بكسر النون^(٣). وقرأ الحسن، وأبو عمران، وأبو نهيك: "نُ والقلم" برفع النون^(٤).

وفي معنى نون سبعة أقوال:

أحدها: أنها الدَّوَاة. روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ خَلَقَ النُّونَ، وَهِيَ الدَّوَاةُ"^(٥).

وهذا قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير^(٦)، وبه قال [٧٩٤/ب] الحسن وقتادة^(٧).

والثاني: أنه آخر حروف الرحمن، رواه عكرمة عن ابن عباس^(٨).

(١) قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٤٦، و"معاني القراءات" للأزهري ٨٣/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٠٩/٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧١٧.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٠٣/٥.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٠.

(٤) قراءة شاذة أيضاً، لم أقف على من ذكرها غير المصنف.

(٥) أخرجه الفريابي في "القدر" (١٨)، والآجري في "الشرعة" ٥١٣/١، ٧٦٦/٢ (١٧٩)، ٣٤٥، وابن بطّة في "الإبانة" ٣٣٥/٣ (١٣٦٤).

(٦) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٥٢٤/٢٣، وأبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي في "المجالسة وجواهر العلم" ٧٩/٤ (١٢٥٠)، والواحدي في "الوسيط" ٣٣٣/٤ (١٢٢٥).

(٧) أخرجه عنهما: عبد الرزاق في "تفسيره" ٣٢٩/٣ (٣٢٧٢)، والطبري في "تفسيره" ٥٢٥/٢٣، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٢٤١/٨.

(٨) أخرجه الطبري في "تفسيره" ١٥/١٠.

والثالث: أنه الحوت الذي على ظهر الأرض، وهذا المعنى في رواية أبي ظبيان [عن ابن عباس] ^{(١)(٢)}، وهو مذهب مجاهد، والسدي، وابن السائب، ومقاتل ^(٣).

والرابع: أنه لوح من نور، قاله معاوية بن قرة ^(٤).

والخامس: أنه افتتاح اسمه: "نصير" و"ناصر" قاله عطاء ^(٥).

والسادس: أنه قسم بنصرة الله للمؤمنين، قاله القرظي ^(٦).

والسابع: أنه نهر في الجنة، قاله جعفر الصادق ^(٧).

وفي القلم قولان:

أحدهما: أنه الذي كتب به في اللوح المحفوظ.

والثاني: أنه الذي يكتب به الناس. وإنما أقسم به؛ لأن كُتِبَ إنما تكتب به. و﴿يَنْظُرُونَ﴾ بمعنى: يكتبون.

(١) ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣ / ٥٢١، ٥٢٤.

(٣) "تفسير مجاهد" ٣ / ٦٨٧، و"تفسير مقاتل بن سليمان" ٤ / ٤٠٣، وذكره عن السدي والكلبي: الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠ / ٥، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥ / ١٢٩، والواحدي في "الوسيط" ٤ / ٣٢٣.

(٤) أخرجه: الطبري في "تفسيره" ٢٣ / ٥٢٥ عنه عن أبيه مرفوعاً، وهو ما ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦ / ٦٠.

(٥) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠ / ٦.

(٦) ذكره البغوي في "معالم التنزيل" ٥ / ١٣٠.

(٧) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠ / ٧.

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنهم الملائكة.

وفي المراد^(١) بما يكتبونه قولان:

أحدهما: أنه الذكر، قاله مجاهد، والسدي^(٢).

والثاني: أعمال بني آدم، قاله مقاتل^(٣).

والقول الثاني: أنهم جميع الكتبة، حكاه الثعلبي^(٤).

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾؛ أي: ما أنت بإنعام ربك عليك بالإيمان والنبوة بمجنون.

قال الزجاج: هذا جواب قولهم: إنك لمجنون. وتأويله: فارقك الجنون بنعمة الله^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ بصرك على افتراءهم عليك، ونسبتهم إياك إلى الجنون ﴿لَا جَزَاءَ لِمَنْ مَنُونٍ﴾؛ أي: غير مقطوع ولا منقوص.

(١) في (ر): وفيها أرادوا.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٥٢٧/٢٣، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٢٤٢/٨ عن مجاهد، وذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦٠/٦ عنها.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤٠٣/٤.

(٤) "الكشف والبيان" للثعلبي ٩/١٠.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٠٤/٥، وفيه: فارقك الجهل.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: دين الإسلام، قاله ابن عباس^(١).

والثاني: أدب القرآن، قاله الحسن^(٢).

والثالث: الطبع الكريم.

وحقيقة "الخلق": ما يأخذه الإنسان نفسه من الآداب، فسمي خلقاً؛ لأنه يصير كالخلقة في صاحبه.

فأما ما طبع عليه فيسمى: "الخيم" فيكون الخيم: الطبع الغريزي، والخلق: الطبع المتكلف. هذا قول الماوردي^(٣).

وقد سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن^(٤). تعني: كان على ما أمره الله به في القرآن.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْهُ وَبُحِّرْهُ﴾ يعني: أهل مكة. وهذا وعيد لهم بالعذاب. والمعنى: سترى ويرون إذا نزل بهم العذاب ببدر.

﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ وفيه أربعة أقوال:

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٥٢٩/٢٣.

(٢) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٣٣٤/٤.

(٣) "النكت والعيون" للماوردي ٦١/٦.

(٤) أخرجه أحمد في "مسنده" ١٤٨/٤١ (٢٤٦٠١)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٣٠٨)، و"خلق أفعال العباد" ص ٨٧ بلفظه، وأخرجه مسلم في "صحيحه" (٧٤٦) بنحوه.

أحدها: الضَّالُّ، قاله الحسن^(١).

والثاني: الشَّيْطَان، قاله مجاهد^(٢).

والثالث: المجنون، قاله الضحاك^(٣). والمعنى: الذي قد فتن بالجنون.

والرَّابع: المعذب، حكاه الماوردي^(٤).

وفي الباء قولان:

أحدهما: أنها زائدة، قاله أبو عبيدة^(٥)، وابن قتيبة^(٦)، وأنشدوا [الرجز]:

نَحْنُ بُنُو جَعْدَةَ أَصْحَابِ الْفَلَجِ

نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَتَرْجُو بِالْفَرْجِ^(٧)

والثاني: أنها أصلية، وهذا قول الفراء^(٨)، والزَّجَّاج.

قال الزَّجَّاج: ليس كونها لغوًا بجائز في العربية في قول أحد من أهلها.

(١) ذكره الماوردي النكت والعيون "٦/ ٦٢.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣١.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣١ وفيه: الجنون.

(٤) النكت والعيون "للماوردي ٦/ ٦٢.

(٥) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٤.

(٦) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٧٧.

(٧) الرجز لم أجد من نسبه، وهو دون نسبة في: "تفسير الطبري" ١٩/ ٢٣، ٢٣/ ٥٣٢،

و"المنتخب من غريب كلام العرب" لكراع النمل ص ٧١١، و"غريب الحديث" للخطابي

٢/ ٣٤٩، و"الصحيح" للجوهري ٦/ ٢٥٤٧، و"شرح أبيات سيويه" للسيرافي ١/ ٣٢٤.

(٨) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٣، ٥/ ٢٠٥.

وفي الكلام قولاً للنحويين:

أحدهما: أن "المفتون" هاهنا: الفتون. والمصادر تجيء على المفعول، تقول العرب: ليس هذا معقود رأي؛ أي: عقد رأي، وتقول: دعه إلى ميسوره؛ أي: يسره. والمعنى: بأيكم الجنون^(١).

والثاني: بأيكم المفتون بالفرقة التي أنت فيها، أم بفرقة الكفار؟ فيكون المعنى: في أي الفرقتين المجنون. وقد ذكر الفراء نحو ما شرحه الزجاج^(٢). وقد قرأ أبي بن كعب، وأبو عمران، وابن أبي عبله: "في أيكم المفتون"^(٣). ثم أخبر أنه عالم بالفرقتين بما بعد هذا.

﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا لَوْ يُدْهِنُ فَيَذْهَبُونَ ۝٩ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّا زَمْشَاءَ بَنِي مِمْ ۝١١ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِفُهُ عَلَى الْخَرْطُومِ ۝﴾
[القلم: ٨ - ١٦].

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ وذلك أن رؤساء أهل مكة دعوه إلى دين آبائه، فنهاه الله تعالى أن يطيعهم. [٧٩٥/أ]

(١) في الأصل: المجنون، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) "معاني القرآن وإعراجه" للزجاج ٢٠٥/٥.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "المحرر الوجيز" لابن عطية ٣٤٧/٥، و"البحر المحيط" لأبي حيان ٢٣٧/١٠ عن ابن أبي عبله، و"رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" لعبد الرزاق السعني عن ثلاثتهم، وفي الكتب الثلاثة: في أيكم المفتون.

﴿وَدُّوا لَوْلَاهُمْ فَيُدْهِنُونَ﴾ فيه سبعة أقوال:

أحدها: لو ترخص فيرخصون، قاله ابن عباس^(١).

والثاني: لو تصانعهم في دينك فيصانعون في دينهم، قاله الحسن^(٢).

والثالث: لو تكفر فيكفرون، قاله عطية، والضحاك، ومقاتل^(٣).

والرابع: لو تلين لهم^(٤) فيلينون لك، قاله ابن السائب^(٥).

والخامس: لو تنافق وترائي فينافقون ويرأؤون، قاله زيد بن أسلم^(٦).

والسادس: ودُّوا لو تدهن في دينك فيدهنون في أديانهم. وكانوا

أرادوه على أن يعبد آلهتهم مدةً، ويعبدوا الله مدةً، قاله ابن قتيبة^(٧). وقال أبو عبيدة: هو من المداهنة^(٨).

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٥٣٣/٢٣، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/٢٤٤-٢٤٥.

(٢) ذكره البغوي في: "معالم التنزيل" ١٣٦/٥، و"شرح السنة" ٣٤٣/١٤.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/٤٠٤، وأخرجه عن الضحاك: الطبري في "تفسيره" ٥٣٢/٢٣، وذكره عن عطية والضحاك: الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/١٢، وعن الضحاك: الماوردي في "النكت والعيون" ٦٢/٦.

(٤) ليست في (ر).

(٥) ذكره البغوي في: "معالم التنزيل" ١٣٦/٥.

(٦) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/١٢ وفيه: زيد بن مسلم، والبغوي في: "معالم التنزيل" ١٣٦/٥.

(٧) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٧٨.

(٨) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/٢٦٤.

والسابع: لو تقاربهم فيقاربونك قاله ابن كيسان^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ وهو كثير الحلف بالباطل ﴿مَّهِينٍ﴾ وهو الحقير الدنيء. وروى العوفي عن ابن عباس قال: المهين: الكذاب^(٢).

واختلفوا فيمن نزل هذا على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الوليد بن المغيرة، قاله ابن عباس، ومقاتل^(٣).

والثاني: الأحنس بن شريق، قاله عطاء، والسدي^(٤).

والثالث: الأسود بن عبد يغوث، قاله مجاهد^(٥).

قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ﴾ قال ابن عباس: هو المغتاب^(٦). وقال ابن قتيبة: هو العياب^(٧).

(١) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ١٢.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣٤، وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في "الدر المشور" للسيوطي ٨/ ٢٤٩.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٠٤، وذكره عن ابن عباس: السمعاني في "تفسيره" ٦/ ٢٠، والواحدي في "البسيط" ٢٢/ ٨١، و"الوسيط" ٤/ ٣٣٥، والماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٦٣، وذكره عن مقاتل: البغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٣٦.

(٤) ذكره عن السدي: الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٦٣، وذكره عن عطاء: الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٣٥، والبغوي في: "معالم التنزيل" ٥/ ١٣٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "الدر المشور" للسيوطي ٨/ ٢٤٨.

(٦) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣٤.

(٧) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٧٨.



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَشَاءَ بَنِيمٍ﴾؛ أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهي^(١) نقل الكلام السيئ من بعضهم إلى بعض ليفسد بينهم.

﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه منع ولده وعشيرته الإسلام، قاله ابن عباس^(٢).

والثاني: مناع للحقوق في ماله، ذكره الماوردي^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مُعْتَدٍ﴾؛ أي: ظلوم ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر ﴿عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾؛ أي: مع ما وصفناه به.

وفي "العتل" سبعة أقوال:

أحدها: [أنه]^(٤) العاتي الشديد المنافق، قاله ابن عباس^(٥).

والثاني: أنه المتوفر الجسم، قاله الحسن^(٦).

والثالث: الشديد الأثر، قاله مجاهد^(٧).

والرابع: القوي في كفره، قاله عكرمة^(٨).

(١) في (ر): وهو.

(٢) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ١٢.

(٣) "النكت والعيون" للماوردي ٦/ ٦٤.

(٤) من (ر).

(٥) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣٥ وفيه: العاتل.

(٦) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٦٤.

(٧) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣٧.

(٨) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٦٤.

والخامس: الأكل والشرب القوي الشديد، قاله عبيد بن عمير^(١).

والسادس: الشديد الخصومة بالباطل، قاله الفراء^(٢).

والسابع: أنه الغليظ الجافي، قاله ابن قتيبة^(٣).

وفي "الزيم" أربعة أقوال:

أحدها: أنه الدَّعي في قريش وليس منهم، رواه عطاء عن ابن عباس^(٤).

وهذا معروف في اللغة أن الزيم: هو الملتصق في القوم وليس منهم، وبه قال الفراء^(٥)، وأبو عبيدة^(٦)، وابن قتيبة^(٧). قال حسان [من الطويل]:

وَأَنْتَ زَيْمٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نَيْطَ خَلْفِ الرَّائِبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ^(٨)

والثاني: أنه الذي يعرف بالشر، كما تعرف الشاة بزمتها، رواه

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٣٠٩/١٩ (٣٦١٤٤)، والطبري في "تفسيره" ٥٣٦/٢٣، والآجري في "الشرعة" ١٣٣٥/٣ (٩٠٤)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" ٢٧٠/٣.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ١٧٣/٣.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٧٨.

(٤) ذكره الواحدي في "البيسطة" ٨٦/٢٢، و"الوسيط" ٣٣٥/٤، والبغوي في "معالم التنزيل" ١٣٦/٥.

(٥) "معاني القرآن" للفراء ١٧٣/٣.

(٦) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢٦٥/٢.

(٧) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٧٨.

(٨) البيت من الطويل، وهو في "ديوان حسان بن ثابت" ص ١٠٠ من قصيدة مطلعها: لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ ابْنَ هَاشِمٍ ... هُوَ الْغُصْنُ ذُو الْأَفْنَانِ لَا الْوَاحِدُ الْوَعْدُ

سعيد بن جبير عن ابن عباس^(١).

والثالث: أنه الذي له زمة مثل زمة الشاة.

وقال ابن عباس: نعت فلم يعرف حتى قيل: زنيم؛ فعرف، وكانت له زمة في عنقه يعرف بها^(٢). ولا نعلم أن الله تعالى بلغ من ذكر عيوب أحد ما بلغه من ذكر عيوب الوليد؛ لأنه وصفه بالحلف، والمهانة، والعيب للناس، والمشى بالنائم^(٣)، والبخل، والظلم، والإثم، والجفاء، والدعوة، فألحق به عارًا لا يفارقه في الدنيا والآخرة.

قال الزجاج: والزمتان: المعلقتان عند حلوق المعزى^(٤). وقال ابن [٧٩٤/ب] فارس: يعني التي تتعلق من أذنها^(٥).

والرابع: أنه الظلوم، رواه الوالبي عن ابن عباس^(٦).

قوله تعالى: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿أَنْ كَانَ﴾ على الخبر؛ أي: لأن كان. والمعنى: لا تطعه لماله وبنيه.

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/٥٣٩، والحاكم في "المستدرک" ٢/٥٨٦ وصححه.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/٥٣٨، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/٢٤٩.

(٣) في (ر): بالنميمة.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/٢٠٦).

(٥) "مجمّل اللغة" لابن فارس ص ٤٤١.

(٦) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/٥٣٩.

وقرأ ابن عباس بهمزتين، الأولى: مخففة. والثانية: ملينة، وفصل بينهما بألف أبو جعفر. وقرأ حمزة: "أَنَّ كَانَ" بهمزتين مخففتين على الاستفهام^(١).

وله وجهان:

أحدهما: لأن كان ذا مال تطيعه.

والثاني: لأن كان ذا مال وبنين.

﴿إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ، إِنَّا نَا﴾ يكفر بها، فيقول: ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ذكر القولين الفراء^(٢).

وقرأ ابن مسعود: "أن كان" بهمزة واحدة مقصورة^(٣)، ثم أوعده فقال تعالى: ﴿سَنِيْعُهُ عَلَى الْخَرْطُومِ﴾ الخرطوم: الأنف.

وفي هذه السمة ثلاثة أقوال:

أحدها: سنسمه بالسيف، فنجعل ذلك علامة على أنفه ما عاش، فقاتل يوم بدر فخطم بالسيف، قاله ابن عباس.

(١) القراءات الثلاث سبعة متواترة، ينظر: "السبع" ص ٦٤٦-٦٤٧، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٨٤، "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣١٠، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧١٧.

(٢) "معاني القرآن" للقراء ٣/ ١٧٣-١٧٤.

(٣) قراءة سبعة متواترة، قرأ بها أيضاً: ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي وحفص عن عاصم والكسائي عن أبي بكر عن عاصم. كما مر، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٤٦. أما إن كان المصنف يقصد بقطع الهمزة مع كسرها فتكون (إن كان) شرطاً، فهي قراءة شاذة، قرأ بها أيضاً الزهري عن نافع، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٠.

والثاني: سنلحق به شيئاً لا يفارقه، قاله قتادة، واختاره ابن قتيبة^(١).

والثالث: أن المعنى: سنسود وجهه.

قال الفراء: و"الخرطوم" وإن كان قد خصّ بالسمة، فإنه في مذهب الوجه؛ لأن بعض الوجه يؤدي عن البعض^(٢).

وقال الزجاج: سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من اسوداد وجوههم. وجائز - والله أعلم - أن يفرد بسمة لمبالغته في عداوته لرسول الله ﷺ يتبين بها عن غيره^(٣).

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩﴾ فَأَصْبَحَت كَالصَّرِيمِ ﴿١٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿١١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿١٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَتْهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿١٤﴾ وَغَدَا عَلَى حَرَبٍ قَدِيرِينَ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿١٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْزَأْ قُلُوبَكُمْ لَنَلَكُنَّ لَكُمْ سَاحِبُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلُو مَوْعِنًا ﴿٢٠﴾ قَالُوا يُونُسُ إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٢١﴾ عَسَى رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَ لَنَا خَيْرَ مِمَّا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٢٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٢٧﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخْتَارُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٢٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٣٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾

[القلم: ١٧ - ٤١].

(١) "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ص ١٠٠، ١٠٢، وأخرجه عن قتادة: الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٤١، وعبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٥٠.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٤.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٠٧.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا بَلَوْتَهُمْ﴾ يعني: أهل مكة؛ أي: ابتليناهم بالجوع، والقحط ﴿كَأَبْلُونَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ حين هلكت جنتهم.

وهذه الإشارةُ إلى قِصَّتِهِمْ

ذكر أهلُ التَّفْسِيرِ أَنَّ رجلاً كان بناحية اليمن له بُستان، وكان مؤمناً، وذلك بعد عيسى بن مريم عليهما السلام، وكان يأخذ منه قدر قوته، و[كان]^(١) يتصدق بالباقي.

وقيل: كان يترك للمساكين ما تعداه المنجل، وما يسقط من رؤوس النخل، وما ينتثر عند الدّراس، وكان يجتمع من هذا شيء كثير، فمات الرجل عن ثلاثة بنين، فقالوا: والله إن المال لقليل، وإن العيال لكثير، وإنما كان [أبونا]^(٢) يفعل هذا؛ إذ كان المال كثيراً، والعيال قليلاً، وأمّا الآن فلا نستطيع أن نفعل هذا.

فغرموا على حرمان المساكين، وتحالفوا بينهم ليغدون^(٣) قبل خروج الناس، فليصر من نخلهم، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ أَقْتَمُوا﴾؛ أي: حلفوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾؛ أي: ليقطعن نخلهم ﴿مُضِجِينَ﴾؛ أي: في أول الصباح، وقد بقيت من الليل ظلمة؛ لئلا يبقى للمساكين شيء.

(١) من (ر).

(٢) من سائر النسخ.

(٣) في (ر): ليغدن.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَنْوْنَ﴾ قولان:

أحدهما: لا يقولون: إن شاء الله، قاله الأكثرون.

والثاني: لا يستثنون حق المساكين، قاله عكرمة.

﴿فَطَافَ عَلَيْهِمُ طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: من أمر ربك. قال الفراء: الطائف لا يكون إلا بالليل.

قال المفسرون: بعث الله عليها نارا بالليل، فاحترقت، فصارت سوداء، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: كالرماد الأسود، قاله ابن عباس.

والثاني: كالليل المسود، قاله الفراء^(١).

وكذلك قال ابن قتيبة: أصبحت سوداء كالليل محترقة. والليل:

هو الصريم، والصبح أيضًا: صريم؛ لأن كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه^(٢).

والثالث: أصبحت وقد ذهب ما فيها من الثمر، فكأنه قد صرم؛

أي: قطع، وجدَّ، حكاه ابن قتيبة أيضًا^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَنَادَا مُّصِيعِينَ﴾؛ أي: نادى بعضهم بعضًا لما أصبحوا

﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ يعني: الشمار والزروع والأغاب ﴿إِن كُنتُمْ صَرِيمِينَ﴾؛ أي:

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٥.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٧٩.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٧٩.

قاطعين النَّخْلَ^(١)، ﴿فَانْطَلِقُوا﴾؛ أي: ذهبوا إلى جنتهم ﴿وَهُمْ يَنْخَفُونَ﴾.
قال ابن قتيبة: يتساورون^(٢) بـ ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾^(٣) وَعَدُوا عَلَى
حَرْبٍ^(٤) فيه ثمانية أقوال:

أحدها: على قدرة، قاله ابن عباس.

والثاني: على فاقة، قاله الحسن في رواية.

والثالث: على جد، قاله الحسن في رواية، وقتادة، وأبو العالية،
ومقاتل، والفراء^(٥).

والرابع: على أمر مجمع قد أسسوه بينهم، قاله مجاهد، وعكرمة.

والخامس: أنَّ الحرد: اسم الجنة، قاله السدي.

والسادس: أنه الحنق والغضب على المساكين، قاله الشعبي، وسفيان.
وأنشد أبو عبيدة^(٦) [من الطويل]:

أُسُودُ شَرَى لَا قَتَ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الْأَسَاوِدِ^(٧)

(١) في (ر): للنخل.

(٢) في (ر): يستارون، وفي (س): يسارون.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٧٩.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٠٦، و"معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٦.

(٥) مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٦.

(٦) البيت للأسود ابن رميلة كما ذكر أبو عبيدة. قال العيني في "المقاصد النحوية" ١/ ٤٤٨ - ٤٤٩

في بيت على وزنه وقافيته: قائله هو الأشهب ابن زميلة النهشلي، وزميلة بالزاي المعجمة أمه
.. ثم ذكر أبياتاً منها بيت المصنف المذكور، ثم قال: وقد نسب أبو تمام - في كتابه "المختار =

والسابع: أنه المنع، مأخوذ من حاردت السنة فليس فيها مطر، وحاردت الناقة فليس لها لبن، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة^(١).

والثامن: أنه القصد. يقال: حَرَدْتُ حَرْدَكَ، أي: قَصَدْتُ قَصْدَكَ، حكاه الفراء، وأبو عبيدة^(٢)، وابن قتيبة^(٣). وأنشدوا [الرجز]:

قَدْ جَاءَ سَيْلٌ كَانَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
يَحْرُدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغْلَةِ^(٤)

أي: يقصد قصدها. قال ابن قتيبة: وفيه^(٥) لغتان: حَرْدٌ، وَحَرْدٌ، كما يقال: الدَّرَك، والدَّرَك^(٦).

وفي قوله تعالى: ﴿قَادِرِينَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: قادرين على جنتهم عند أنفسهم، قاله قتادة.

والثاني: قادرين على المساكين، قاله الشعبي.

= من أشعار القبائل "هذه الأبيات إلى حريث بن مُحَفَّض.

(١) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٥، و"غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٧٩.

(٢) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٥ - ٢٦٦.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٧٩ - ٤٨٠.

(٤) انظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٦، والبيت دون نسبة عند أبي عبيدة والفراء، ولم يذكره ابن قتيبة.

(٥) في (ر): وفيها.

(٦) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٨٠.

والثالث: أن المعنى: منعوا وهم قادرون؛ أي: واجدون، قاله ابن قتيبة^(١).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ محترقة ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾؛ أي: قد ضللنا طريق جنتنا، فليست هذه. ثم علموا أنها عقوبة، فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾؛ أي: حرمانا ثمر جنتنا بمنعنا المساكين^(٢).

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾؛ أي: أعدلهم، وأفضلهم ﴿لَوْلَا﴾؛ أي: هلاً ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: هلا تستثنون عند قولكم: ﴿لَبَصُرْمُنْهَا مُصْبِحِينَ﴾ قاله ابن جريج، والجمهور.

والمعنى: هلا قلت: إن شاء الله.

قال الزجاج: وإنما قيل للاستثناء: تسبيح؛ لأن التسبيح في اللغة: تنزيه الله عز وجل عن السوء. والاستثناء تعظيم لله، وإقرار بأنه لا يقدر أحد أن يفعل فعلاً إلا بمشيئة الله^(٣).

والثاني: أنه كان استثناءهم قول: "سبحان الله"، قاله أبو صالح.

والثالث: هلاً تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم، حكاه الثعلبي^(٤).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾ فترهوه أن يكون ظالماً فيما صنع،

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٨٠.

(٢) في (ر): المسكين.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٠٩/٥.

(٤) "الكشف والبيان" للثعلبي ١٧/١٠.

وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بمنعنا المساكين. ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَمُوتُونَ﴾؛ أي: يلوم بعضهم بعضاً في منع المساكين حقوقهم، يقول هذا لهذا: أنت أشرت علينا، ويقول الآخر: أنت فعلت، ثم نادوا على أنفسهم بالويل، فقالوا: ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ حين لم نصنع ما صنع آبائنا، ثم رجعوا إلى الله تعالى فسألوه أن يبدلهم خيراً منها، فذلك قوله: ﴿عَنَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾.

[٧٩٦/ب]

وقرأ قوم: "يبدلنا" بالتخفيف، وهما لغتان. وفرق قوم بينهما فقالوا: التبديل: تغيير حال الشيء وصفته والعين باقية.

والإبدال: إزالة الشيء ووضع غيره مكانه. ونُقل أنَّ القوم أخلصوا، فأبدلهم^(١) الله بهاجنة العنقود منها وقر البغل^(٢).

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾؛ أي: كما فعلنا بهم يُفعل بمن تعدى حدودنا. وهاهنا انتهت قصة أهل الجنة.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: المشركين. ثم ذكر ما للمتقين عنده بما بعد هذا، فقال المشركون: إنا لنعطى في الآخرة أفضل مما تعطون، فقال تعالى مكذباً لهم: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ قال الزَّجَّاج: هذه ألف الاستفهام مجازها هاهنا مجاز التوبيخ، والتقرير^(٣).

(١) في (ر): فبدلهم.

(٢) في (ر): بغل.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٠٩/٥.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؛ أَي: كَيْفَ تَقْضُونَ بِالْجَوْرِ، وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ أَنْزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿فِيهِ﴾ هَذَا ﴿تَذَرُومُونَ﴾؛ أَي: تَقْرَءُونَ مَا فِيهِ ﴿إِنَّ لَكُمْ﴾ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ ﴿لَمَّا تَخَيَّرُونَ﴾؛ أَي: مَا تَخْتَارُونَ وَتُسْتَهِنُونَ.

وَقَرَأَ أَبُو الْجَوَازِ، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ، وَأَبُو عِمْرَانَ: "أَنْ لَكُمْ" بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ^(١). وَهَذَا تَقْرِيعٌ لَهُمْ، وَتَوْبِيخٌ عَلَى مَا يَتِمْنُونَ مِنَ الْبَاطِلِ: سَلَامُهُمْ أَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ؟

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَنٌ عَلَيْنَا بِلُغَةٍ﴾؛ أَي: أَلَكُمْ عَهْدٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى حَلْفٌ لَكُمْ عَلَى مَا تَدْعُونَ بِأَيْمَانٍ بِاللُّغَةِ؛ أَي: مُؤَكَّدَةٍ. وَكُلُّ شَيْءٍ مَتَنَاهُ فِي الْجَوْدَةِ وَالصَّحَةِ فَهُوَ بِالْغِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: بِاللُّغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ أَي: تَبْلُغُ تِلْكَ الْأَيْمَانَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي لَزُومِهَا وَتَوْكِيدِهَا.

﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾ لِأَنْفُسِكُمْ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْكَرَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَالْقُرَّاءُ عَلَى رَفْعٍ "بِاللُّغَةِ" إِلَّا الْحَسَنُ فَنَصَبَهَا^(٢) عَلَى مَذْهَبِ الْمَصْدَرِ^(٣)؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَقًّا﴾ [الرُّومُ: ٤٧].

وَمَعْنَى الْآيَةِ: هَلْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِاللُّغَةِ بِأَنْ لَكُمْ مَا تَحْكُمُونَ؟ فَلَمَّا كَانَتْ السَّلَامُ فِي جَوَابِ "إِنْ" كَسَرْتَهَا^(٤).

(١) قِرَاءَةٌ شَاذَةٌ، يَنْظُرُ: "مَخْتَصَرٌ فِي شَوَازِ الْقُرْآنِ" لِابْنِ خَالَوَيْهِ ص ١٦٠ وَنَسَبَهَا لِلْأَعْرَجِ.

(٢) فِي (ر): فَإِنَّهُ نَصَبَهَا.

(٣) قِرَاءَةٌ شَاذَةٌ، يَنْظُرُ: "مَخْتَصَرٌ فِي شَوَازِ الْقُرْآنِ" لِابْنِ خَالَوَيْهِ ص ١٦٠.

(٤) "مَعَانِي الْقُرْآنِ" لِلْفَرَّاءِ ١٧٦/٣.

قوله تعالى: ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الكفيل، قاله ابن عباس، وقتادة.

والمعنى: أيهم كفل بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين من الخير.

والثاني: أنه الرسول، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ يعني: الأصنام التي جعلوها شركاء لله تعالى.

والمعنى: ألهم أرباب يفعلون بهم هذا الذي زعموا. وقيل: يشهدون لهم بصدق ما ادَّعوا.

﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في أنها شركاء الله، وإنما أضيف الشركاء إليهم؛ لادِّعائهم أنها^(١) شركاء الله.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤٢) خَشِيعَةً أَبْصَرُمْ زَهْفَهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِ لَهُمْ إِنَّ كَيِّدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [القلم: ٤٢ - ٤٧].

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ﴾ المعنى: فليأتوا بها يوم يكشف عن ساق.

قرأ الجمهور: "يُكْشَفُ" بضم الياء، وفتح الشين. وقرأ ابن أبي عبلة، وعاصم الجحدري، وأبو الجوزاء، بفتح الياء، وبكسر الشين^(٢).

(١) في (ر): أنهم.

(٢) قراءة شاذة، ذكرها مكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية" ١٢/ ٧٦٤٥.

وقرأ أبو بن كعب، وابن عباس: "تَكْشِف" بقاء مفتوحة، وكسر الشين^(١).

وقرأ ابن مسعود، وأبو مجلز، وابن يعمر، والضحاك: "تَكْشِف"
بنون مفتوحة مع كسر الشين^(٢).

وهذا اليوم هو يوم القيامة، وقد روى عكرمة عن ابن عباس:
﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: يكشف عن شدة، وأنشد [من الرجز]:
وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ^(٣)

وهذا قول مجاهد، وقتادة.

قال ابن قتيبة: وأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى
[٧٩٧/أ] معاناته والجدة فيه، شمر عن ساقه، فاستعيرت الساق في موضع الشدة^(٤)،
هذا قول الفراء، وأبي عبيدة^(٥)، واللغويين.

(١) قراءة شاذة، أخرجها: الفراء في "معاني القرآن" ٣/ ١٧٧، وسعيد بن منصور وعبد
بن حميد وابن منده من طريق عمرو بن دينار عنه، كما في "الدر المنثور" للسيوطي
٨/ ٢٥٥، وذكرها الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٥٩، والثعلبي في "الكشف والبيان"
١٠/ ١٨، ومكي بن أبي طالب في "اهداية إلى بلوغ النهاية" ١٢/ ٧٦٤٥.

(٢) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٠، و"اهداية إلى بلوغ
النهاية" لمكي بن أبي طالب ١٢/ ٧٦٤٥ ونسبها لابن عباس.

(٣) أخرج الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٥٤، والهاكم في "مستدركه" ٢/ ٥٨٧، والواحدي في
"الوسيط" ٤/ ٣٣٩ (١٢٣٠)، والبيت من الرجز لم أقف له على نسبة.

(٤) "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ص ٨٩.

(٥) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٧، و"مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٦.

وقد أضيف هذا الأمر إلى الله تعالى، فروي في "الصحيحين" من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه "يُكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ" ^(١)، وهذه ^(٢) إضافة إليه؛ لأن الكل له وفعله.

وقال أبو عمر الزاهد: الساق ^(٣): يراد بها النفس، ومنه قول علي عليه السلام: أقاتلهم ولو تلفت ساقِي ^(٤)؛ أي: نفسي. فعلى هذا يكون المعنى: يتجلى لهم.

قوله تعالى: ﴿وَيُذْعِنُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾ يعني: المنافقين ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ كأن في ظهورهم سفافيد الحديد.

قال النقاش: وليس ذلك بتكليف لهم أن يسجدوا، وهم عجزة، ولكنه توبيخ لهم بتركهم السجود.

﴿خَشِيعَةً أَبْصَرْتُمْ﴾؛ أي: خاضعة ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾؛ أي: تغشاهم ﴿وَقَدْ كَانُوا يُذْعِنُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾ يعني: بالأذان في دار الدنيا، ويؤمرون بالصلاة المكتوبة.

﴿وَمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: معافون ليس في أصلابهم مثل سفافيد الحديد، وفي هذا وعيد لمن ترك صلاة الجماعة، وكان كعب يقول: والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات ^(٥).

(١) "صحيح البخاري" (٧٤٣٩)، و"صحيح مسلم" (١٨٣).

(٢) في (ر): وهذا.

(٣) ليست في (ر).

(٤) ذكره السيوطي في "الأسماء والصفات" ص ٤٩٩.

(٥) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٢٢/١٠، والبغوي في "معالم التنزيل" ١٤٢/٥.

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن. والمعنى: خل بيني وبينه.

قال الزجاج: أي: لا تشغل قلبك به، كله إلي فأنا أكفيك أمره^(١).

وذكر بعض المفسرين أن هذا القدر من الآية... إلى قوله: ﴿الْحَدِيثِ﴾ منسوخٌ بآية السيف. [وما بعد هذا مفسر في الأعراف [آية: ١٨٢ - ١٨٣]... إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ تَنْتَهِمُ أَجْرًا﴾ فإنها مفسرة والتي قبلها في الطور [آية: ٣٩ - ٤٠].

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (٤٨) ﴿لَوْلَا أَنْ نَدَارِكُهُ نِعْمَةً مِنْ رَبِّهِ، لَنَبَذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ (٤٩) ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ، فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٥٠) ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (٥١) ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٥٢) [القلم: ٤٨ - ٥٢].

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾؛ أي: اصبر على أذاهم لقضاء ربك الذي هو آت. وقيل: معنى الأمر بالصبر منسوخ بآية السيف^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ وهو يونس.

وفيماذا نهي أن يكون فيه^(٣) مثله؟

فيه^(٤) قولان:

أحدهما: أنه العجلة، والغضب، قاله قتادة.

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢١١/٥.

(٢) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) ليست في (ر).

(٤) ليست في (ر).



والثاني: الضعف عن تبليغ الرسالة، قاله ابن جرير^(١).

قال ابن الأنباري: وهذا لا يخرج يونس من أولي العزم، لأنها خطيئة.

وبو قلنا: إنَّ كلَّ مخطئٍ من الأنبياء ليس من أولي العزم، خرجوا كلهم إلا يحيى^(٢). ثم أخبر عن عقوبته إذ لم يصبر، فقال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ قال الزجاج: مملوء غمًا وكرهًا.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكْهُ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن أبي عبيدة: "لولا أن تداركته" بقاء خفيفة، وبقاء ساكنة بعد الكاف مع تخفيف الدال^(٣).

ونقرأ أبو هريرة، وأبو المتوكل: "تداركه" بقاء واحدة خفيفة مع تشديد الدال^(٤).

ونقرأ أبي بن كعب: "تداركه" بقاءين خفيفتين^(٥).

(١) "تفسير الطبري" ٥٦٢/٢٣.

(٢) "الأضداد" لأبي بكر الأنباري ص ٤١٣.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "إعراب القرآن" للنحاس ١٢/٥، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦١.

(٤) قراءة شاذة، ينظر: "إعراب القرآن" للنحاس ١٢/٥ ونسبها للأعرج، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦١، ونسبها للحسن والأعرج.

(٥) قراءة شاذة أيضًا، قال ابن عطية في "المحرر الوجيز": وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس: "تداركته" على إظهار العلامة.

﴿نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ فرحمه بها، وتاب عليه من معاصيه ﴿لَنُذِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ وقد بينّا معنى "العراء" في الصافات [آية: ١٤٥].

ومعنى الآية: أنه نبذ غير مذموم لنعمة الله عليه بالتوبة والرحمة.

وقال ابن جريج: نبذ بالعراء، وهي: أرض المحشر^(١). والمعنى: أنه كان يبقى مكانه إلى يوم القيامة.

﴿فَأَجْنَبَهُ رَبُّهُ﴾؛ أي: استخلصه واصطفاه، وخلّصه من الذم ﴿فَجَعَلَهُ مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ فرد عليه الوحي، وشفعه في قومه ونفسه. [٧٩٧/ب]

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ قرأ الأكثرون بضم الياء من أزلقته، وقرأ أهل المدينة، وأبان: بفتحها؛ من زَلَقْتَهُ [أزْلِقُهُ]^{(٢)(٣)}، وهما لغتان مشهورتان في العرب.

قال الزجاج: يقال: زَلَقَ الرجل رأسه وَأَزْلَقَهُ: إذا حَلَقَهُ^(٤).

وفي معنى الآية للمفسرين قولان:

أحدهما: أن الكفار قصدوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين، وكان فيهم رجل يمكث اليومين والثلاثة لا يأكل شيئاً، ثم يرفع جانب خبائه، فتمر به النعم، فيقول: لم أر كالיום إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه. فما تذهب إلا قليلاً حتى يسقط منها عدة.

(١) ذكره الحافظ عبد الرازق الرسعني في "رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" ص ٣١١.

(٢) من (ر)، و(س).

(٣) قراءة عشرية، ينظر: "الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهذلي ص ٦٥٠.

(٤) لم أجده في "معاني القرآن وإعرابه" له.

فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين، فعصم الله نبيّه، وأنزل هذه الآية، هذا قول الكلبي، وتابعه قومٌ من المفسرين تَلَقُّوا ذلك من تفسيره، منهم الفراء^(١).

والثاني: أنهم كانوا ينظرون إليه بالعداوة نظراً شديداً يكاد يزلقه من شدته؛ أي: يلقيه إلى الأرض. وهذا مستعملٌ في كلام العرب. يقول القائل: نظر إليّ فلان نظراً كاد يصرعني. وأنشدوا [من الكامل]:

يَتَقَارَضُونَ إِذَا التَّقَوْا فِي مَوْطِنٍ نَظَرًا يُزِيلُ مَوَاطِنَ الْأَقْدَامِ^(٢)

أي: ينظر بعضهم إلى بعض نظراً شديداً بالعداوة يكاد يزيل الأقدام، وإلى هذا ذهب المحققون، منهم ابن قتيبة، والزجاج^(٣).

ويدلُّ على صحّته أن الله تعالى قرن هذا النظرَ بسماع القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ والقوم كانوا يكرهون ذلك أشدَّ الكراهة، فيحدُّون النظرَ إليه بالبغضاء، وإصابة العين إنما تكون مع الإعجاب والاستحسان، لا مع البغض، فلا يُظنُّ بالكلبي أنه فهم معنى الآية.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾؛ أي: موعظة.

(١) "معاني القرآن" للفراء ١٧٩/٣.

(٢) البيت من الكامل، ذكره دون نسبة: ابن قتيبة في "تأويل مشكل القرآن" ص ١٠٩، والأزهري في "معاني القراءات" ٨٥/٣، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٢٤/١٠، والواحدي في "البيسط" ١٢٢/٢٢، والسمعاني في "تفسيره" ٣٢/٦، والزمخشري في "الكشاف" ٥٩٧/٤.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢١٢/٥، "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٨٢.

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

وهي مكيةٌ كلها بإجماعهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ ١﴾ مَا الْخَاقَةُ ٢﴿ وَمَا أَذْرَبَكُمْ مَا الْخَاقَةُ ٣﴾ كَذَبَتْ ثُمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤﴿ فَأَمَّا ثُمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ٥﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَارُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ ٧﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتُ بِالْخَاطِئَةِ ٩﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ١٠﴿ إِنَّا لَنَاطِقَا الْمَاءِ حَمَلَتُكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ١١﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَهَا أُذُنٌ وَّعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١ - ١٢].

﴿الْحَاقَّةُ﴾: يوم^(١) القيامة. قال الفراء: إنما قيل لها: حاقة؛ لأن فيها حواق الأمور.

وقال الزجاج: إنما سميت الحاقة؛ لأنها تحق كل إنسان بعمله من خير وشر^(٢).

قوله تعالى: ﴿مَا الْخَاقَةُ﴾ هذا استفهام، معناه التفخيم لشأنها، كما تقول: زيد، وما زيد؟ على التعظيم لشأنه. ثم زاد في التهويل بأمرها، فقال تعالى:

(١) ليست في (ر).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/٢١٣.



﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾؛ أي: لأنك لم تعاننها، ولم تدر ما فيها من الأحوال. ثم أخبر عن المكذبين بها فقال تعالى:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ قال ابن عباس: القارعة: اسم من أسماء يوم القيامة^(١).

قال مقاتل: وإنما سميت بالقارعة؛ لأن الله تعالى يقرع أعداءه بالعذاب^(٢).

وقال ابن قتيبة: القارعة: القيامة؛ لأنها تقرع، يقال: أصابتهم قوارع الدهر^(٣).

وقال الزجاج: لأنها تقرع بالأهوال^(٤). وقال غيرهم: لأنها تقرع القلوب بالفرع.

فأما {الطاغية} ففيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها طغيانهم وكفرهم، قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل^(٥)، وأبو عبيدة^(٦)، وابن قتيبة^(٧).

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣ / ٥٧٠، ٢٤ / ٥٧٣، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨ / ٦٠٥.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤ / ٤٢١.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٥٣٧.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥ / ٣٥٥.

(٥) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤ / ٤٢١.

(٦) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢ / ٢٦٧.

(٧) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٨٣، وذكره عن ابن عباس ومجاهد: الواحدي في "الوسيط" ٤ / ٣٤٣، والماوردي في "النكت والعيون" ٦ / ٧٦.

قال الزجاج: ومعنى الطاغية عند أهل اللغة: طغيانهم و"فاعلة" قد يأتي بمعنى المصادر، نحو عاقبة، وعافية^(١).

والثاني: بالصيحة الطاغية، قاله قتادة. وذلك أنها جاوزت مقدار الصباح فأهلكتهم.

والثالث: أنَّ الطاغية: عاقر الناقة، قاله ابن زيد. [٧٩٨/أ]

والريح الصرصر قد فسرناها في حم السجدة [آية: ١٦].

والعاتية: التي جاوزت المقدار، وجاء في التفسير أنها عتت على خزانها يومئذ، فلم يكن لهم عليها سبيل.

قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أرسلها وسلطها.

والتسخير: استعمال الشيء بالافتقار.

وفي قوله تعالى: ﴿حُسُومًا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: تباعاً، قاله ابن عباس.

قال الفراء: الحسوم: التباع، يقال في الشيء إذا تباع، فلم ينقطع أوله عن آخره: حسوم. وإنما أخذ - والله أعلم - من حسم الداء: إذا كوي صاحبه؛ لأنه يحمى ثم يكوى، ثم يتابع الكي عليه^(٢).

والثاني: كاملة، قاله الضحاك؛ فيكون المعنى: أنها حسمت الليالي

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٣.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٠.

والأيام فاستوفتها على الكمال؛ لأنها ظهرت مع طلوع الشمس، وذهبت مع غروبها.

قال مقاتل: هاجت الريح غدوة، وسكنت بالعشي في اليوم الثامن، وقبضت أرواحهم في ذلك اليوم، ثم بعث الله طيرًا أسود فالتقطهم حتى ألقاهم في البحر^(١).

والثالث: أنها حسمتهم، فلم تبق منهم أحدًا؛ أي: أذهبهم وأفتتهم، هذا قول ابن زيد.

قال الزجاج: وهذا هو الذي توجه اللغة^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا﴾؛ أي: في تلك الليالي والأيام ﴿صَرَعْنِ﴾ وهو جمع صريع؛ لأنهم صرعوا بموتهم.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾؛ أي: أصول نخل ﴿خَاوِيَةٍ﴾؛ أي: بالية، وقد بينا هذا في سورة القمر [آية: ٢٠].

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: من بقاء، قاله الفراء^(٣).

والثاني: من بقية، قاله أبو عبيدة. قال: وهو مصدر كالطاغية^(٤).

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٢٥/٤ - ٢٦.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢١٤).

(٣) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٠.

(٤) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٧.

والثالث: هل ترى لهم من أثر؟ قاله ابن قتيبة^(١).

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، والكسائي، وأبان: بكسر القاف، وفتح الباء. والباقون: بفتح القاف، وإسكان الباء^(٢).

فَمَنْ كسر القاف أراد: مَنْ يليه ويحفّ به من جنوده وأتباعه. وَمَنْ فتحها أراد: مَنْ كان قبله من الأمم الكافرة.

وفي "المؤتفكات" ثلاثة أقوال:

أحدها: قرى قوم لوط. والمعنى: وأهل المؤتفكات، قاله الأكثرون.

والثاني: أنهم الذين اتفكوا بذنوبهم؛ أي: هلكوا بالذنوب التي معظمها الإفك. وهو الكذب، قاله الزجاج^(٣).

والثالث: أنه قارون وقومه، حكاه الماوردي^(٤).

قوله تعالى: ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: بالذنوب^(٥). وقال الزجاج: الخاطئة: الخطأ العظيم^(٦).

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٨٣.

(٢) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٤٨، و"معاني القراءات" للأزهري ٨٦/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣١٤/٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧١٨.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢١٥/٥.

(٤) "النكت والعيون" للماوردي ٧٨/٦.

(٥) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٨٣.

(٦) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢١٥/٥.

قوله تعالى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: كذبوا رسلهم ﴿فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَابِيَةً﴾؛ أي: زائدة على الأحداث.

﴿إِنَّا لَمَاطِعَا الْمَاءِ﴾؛ أي: تجاوز حده حتى علا على كل شيء في زمن نوح ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ يعني: حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم ﴿فِي الْبَارِيَةِ﴾ وهي السفينة التي تجري في الماء ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾؛ أي: لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا من إغراق قوم نوح، ونجاة من حملنا معه ﴿نَذِيرَةً﴾؛ أي: عبرة، وموعظة ﴿وَعِبَاءً أُنْذِرُكُمْ﴾؛ أي: أذن تحفظ ما سمعت، وتعمل به.

وقال الفراء: لتحفظها كل أذن، فتكون عظة لمن يأتي بعده^(١).

﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣) ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ (١٤) ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (١٥) ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ (١٦) ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ (١٧) ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (١٨) ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِرَبِّهِ، فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِيبَةُ﴾ (١٩) ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِيَّةٌ﴾ (٢٠) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٢١) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ (٢٢) ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (٢٣) ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِرَبِّهِ، فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَزَأْتُ كِتَابِيَّةً﴾ (٢٤) ﴿وَلَرَأَيْتُ مَا جِئْتُ بِهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ (٢٥) ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ (٢٦) ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ (٢٧) ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ (٢٨) ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ (٢٩) ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٣٠) ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (٣١) ﴿وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ (٣٢) ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾ (٣٣) ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ (٣٤) ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (٣٥)

[الحاقة: ١٣ - ٣٧].

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨١.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً﴾ وفيها قولان:

أحدهما: أنها النفخة الأولى، قاله عطاء.

والثاني: الأخيرة، قاله ابن السائب، ومقاتل^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾؛ أي: حملت الأرض والجبال وما

[٧٩٨/ب]

فيها.

﴿فَذُكِّنَا ذِكَّةً وَاحِدَةً﴾؛ أي: كسرتا، ودقتا دقة واحدة، لا يثنى عليها حتى تستوي بما عليها من شيء، فتصير كالأديم الممدود، وقد أشرنا إلى هذا المعنى في الأعراف عند قوله تعالى: ﴿جَعَلَهُ ذِكًّا﴾ [آية: ١٤٣].

قال الفراء: وإنما قال: فذكتا، ولم يقل: فذُكِّنَا؛ لأنه جعل الجبال كالشيء الواحد؛ كقوله تعالى: ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْما رَتْقًا﴾ [الأنبياء: ٣٠]^(٢)، وأنشدوا [من الطويل]:

هُمَا سَيِّدَانَا يَزْعُمَانِ وَإِنَّمَا يَسُودَانِنَا أَنْ يَسَرَّتْ غَنَمُهُمَا^(٣)

والعرب تقول: قد يسرت الغنم: إذا ولدت، أو تهيأت للولادة.

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/٤٢٢، وذكره عن ابن السائب الكلبي: الواحد في "الوسيط" ٤/٣٤٥، و"البيوط" ٢٢/١٥٣.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/١٨١.

(٣) البيت من الطويل، وقائله هو أبو سيدة الدبيري كما في: "لسان العرب" لابن منظور ٥/٢٩٥، و"عمدة الحفاظ" للسمين الحلبي ٤/٣٥٥، و"المقاصد النحوية" للعيني ٢/٨٥٨، و"شرح التصريح على التوضيح" للشيخ خالد الأزهرى ١/٣٦٩.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾؛ أي: قامت القيامة ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ لنزول مَنْ فيها من الملائكة.

﴿فَبِئْسَ يَوْمِئِذٍ وَابِئْسَ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنْ وَهَيْهَا ضَعْفُهَا وَتَمَزَّقُهَا مِنَ الْخَوْفِ، قَالَهُ مُقَاتِلُ.

والثاني: أَنَّهُ تَشَقَّقُهَا، قَالَهُ الْفَرَاءُ^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْمَلَكُ﴾ يعني: الملائكة، فهو اسم جنس ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾؛ أي: على جوانبها.

قال الزجاج: وَرَجَا كُلُّ شَيْءٍ: نَاحِيَتُهُ، مَقْصُورٌ. وَالتَّشْيِيعُ: رَجْوَانٌ، وَالْجَمْعُ: أَرْجَاءُ^(٢).

وأكثر المفسرين على أَنَّ الْمَشَارَ إِلَيْهَا السَّمَاءُ.

قال الضَّحَّاكُ: إِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى حَافَتِهَا حَتَّى يَأْمُرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَيَنْزِلُونَ إِلَى الْأَرْضِ، فَيُحِيطُونَ بِهَا، وَمَنْ عَلَيْهَا^(٣).
وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: على أَرْجَاءِ الدُّنْيَا^(٤).

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨١.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٦.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٨١، ٢٤/ ٤١٨.

(٤) ذكره مكِّي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية" ١٢/ ٧٦٧٤.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَحِلُّ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: فوق رؤوسهم؛ أي: أن العرش على رؤوس الحملة، قاله مقاتل^(١).

والثاني: فوق الذين على أرجائها؛ أي: أن حملة العرش فوق الملائكة الذين هم على أرجائها.

والثالث: أنهم فوق أهل القيامة، حكاهما الماوردي^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِوَيْدٍ﴾؛ أي: يوم القيامة ﴿ثَمْنِيَّةٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ثمانية أملاك، وجاء في الحديث أنهم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أمدهم^(٣) الله بأربعة أملاك آخرين، هذا قول الجمهور.

والثاني: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل، قاله ابن عباس، وابن جبير، وعكرمة.

والثالث: ثمانية أجزاء من الكروبيين لا يعلم عددهم إلا الله، قاله مقاتل^(٤).

وقد روى أبو داود في "سننه" من حديث جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ [أنه]^(٥) قال: "أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ١٠٨/٥.

(٢) "النكت والعيون" للماوردي ٨٢/٦.

(٣) في الأصل: أمرهم، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤٢٣/٤.

(٥) من (ر).

حَمَلَةَ الْعَرْشِ، أَنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ^(١).
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْفُجَاءُ﴾ عَلَى اللَّهِ حِسَابُكُمْ ﴿لَا تَخْفَى﴾ عَلَيْهِ،
وَقَرَأَ هَمْزَةً، وَالْكَسَائِيُّ: "لَا يَخْفَى" بِالْيَاءِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِالتَّاءِ^(٢).

وَالْمَعْنَى: لَا يَخْفَى عَلَيْهِ ﴿مِنْكَرَ خَافِيَةٍ﴾؛ أَي: نَفْسُ خَافِيَةٍ، أَوْ فَعْلَةٍ
خَافِيَةٍ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ؛ فَأَمَّا عَرَضَتَانِ فَجِدَالٌ، وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ،
فَعِنْدَهَا تَتَطَايَرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ"^(٣).

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قُلْ أَنْ تَحَاسِبُوا، وَزَنُوهَا
قَبْلَ أَنْ تَوْزَنُوا، وَتَزِينُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ، يَوْمَئِذٍ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ^(٤).

(١) "سنن أبي داود" (٤٧٢٧)، قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" ٨/ ٦٦٥: إسناده على شرط الصحيح.

(٢) قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٤٨، و"معاني القراءات"
للأزهري ٣/ ٨٦، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي فارسي ٦/ ٣١٥، و"حجة القراءات"
لابن زنجلة ص ٧١٨.

(٣) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" ٢/ ١١٧، وأحمد في "مسنده" ٣٢/ ٤٨٦ (١٩٧١٥)، وابن
ماجه في "سننه" (٤٢٧٧)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"
٦/ ١٢٥٥ (٢٢٣٠)، والبغوي في "شرح السنة" ١٥/ ١٤٣ (٤٣٢٨) كلهم من طريق
الحسن عن أبي موسى. قال البوصيري في "مصابيح الزجاجة" ٤/ ٢٥٤: هذا إسناد
رجاله ثقات إلا أنه منقطع؛ الحسن لم يسمع من أبي موسى. قاله علي بن المديني وأبو
حاتم وأبو زرعة، رواه أبو بكر بن أبي شيبة في "مسنده" بإسناده ومثله، وله شاهد
من حديث الحسن عن أبي هريرة رواه الترمذي، وقال: لم يسمع الحسن من أبي هريرة.
(٤) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" ١/ ١٠٣ (٣٠٦)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٩/ ١٤٣
(٣٥٦٠)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" ١/ ٥٢، وضعفه الألباني في "الضعيفة" (١٢٠١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: "هَؤُلَاءِ" أَمْرٌ [مِنْ] ^(١) الْجَمَاعَةِ. بِمَنْزِلَةِ هَاكِمٍ. تَقُولُ لِلوَاحِدِ: هَا يَارَجُلُ، وَلِلثَنَيْنِ: هَؤُلَاءِ يَارَجُلَانِ. وَلِلثَلَاثَةِ: هَؤُلَاءِ يَارِجَالٍ ^(٢).

قَالَ الْمَفْسُورُونَ: إِنَّمَا يَقُولُ هَذَا ثِقَةً بِسَلَامَتِهِ وَسُرُورًا بِنَجَاتِهِ. وَذَكَرَ [٧٩٩/أ] مُقَاتِلٌ أَنَهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾؛ أَي: عَلِمْتُ وَأَيَقَنْتُ فِي الدُّنْيَا ﴿أَنِّي مُلَوِّحٌ حِسَابِيَّةٌ﴾؛ أَي: أُبْعِثُ وَأَحْسَابُ فِي الْآخِرَةِ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ﴾؛ أَي: حَالَةٍ مِنَ الْعَيْشِ ﴿رَاضِيَةٍ﴾ قَالَ الْفَرَّاءُ: أَي: فِيهَا الرِّضَى ^(٤).

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَي: ذَاتُ رِضَى يَرْضَاهَا مَنْ يَعِيشُ فِيهَا ^(٥). وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَجَازُهَا مَجَازُ مَرْضِيَّةٍ ^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾؛ أَي: عَالِيَةِ الْمَنَازِلِ ﴿قُطُوفُهَا﴾؛ أَي: ثَمَارُهَا ﴿دَانِيَةً﴾؛ أَي: قَرِيبَةً مِمَّنْ يَتَنَاوَلُهَا، وَهِيَ جَمْعُ قُطْفٍ.

وَالْقُطْفُ: مَا يَقْطَفُ مِنَ الثَّمَارِ. قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: يَتَنَاوَلُ

(١) مِنْ (ر).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢١٧/٥.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤٢٣/٤.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ١٨٢/٣.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٣٥٥/٥.

(٦) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢٦٨/٢.



الرجل^(١) الثمرة وهو نائم^(٢).

قوله تعالى: ﴿كُلُوا﴾؛ أي: يقال لهم: كلوا ﴿وَأَشْرُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾؛ أي: قدمتم من الأعمال الصالحة ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾: الماضية، وهي أيام الدنيا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كَنِبَهُ بِشِمَالِهِ﴾ قال مقاتل: نزلت في الأسود بن عبد الأسد، قتله حمزة بيدر، وهو أخو أبي سلمة^(٣). وقيل: نزلت في أبي جهل.

قوله تعالى: ﴿فَقَوْلُ بَلِيَّتِي لَزَأَتْ كَنِيَّةً﴾ وذلك لما يرى فيه من القبائح ﴿وَلَزَأَتْ مَاحِصِيَّةً﴾؛ لأنه لا حاصل له في ذلك الحساب. إنما كله عليه. وكان ابن مسعود وقتادة، ويعقوب، يحذفون الهاء من "كتاييه" و"حسابيه" في الوصل^(٤).

قال الزجاج: والوجه أن يوقف على هذه الهآت، ولا توصل؛ لأنها أدخلت للوقف، وقد حذفها قوم في الوصل، ولا أحب مخالفة المصحف، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَنَّاكَ مَا هِيَّةً﴾ [القارعة: ١٠]^(٥).

(١) ليست في (ر).

(٢) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" ١/ ٥١١ (١٤٥٤)، وابن الجعد في "مسنده" (٤٣٥)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٨٦، والواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٤٦-٣٤٧ (١٢٣٤).

(٣) "تفسير مقاتل" ٤/ ٤٢٣.

(٤) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦١ ونسبها لابن محيصن.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٧.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلِّغْتَهَا﴾ يعني: الموتة التي ماتها في الدنيا ﴿كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ أي القاطعة للحياة، فكأنه تمنى دوام الموت، وأنه لم يبعث للحساب.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: ضلت عني حجتي، قاله مجاهد، وعكرمة، والضحاك، والسدي.

والثاني: زال عني ملكي، قاله ابن زيد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خُذُوهُ﴾ أي: يقول الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَعُولُهُ﴾ أي: اجمعوا يده إلى عنقه ﴿ثُمَّ لَنَحْجِمْ صَوُّهُ﴾ أي: أدخلوه النار. وقال الزجاج: اجعلوه يصل النار^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ﴾ وهي حلق منتظمة ﴿ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ قال ابن عباس: بذراع الملك^(٢).

وقال نوف الشامى: كل ذراع سبعون باعًا، الباع أبعد مما بينك وبين مكة، وكان في رحبة الكوفة^(٣). وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعًا^(٤).

وقال مقاتل: ذرعها سبعون ذراعًا بالذراع الأول^(٥). ويقال: إن جميع أهل النار في تلك السلسلة.

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢١٨/٥.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٥٨٩/٢٣.

(٣) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" ٨٣/٢، وعبد الرزاق في "تفسيره" ٣٤٣/٣ (٣٣١٦)، والطبري في "تفسيره" ٥٨٩/٢٣.

(٤) ذكره البغوي في "معالم التنزيل" ١٤٨/٥.

(٥) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤٢٤/٤.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَسْلُكُوهُ﴾؛ أي: أدخلوه. قال الفراء: وذكر أنها تدخل في دبر الكافر فتخرج من رأسه، فذلك سلكه فيها^(١).

والمعنى: ثم اسلكوا فيه السلسلة، ولكن العرب تقول: أدخلت رأسي في القلنسوة، وأدخلتها في رأسي. ويقال: الخاتم لا يدخل في يدي، وإنما اليد تدخل في الخاتم، وإنما استجازوا ذلك، لأن معناه معروف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾؛ أي: لا يصدق بوحدانيته وعظمته.

﴿وَلَا يَخْضَعُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾؛ أي: لا يطعمه، ولا يأمر بإطعامه ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ مِنْهُمْ نَاحِمٌ﴾؛ أي: قريب ينفعه، أو^(٢) يشفع له.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه صديد أهل النار، قاله ابن عباس^(٣).

[٧٩٩/ب]

قال مقاتل: إذا سال القيح، والدم، بادروا أكله قبل أن تأكله النار^(٤).

والثاني: شجر يأكله أهل النار، قاله الضحاك، والربيع.

والثالث: أنه غسالة أجوافهم، قاله يحيى بن سلام.

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٢.

(٢) في (ر): أي.

(٣) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" ٨/ ٢٧٥، والطبري في "تفسيره" ٥٩١/ ٢٣.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٢٤.

قال ابن قتيبة: وهو "فعلين" من "غسلت" كأنه الغسالة^(١).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ يعني: الكافرين.

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ (٤٢) نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) [الحاقة: ٣٨ - ٤٣].

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ "لا": ردّ لكلام [المشركين]^(٣)، كأنه قيل: ليس الأمر كما يقول المشركون ﴿أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿وقال قوم: "لا" زائدة مؤكدة.

والمعنى: أقسم بما ترون، وما لا ترون، وأراد جميع الموجودات. وقيل: الأجسام والأرواح.

﴿إِنَّهُ﴾ يعني: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: محمد ﷺ، قاله الأكثرون.

والثاني: جبريل، قاله ابن السائب، ومقاتل^(٤).

قال ابن قتيبة: لم يرد أنه قول الرسول، وإنما أراد أنه قول الرسول عن الله تعالى، ففي الرسول ما يدل على ذلك، فاكتمى به من أن يقول

(١) في (ر): غسالة.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٨٤.

(٣) من (ر)، و(س)، و(م).

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٢٥، وذكره عن ابن السائب الكلبي: الواحد في "السيط" ١٨٦/ ٢٢، والماوردي في "النكت والعيون" ٨٦/ ٦، ٢١٨.

عن الله تعالى^(١).

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ وقرأ ابن كثير: "يؤمنون" و"يذكرون" بالياء فيهما^(٢).

قال الزجاج: "مَا": مؤكدة، وهي لغو في باب الإعراب^(٣). والمعنى: قليلاً تؤمنون.

وقال غيره: أراد نفي إيمانهم أصلاً. وقد بينّا معنى "الكاهن" في الطور.
قال الزجاج: وقوله تعالى: ﴿نَزِيلٌ﴾ مرفوع بـ"هو" مضمرة يدلُّ عليها قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ هو تنزيل^(٤).

﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ﴾ (١٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (١٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (١٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَنِيزِينَ (١٧) وَإِنَّهُ لِلذِّكْرِ لِلْمُنْفِقِينَ (١٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (١٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٢١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٥٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا﴾؛ أي: لو تكلف محمدٌ ﷺ أن يقول علينا ما لم نقله ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾؛ أي: لأخذناه بالقوة والقدرة، قاله الفراء.

(١) "غيب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٨٤.

(٢) قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٤٨، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٨٧، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣١٥، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٢٠.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٨.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٨.

والمبرد، والزجاج^(١).

قال ابن قتيبة: إنما أقام اليمين مقام القوة؛ لأن قوة كل شيء في ميامنه^(٢).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع بطلت القوى: ومات صاحبه.

قال أبو عبيدة: الوتين: نياط القلب، وأنشد الشماخ^(٣) [من الوافر]:

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلَتْ رَحِيلِي^(٤) عَرَابَةٌ فَاشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ^(٥)

وقال الزجاج: الوتين: عرق أبيض غليظ كأنه قصبة^(٦).

قوله تعالى: ﴿فَمَا يَنْكُرَيْنِ أَحَدَهُ حَجْرَيْنِ﴾؛ أي: ليس منكم أحدٌ يحجزنا عنه، وإنما قال تعالى: ﴿حَجْرَيْنِ﴾؛ لأن أحداً يقع على الجمع؛ كقوله تعالى: ﴿لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، هذا قول الفراء، وأبي عبيدة، والزجاج^(٧).

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٣، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٨، و"الكامل في اللغة والأدب" للمبرد ١/ ١٠٨.

(٢) "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ص ٩٩.

(٣) في (ر): للشماخ.

(٤) في الأصل: رجلي، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٣/ ٢٦٨، والبيت من الوافر، وهو في "ديوان الشماخ بن ضرار" ص ٣٢٣، وفيه: (حططت)، بدل (حملت).

(٦) لم أجده في "معاني القرآن وإعرابه" له.

(٧) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٣١٠، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٨، و"معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٣.

ومعنى الكلام: أنه لا يتكلف الكذب لأجلكم مع علمه أنه لو تكلف ذلك لعاقبناه، ثم لم يقدر على دفع عقوبتنا عنه.

﴿وَإِنَّهُ﴾ يعني: القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ في يوم القيامة، يندمون إذ لم يؤمنوا به.

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ إضافة إلى نفسه لاختلاف اللفظين؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وقال الزجاج: المعنى: وإنه لليقين حق اليقين^(١). وقد شرحنا هذا المعنى، وما بعده في الواقعة.

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢١٨/٥.

سورة سأل سائل^(١)

ويقال لها: سورة المعارج، ويقال لها: سورة الواقع.
وهي مكيةٌ كلها بإجماعهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَبِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْتَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبْصَرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبُّوْنَ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْنَى ﴿١٥﴾ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ تَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾﴾ [المعارج: ١ - ١٨].

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾.

قال المفسرون: نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وهذا مذهب الجمهور، منهم ابن عباس، ومجاهد.

وقال الربيع بن أنس: هو أبو جهل^(٢).

قرأ أبو جعفر ونافع، وابن عامر: "سأل" بغير همز. والباقون

(١) في (ر): المعارج.

(٢) ذكره القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ٢٧٩/١٨.



بأهمز^(١). فمن قرأ: "سأل" بأهمز ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: دعا داع على نفسه بعذاب واقع.

والثاني: سأل سائل عن عذاب واقع لمن هو؟ وعلى من ينزل؟ ومتى يكون؟ وذلك على سبيل الاستهزاء، فتكون الباء بمعنى "عن"، وأنشدوا [من الطويل]:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي
خَبِيرٌ بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبٌ^(٢)

والثالث: سأل سائل عذاباً واقعاً، والباء زائدة.

ومن قرأ: "سال" بلاهمز ففيه قولان:

أحدهما: أنه من السؤال أيضاً، وإنما لين الهمزة، يقال سأل، وسال، وأنشد الفراء [من الطويل]:

تَعَالَوْا فَسَالُوا يَغْلَمِ النَّاسُ أَينَا
لِصَاحِبِهِ فِي أَوَّلِ الدَّهْرِ تَابِعٌ^(٣)

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥٠، و"معاني القراءات" للأزهري ٨٨/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣١٧/٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٢٠.

(٢) البيت لعلمقة بن عبدة الفحل، كما في: "الأضداد" لأبي بكر الأنباري ص ٢٣٢، و"الاختيارين" للأخفش الأصغر ص ٦٤٩، و"عيون الأخبار" لابن قتيبة ٤٦/٤، و"التمثيل والمحاضرة" لأبي منصور الثعالبي ص ٥٤.

(٣) "كتاب فيه لغات القرآن" للفراء ص ٢٦، والبيت من الطويل، ينظر: "شرح نقائض جرير والفرزدق" لأبي عبيدة ٨٢٥/٣، و"الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني ٣٤٠/١٢.

والثاني: أنَّ^(١) المعنى: سال وإِد في جهنم بالعذاب للكافرين، وهذا قول زيد بن ثابت، وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن، وكان ابن عباس في آخرين يقرؤون: "سَال سَايل"^(٢) "بفتح السين، وسكون الياء من غير ألف ولا همز"^(٣).

وإذا قلنا: إنَّه من السؤال؛ فقلوه تعالى: "للكافرين" جوابٌ للسؤال، كأنَّه لما سأل: لمن هذا العذاب؟ قيل: للكافرين.

والواقع: الكائن، والمعنى: أنَّ العذاب للذي سأله هذا الكافر كائن لا محالة في الآخرة.

﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾^(٤) مِنْ اللَّهِ ﴿قَالَ الزَّجَّاجُ: المعنى: ذلك العذاب واقعٌ مِنْ الله بالكافرين^(٥)﴾.

قوله تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّها السموات، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: هي معارج الملائكة^(٦). قال ابن قتيبة: وأصل المعارج الدَّرَج، وهي من عرج: إذا صعد^(٧).

(١) ليست في (ر).

(٢) في (ر): سيل.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٢.

(٤) في (ر): للكافرين.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢١٩/٥.

(٦) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٣٥/٠، والواحدي في "البيضا" ٢٢/٢٠٥.

(٧) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٨٥.

قال الفرّاء: لما كانت الملائكة تعرج إليه، وَصَفَ نَفْسَهُ بذلك^(١).

قال الخطّابي: المعارج: الدّرج، واحدها معرج، وهو المصعد، فهو الذي يُصعدُ إليه^(٢) بأعمال العباد، وبأرواح المؤمنين. فالمعارج: الطرائق التي يصعد فيها^(٣).

والثاني: أن المعارج: الفواضل والنعم. قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قرأ الكسائي: "يعرج" بالياء^(٤).

﴿وَالرُّوحُ﴾ في "الروح" قولان:

أحدهما: جبريل، قاله الأكثرون.

والثاني: روح الميت حين تقبض، قاله قبيصة بن ذؤيب.

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الله عزّ وجلّ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ

أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنّه يوم القيامة، قاله ابن عباس، والحسن، وقاتدة، والقرظي.

(١) "معاني القرآن" للفرّاء ٣/ ١٨٤.

(٢) في الأصل: فيه، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) "شأن الدعاء" للخطّابي ص ١٠٤.

(٤) قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥٠، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٨٩، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣١٨، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٢١.

وهذا هو مقدار يوم القيامة من وقت البعث إلى أن يفصل بين الخلق، وفي الحديث: "إِنَّهُ لِيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ"^(١)، وقيل: بل لَوْ لِي حساب الخلق سوى الله عز وجل لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة، والحق يفرغ منه في ساعة من نهار.

وقال عطاء: يفرغ الله من حساب الخلق في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا^(٢).

فعلى هذا يكون المعنى: ليس دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وقيل: المعنى: سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره [٨٠٠/ب] خمسين ألف سنة. فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير.

والثاني: أن مقدار صعود الملائكة من أسفل الأرض إلى العرش لو صعدوا غيرهم قطعه في خمسين ألف سنة، وهذا معنى قول مجاهد.

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ﴾ أي: اصبر على تكذيبهم إياك ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾ لا جزع فيه، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم، ثم نسخ هذا^(٣) بآية السيف.

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" ٢٤٦/١٨ (١١٧١٧)، وأبو يعلى في "مسنده" ٥٢٧/٢ (١٣٩٠)، والطبري في "تفسيره" ٦٠٢/٢٣، والبخاري في "شرح السنة" ١٢٩/١٥ (٤٣١٨)، و"معالم التنزيل" ١٥٢-١٥١/٥ (٢٢٧٠) من حديث أبي سعيد. وصححه ابن حبان ٣٢٩/١٦ (٧٣٣٤)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٣٣٧/١٠: رواه أحمد، وأبو يعلى، وإسناده حسن على ضعف في روايه.

(٢) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٣٥١/٤، والبخاري في "معالم التنزيل" ١٥٢/٥.

(٣) ليست في (ر).

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ يعني: العذاب ﴿بَعِيدًا﴾ غير كائن ﴿وَزَنَّهُ قَرِيبًا﴾ كائنًا؛ لأنَّ كلَّ ما هو آتٍ قريبٌ، ثم أخبر متى يكون فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ وقد شرحناه في الكهف.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ أي: كالصوف، فشبهها في ضعفها ولينها بالصُّوف. وقيل: شبهها به في خفتها وسيرها؛ لأنَّه قد نقل أنها تسير على صورها، وهي كالهباء.

قال الزَّجاج: "العهن" الصُّوف. واحدته: عهنة، ويقال: عهنة، وعهن؛ مثل: صوفة وصوف^(١). وقال ابن قتيبة: العهن: الصوف المصبوغ^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَلْ حِمِيًّا حَمِيمًا﴾ قرأ الأكثرون: "يسأل" بفتح الياء^(٣)، والمعنى: لا يسأل قريباً عن قرابته، لاشتغاله بنفسه.

وقال مقاتل: لا يسأل الرجل قرابته، ولا يكلمه من شدة الأهوال^(٤).

وقرأ معاوية، وأبو رزين، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وابن محيصن، وابن أبي عبله، وأبو جعفر: بضمَّ الياء^(٥).

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٣٥٥/٥.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٥٣٧.

(٣) قراءة سبعة قرأها ابن كثير في رواية قبل، والباقون، ينظر: "السبعة" لابن خالويه ص ٦٥٠، و"معاني القراءات" للأزهري ٨٩/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٢٠/٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٢٢.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤٣٦/٤.

(٥) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٢.

والمعنى: لا يُقال للحميم: أين حميمك؟.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾؛ أي: لا^(١) يعرف الحميمُ حميمه حتى يُعرِّفه، وهو مع ذلك لا يسأل عن شأنه. ولا يكلمه اشتغالا بنفسه، يقال: بَصَّرْتُ زيدا كذا: إذا عَرَفْتَهُ إِياه.

قال ابن قتيبة: معنى الآية: لا يسأل ذو قرابة عن قرابته، ولكنهم يبصرونهم؛ أي: يعرفونهم^(٢).

وقرأ قتادة، وأبو المتوكل، وأبو عمران: "يُبْصِرُونَهُمْ" بإسكان الباء، وتخفيف الصَّاد وكسرها^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُودُّ الْمُجْرِمَ﴾ يعني: يتمنى المشرك لو قُبِلَ منه الفداء ﴿يَوْمَئِذٍ بَيْنَهُ﴾^(٤) وَصَجَّتِهِ، وهي: الزوجة ﴿وَفَصَّلَتْهُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عشيرته^(٥). وقال الزَّجَّاج: هي أدنى قبيلته منه^(٦)، ومعنى ﴿تُؤْوِيهِ﴾ تضمه، فيود أن يفتدي بهذه المذكورات. ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ ذلك الفداء.

﴿كَأَنَّ﴾ لا ينجيه ذلك ﴿إِنَّمَا ظَنَى﴾ قال الفراء: هو اسم من أسماء جهنم؛ فلذلك لم يُجَرَّ^(٧).

(١) ليست في (ر).

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٨٥.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٢.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٨٥.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٢٠ / ٥.

(٦) "معاني القرآن" للفراء ٣ / ١٨٤.

وقال غيره: معناها في اللغة: اللهب الخالص. وقال ابن الأنباري: سميت لظي لشدة توقدها وتلهبها، يقال: هو يتلظى؛ أي: يتلهب ويتوقد. وكذلك النار تتلظى يراد بها هذا المعنى، وأنشدوا [من الطويل]:

جَحِيمًا تَلْظِي لَا تُفَرِّ سَاعَةً وَلَا الْحَرُّ مِنْهَا غَابِرَ الدَّهْرِ يَبْرُدُ^(١)

﴿نَزَاعَةُ الشَّوَى﴾ قرأ الجمهور: "نزاعة للشوى" بالرفع على معنى: هي نزاعة. وقرأ عمر بن الخطاب، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، ومجاهد، وعكرمة، وابن أبي عبله، وحفص عن عاصم: "نَزَاعَةٌ" بالنصب^(٢).

قال الزجاج: وهذا على أنها حال مؤكدة؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [فاطر: ٣١]، ويجوز أن ينصب على معنى: "إنها تتلظى نزاعة"^(٣).

وفي المراد بـ"الشوى" أربعة أقوال:

أحدها: جلدة الرأس، قاله مجاهد.

والثاني: محاسن الوجه، قاله الحسن، وأبو العالية.

والثالث: العصب والعقب، قاله ابن جبير.

(١) "الزاهر في معاني كلمات الناس" لأبي بكر الأنباري ١٤٧/٢، والبيت من الطويل، ولم أجد من نسبه، وهو في "المذكر والمؤنث" لأبي بكر الأنباري أيضًا ٥٠٠/١.

(٢) كلتا القراءتين سبعة، الأولى متواترة، والثانية آحاد؛ بالرفع قرأ الجمهور وأبو بكر عن عاصم، وبالنصب قرأ حفص عنه، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥٠-٦٥١، و"معاني القراءات" للأزهري ٩٠/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣١٩/٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٢٣.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٢١/٥.

[٨٠١/أ] والرابع: الأطراف: اليدان، والرجلان، والرأس، قاله الفراء والزجاج^(١).

قوله تعالى: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الإيخان ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ عن الحق.

قال المفسرون: تقول: إليّ يا مشرك، إليّ يا منافق. ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ قال الفراء: أي: جمع المال في وعاء فلم يؤد منه زكاة، ولم يصل منه رحماً^(٢).

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُسْلِمِينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (٣٥) قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِلكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿المعارج: ١٩ - ٤٢﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ قال مقاتل: عنى به أمية بن خلف الجمحي^(٣).

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٥، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٢١.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٥.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٣٧.

وفي الهلوع سبعة أقوال:

أحدها: أنه الموصوف بما يلي هذه الآية، رواه عطية عن ابن عباس. وبه قال أبو عبيدة، والزجاج^(١).

والثاني: أنه الحريص على ما لا يحلُّ له، رواه أبو صالح، عن ابن عباس^(٢).

والثالث: البخيل، قاله الحسن، والضحاك.

والرابع: الشحيح، قاله ابن جبير.

والخامس: الشره، قاله مجاهد.

والسادس: الضجور، قاله عكرمة، وقتادة، ومقاتل، والفراء^(٣).

والسابع: الشديد الجزع، قاله ابن قتيبة^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾؛ أي: أصابه الفقر ﴿جَزُوعًا﴾ لا يصبر، ولا يحتسب ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾ أصابه المال ﴿مَنُوعًا﴾ بمنعه من حقِّ الله عز وجل ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ وهم أهل الإيمان بالله. وإنما استثنى الجمع من الإنسان؛ لأنه اسم جنس.

(١) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٠، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٢٢، وأخرجه عن ابن عباس: الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٦١٠.

(٢) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ٣٩، وذكره البغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٥٣.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٣٧، و"معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٥.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٨٦.

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ وفيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الذين يحافظون على المكتوبات، وهو معنى قول ابن مسعود.

والثاني: أنهم الذين لا يلتفتون عن أيمانهم وشمائلهم في الصلاة، قاله عقبة بن عامر. واختاره الزجاج، قال: ويكون اشتقاقه من الدائم، وهو الساكن، كما [جاء] ^(١) في الحديث أنه نهى عن البول في الماء الدائم ^(٢).

والثالث: أنهم الذين يكثر فعل التطوع، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ قد سبق شرح هذه الآية والتي بعدها في الذاريات [آية: ١٩] وبيننا معنى يوم الدين في "الفاتحة" وما بعد هذا قد شرحناه في المؤمنين... إلى قوله تعالى: "لأماناتهم" قرأ ابن كثير وحده: "لأمانتهم" ^(٣).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: "بشهادتهم" على التوحيد. وقرأ حفص عن عاصم "بشهاداتهم" جمعاً ^(٤).

(١) من (ر)، و(م).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٢٢/٥، والنهي عن البول في الماء الدائم أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٣٩)، ومسلم في "صحيحه" (٢٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٣) قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥١، و"معاني القراءات" للأزهري ٩١/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٢١/٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٢٤.

(٤) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥١، و"معاني"



قوله تعالى: ﴿قَائِمُونَ﴾^(١) أي: يقيمون^(٢) فيها بالحق، ولا يكتُمونها.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكُمْ مُطْعِمِينَ﴾ نزلت في جماعة من الكفار جلسوا حول رسول الله ﷺ يستهزئون بالقرآن، ويكذبون به.

قال الزجاج: والمهطع: المقبل يبصره على الشيء لا يزايله، وكانوا ينظرون إلى النبي نظرَ عداوة^(٣). وقد سبق الخلافُ في قوله تعالى: ﴿مُطْعِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ قال الفراء: العزون: الحلق، الجماعات، واحدها: عزة، وكانوا يجتمعون حول النبي ﷺ فيقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة، كما يقول محمد ﷺ فلندخلنها قبلهم، فنزل قوله تعالى: ﴿أُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾^(٤).

وقرأ ابن مسعود، والحسن، وطلحة بن مُصَرِّف، والأعمش، والمفضل عن عاصم: "أَنْ يُدْخَلَ" بفتح الياء، وضم الخاء^(٥).

وقال أبو عبيدة: عزين: جمع عزة، مثل ثبة، وثبين، فهي جماعات في تفرقة^(٥).

=القراءات" للأزهري ٩١/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٢٢/٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٢٤.

(١) في (ر)، و(م): يقومون.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٢٣/٥.

(٣) "معاني القرآن" للفراء ١٨٦/٣.

(٤) قراءة آحاد، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥١، و"معاني القراءات" للأزهري ٩١/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٢٢/٦.

(٥) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢٧٠/٢.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا﴾؛ أَي: لَا يَكُونُ ذَلِكَ ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ فِيهِ

[٨٠١/ب] قَوْلَانِ:

أحدهما: مِنْ نَظْفَةٍ، ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ، ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ، فَالْمَعْنَى: لَا يَسْتَوْجِبُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ بِمَا يَدَّعِيهِ مِنَ الشَّرَفِ عَلَى غَيْرِهِ؛ إِذَا الْأَصْلُ وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا يَسْتَوْجِبُهَا بِالطَّاعَةِ.

وَالثَّانِي: [إِنَّا] ^(١) خَلَقْنَاهُمْ مِنْ أَقْدَارٍ ^(٢). فَبِمَاذَا يَسْتَحِقُّونَ الْجَنَّةَ وَلَمْ يُؤْمِنُوا؟ وَقَدْ رَوَى بَشَرُ بْنُ جَحَاشٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾، ثُمَّ بَزَقَ فِي كَفِّهِ وَقَالَ: "يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنِّي تُعْجِزُنِي، وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ؟! حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ، وَعَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ، وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَثِيدٌ" ^(٣)، فَجَمَعْتَ، وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِي قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ. وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ" ^(٤).

(١) مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: أَقْدَارُ، وَالمُثَبَّتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: بِيَدِكَ، وَالمُثَبَّتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي "الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى" ٢٩٨/٧، وَأَحْمَدُ فِي "مُسْنَدِهِ" ٣٨٧/٢٦ (١٧٨٤٤)، وَابْنُ مَاجَهٍ فِي "سُنَنِهِ" (٢٧٠٧)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي "الْأَحَادِ وَالْمِثَاقِي" ١٤٩/٢ (٨٦٩)، وَالحُرَاثِيُّ فِي "مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ وَمَذْمُومِهَا" (٥٤٨)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي "المعجم الكبير" ٣٢/٢ (١١٩٣)، وَابْنُ مَنْدَةَ فِي "التَّوْحِيدِ" (٨٨)، وَالحَاكِمُ فِي "مُسْتَدْرَكِهِ" ٥٩٠/٢ وَصَحَّحَهُ، وَالثَّعْلَبِيُّ فِي "الكَشَفِ وَالْبَيَانِ" ٤١/١٠، وَالبَيْهَقِيُّ فِي "شُعَبِ الْإِيمَانِ" ١٣٦/٥ (٣١٩٨)، وَالوَاحِدِيُّ فِي "الْوَسِيطِ" ٣٥٥/٤ (١٢٤١)، وَالبَغْوِيُّ فِي "مَعَالِمِ التَّزْيِيلِ" ١٥٤/٥ (٢٢٧١)، قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَبَشَرُ بْنُ جَحَاشٍ كَانَ فِي كِتَابِي مَقِيدًا بِالشَّيْنِ، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ هَكَذَا، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: بِسَرٍ. بِالسَّيْنِ غَيْرُ =

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقِيمُ﴾ قد تكلمنا عليه في الحاقّة. والمراد بالمشارك، والمغارب: مشرق^(١) كلّ يوم ومغربه.

﴿إِنَّا الْقَادِرُونَ﴾ (١٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرَ لَكُمْ ﴿﴾؛ أي: نخلق أمثلاً منهم وأطوع لله حين عصوا.

﴿وَمَا تَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ مفسر في الواقعة.

﴿فَذَرَهُمْ خَوْضًا﴾ في باطلهم ﴿وَلْيَعْبُوا﴾؛ أي: يلهاوا في دنياهم حتى يلاقوا. وقرأ ابن محيصن: "حَتَّى يَلْقَوْا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ"^(٢) وهو يوم القيامة. وهذا لفظ أمر معناه: الوعيد.

وذكر المفسرون أنّه منسوخٌ بآية السيف. وإذا قلنا: إنّهُ وعيد بقاء [يوم]^(٣) القيامة، فلا وجه للنسخ.

﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاجًا﴾؛ أي: يخرجون بسرعة كأنهم يستبقون.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ قرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم

=معجمة. وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" ٣٧٤/٥: وهو بضم الموحدة وسكون المهملة وأبوه بكسر الجيم وتخفيف المهملة وآخره شين معجمة. وصححه الألباني في "الصحيحة" (١١٤٣).

(١) في (ر): شرق.

(٢) قراءة شاذة، قرأ بها أبو جعفر أيضًا هنا وفي [الزخرف: ٨٣]، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٣٧.

(٣) من سائر النسخ.

بضم النون والصاد^(١).

وقال ابن جرير: وهو واحد الأنصاب، وهي آلهتهم التي كانوا يعبدونها^(٢).

فعلى هذا يكون المعنى: كأنهم إلى آلهتهم التي كانوا يعبدونها يسرعون.

وقرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بفتح النون وسكون الصاد^(٣).

وهي في معنى القراءة الأولى، إلا أنه مصدر؛ لقول^(٤) القائل: نصبت الشيء أنصبه نصبًا. قال قتادة: معناه: كأنهم إلى شيء منصوب يسرعون^(٥).

وقال ابن جرير: تأويله، كأنهم إلى صنم^(٦) منصوب يسرعون^(٧).

وقرأ ابن عباس، وأبو مجلز، والنخعي: "نُصِب" برفع النون

(١) قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥١، و"معاني القراءات" للأزهري ٩٢/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/٣٢٢-٣٢٣، و"حجة القراءات" ص ٧٢٤.

(٢) "تفسير الطبري" ٢٣/٦٢٤.

(٣) قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥١، و"معاني القراءات" للأزهري ٩٢/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/٣٢٣، و"حجة القراءات" ص ٧٢٥.

(٤) في (ر): كقول.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/٣٤٧ (٣٣٣٣)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/٦٢٥ وفيه (يسعون).

(٦) في (س): سبي.

(٧) "تفسير الطبري" ٢٣/٦٢٥.



وإسكان الصَّاد^(١)، وقرأ الحسن، وأبو عثمان، النهدي وعاصم الجحدري:
"إلى نَصَبٍ" بفتح النون والصَّاد جميعاً^(٢).

قال ابن قتيبة: النصب: حجر ينصب أو صنم، يقال: نَصَب،
ونُصِب، ونُصِب^(٣). وقال الفراء: النَّصْب والنُّصْب واحد، وهو مصدر،
والجمع: الأنصاب^(٤).

وقال الزَّجَّاج: النَّصْب، والنُّصْب: العلم المنصوب^(٥). قال الفراء:
والإيفاض: الإسراع^(٦).

قوله تعالى: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ قرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعمر بن
دينار: "ذلةٌ ذلِكَ اليَوْمِ" بغير تنوين، ويخفض الميم^(٧). وباقي السورة
قد تقدَّم بيانه.

(١) قراءة شاذة، قرأ بها أيضاً أبو العالية، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه
ص ١٦٢.

(٢) قراءة شاذة، ذكرها عن مجاهد وأبي عمران الجوني: ابنُ عطية في "المحرر الوجيز"
٣٧١/٥، وعن الحسن: الديماطي في "إنحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر"
ص ٥٥٧.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٨٦.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٦.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٢٤.

(٦) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٦.

(٧) قراءة شاذة، ينظر: "البحر المحيط" لأبي حيان ١٠/ ٢٧٨ ونسبه ليعقوب والتهار.

سُورَةُ نُوحٍ الطَّائِفَةُ

وهي مكيةٌ كلها بإجماعهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ①﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ② أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ③ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَذِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿[نوح: ١ - ٤].

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ أي: بأن أنذر قومك، والعذاب الأليم: الغرق.

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وعلي بن نصر عن أبي عمرو: "أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ" بضم النون. وقرأ عاصم، وحمة، والكسائي^(١)، وعبد الوارث [عن أبي عمرو]^(٢): "أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ" بكسر النون^(٣). قال أبو علي: مَنْ ضَمَّ كَرِهَ الْكُسْرَ (قبل الضَّمَّة) (٤) (٥).

(١) ليست في (ر)، و(م).

(٢) ليست في الأصل، و(س)، والمثبت من (ر)، و(م).

(٣) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥٢، "معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٩٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٢٤.

(٤) ليست في (ر).

(٥) "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٢٤.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أثبت الياء في الحالين يعقوب^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ "من" هاهنا صلة. والمعنى: يغفر لكم ذنوبكم، قاله السدي، ومقاتل^(٢).

وقال الزجاج: إنما دخلت "من" هاهنا لتخصيص^(٣) الذنوب من سائر الأشياء، ولم تدخل لتبعض الذنوب، ومثله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠]^(٤).

وذهب بعض أهل المعاني إلى أنها للتبعض، والمعنى: يغفر لكم من ذنوبكم إلى وقت الإيمان.

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾؛ أي: عن العذاب ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو منتهى آجالهم. والمعنى: فموتوا عند منتهى آجالكم غير ميتة المعذبين.

﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه أجل الموت، قاله مجاهد. فيكون المعنى: إنَّ أجل الله الذي أجلكم إليه، لا يؤخر إذا جاء، فلا يمكنكم حينئذ الإيمان.

والثاني: أنه أجل البعث، قاله الحسن.

(١) قراءة عشرية، ينظر: "معاني القراءات" للأزهري ٩٥/٣.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/٤٤٩، وذكره عن السدي: الماوردي في "النكت والعيون" ٩٩/٦.

(٣) في (ر): لتختص.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٢٨/٥.

والثالث: أجل العذاب، قاله السدي، ومقاتل^(١).

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي مَا ذَانِبُهُمْ وَاسْتَكْبَرُوا فِيهَا وَأَصْرُوا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِئَكُمْ كَذُوبًا ﴿١٢﴾ جَنَّتٍ وَجَبَلَ لَكُمُ الْغُرَابَ ﴿١٣﴾ مَا لَكُمُ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٤﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٨﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿٢٠﴾ لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢١﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَا لَزِمَ لَهُمُ الْوَلْدَةُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢٢﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كَبِيرًا ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٤﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ [نوح: ٥ - ٢٤].

قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴾؛ أي: تباعدًا من الإيمان ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ ﴾ إلى الإيمان والطاعة ﴿ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي مَا ذَانِبُهُمْ ﴾ لئلا يسمعوا صوتي ﴿ وَاسْتَكْبَرُوا فِيهَا وَأَصْرُوا ﴾؛ أي: غطوا بها وجوههم لئلا يروني ﴿ وَأَصْرُوا ﴾ على كفرهم ﴿ وَاسْتَكْبَرُوا ﴾ عن الإيمان بك واتباعي.

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾؛ أي: معلنا لهم بالدعاء. قال ابن عباس: بأعلى صوتي^(٢). ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ ﴾؛ أي: كررت الدعاء معلنا.

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٤٩، وذكره عن السدي: الماوردي في "النكت والعيون" ٩٩/٦.

(٢) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٥٧، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٥٦.

﴿وَأَشْرَرْتُ لَهُمْ إِشْرَارًا﴾ قال ابن عباس: يريد أكلّم الرجل بعد الرجل في السرّ، وأدعوه إلى توحيدك وعبادتك^(١).

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ قال المفسرون: منع الله عنهم القطر، وأعقم أرحام نساءهم أربعين سنة، فقال لهم نوح: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك؛ أي: استدعوا مغفرته بالتوحيد.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ قد شرّحناه في أول الأنعام، ومعنى الكلام: أنّه أخبرهم أنّ الإيمان يجمع لهم خير الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: لا ترون لله عظمة، قاله ابن عباس^(٢).

والثاني: لا تخافون لله عظمة^(٣)، قاله الفراء وابن قتيبة^(٤).

والثالث: لا ترون لله طاعة، قاله ابن زيد.

والرابع: لا ترجون عاقبة الإيمان والتوحيد، قاله الزجاج^(٥).

(١) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٣٥٧/٤، و"البسيط" ٢٥٢/٢٢، والبغوي في "معالم التنزيل" ١٥٦/٥.

(٢) ذكره: الثعلبي في "الكشف والبيان" ٤٤/١٠، ومكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية" ٧٧٣٥/١٢، والبغوي في "معالم التنزيل" ١٥٦/٥.

(٣) في (ر): عظمة الله.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ١٨٨/٣، و"غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٨٧.

(٥) "معاني القرآن" لإعرابه" للزجاج ٢٢٩/٥.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾؛ أي: وقد جعل لكم في أنفسكم آية تدلُّ على توحيده من خلقه إياكم من نطفة، ثم من علقه شيئاً بعد شيء إلى آخر الخلق.

قال ابن الأنباري: الطور: الحال، وجمعه أطوار^(١).

وقال ابن فارس: الطور: التارة، طوراً بعد طور؛ أي: تارة بعد تارة^(٢). وقيل أراد بالأطوار: اختلاف المناظر، والأخلاق، من طويل وقصير، وغير ذلك.

ثم قرَّره، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ رَأَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة: "طباق" بتنوين القاف وكسرها من غير ألف^(٣). وقد بيَّنَّا هذا في سورة الملك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِ نُورًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ وجه القمر قبل السموات، وظهره قبل الأرض يضيء، لأهل السموات، كما يضيء لأهل الأرض، وكذلك الشمس، هذا قول عبد الله بن عمرو.

والثاني: أنَّ القمر في السماء الدنيا، وإنَّما قال: "فيه"؛ لأنهن كالشيء

(١) "الزاهر في معاني كلمات الناس" لأبي بكر الأنباري ٤٥٤/١.

(٢) "مجمل اللغة" لابن فارس ص ٥٨٩.

(٣) قراءة شاذة، لم أقف عليها، قال القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ٢٠٨/١٨: ويموز في غير القرآن: (سبع سمواتٍ طباقٍ)، بالخفض على النعت لـ (سمواتٍ).

الواحد، ذكره الأخفش، والزجاج^(١). وغيرهما. وهذا كما تقول: أتيتُ [ب/٨٠٢] بني تميم. وإنما أتيتَ بعضهم، وركبتُ السفن.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ يستضيء بها العالم ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني: أن مبتدأ خلقكم من الأرض، وهو آدم.

﴿نَبَاتًا﴾ قال الخليل: معناه: فنبتتم نباتًا^(٢). وقال الزجاج: نباتًا محمول في المصدر على المعنى؛ لأنَّ معنى ﴿أَنْبَتُكُمْ﴾: جعلكم تنبتون نباتًا^(٣).

قال ابن قتيبة: هذا مما جاء فيه المصدر على غير المصدر؛ لأنه جاء على^(٤) نبت. ومثله: ﴿وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبَيُّلاً﴾ فجاء على "بتل". قال الشاعر [من الوافر]:

وَحَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبَعَهُ اتِّبَاعًا^(٥)
فجاء على اتبعت.

وقال الآخر [من الوافر]:

وَأِنْ شِئْتُمْ تَعَاوَدْنَا عُوَادًا^(٦)

(١) "معاني القرآن" للأخفش ٢/ ٥٥٠، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٠٠، ٢٣٠.

(٢) "العين" ٨/ ١٣٠، و"الجمل في النحو" ص ١٤٢ للخليل.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٣٠.

(٤) في (ر): في.

(٥) البيت من الوافر، وهو للقطامي كما في: "الكتاب" لسيبويه ٤/ ٨٢، و"الشعر والشعراء" لابن قتيبة ٢/ ٧١٤، و"الأصول في النحو" للسراج ٣/ ١٣٤، و"الصحاح" للجوهري ٣/ ١١٩٠، و"المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده ٢/ ٥٦، وغيرها.

(٦) هذا عجز بيت من الوافر، وهو دون نسبة في: "معجم ديوان الأدب" للفارابي ٣/ ٤٥٩، =

فجاء على "عاودنا"، وإنما تجيء المصادر مخالفة الأفعال؛ لأنَّ الأفعال وإن اختلفت أبنيتها، واحدة في المعنى ^(١).

قوله تعالى: ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ قال الفراء: هي الطرق الواسعة ^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَزِيذَةٌ مَالُهُ، وَوَلَدُهُ﴾ قرأ أهل المدينة، وابن عامر، وعاصم: "وَوَلَدَهُ" بفتح اللام والواو. وقرأ الباكون: "وُلْدَهُ" بضم الواو وسكون اللام ^(٣).

قال الزجاج: وهما بمعنى واحد؛ مثل: العَرَب، والعُرَب، والعَجَم، والعُجَم ^(٤).

وقرأ الحسن، وأبو العالية، وابن يعمر، والجاحدري: "وَوِلْدَهُ" بكسر الواو، وإسكان اللام ^(٥).

قال المفسرون: المعنى: أن الأتباع، والفقراء اتبعوا رأي الرؤساء والكبراء.

= "الخصائص" لابن جني ٢/ ٩٢، ٢٦٥، و"ما يجوز للشاعر في الضرورة" لمحمد بن جعفر القزاز ص ٢٦٨، و"شرح أدب الكاتب" للجواليقي ص ٣٠٥.

(١) "أدب الكاتب" لابن قتيبة ص ٦٣٠ وفيه (صدر) بدل (المصدر).

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٨.

(٣) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥٢-٦٥٣، و"معاني القراءات" للأزهري ٢/ ١٣٩، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٢٥، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٢٥.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٣٠.

(٥) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٢.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَكْرُومًا كَبَّارًا﴾ وقرأ أبو رجاء، وأبو عمران: "كُبَّارًا" برفع الكاف وتخفيف الباء^(١).

وقرأ ابن يعمر، وأبو الجوزاء، وابن محيصن: "كِبَّارًا" بكسر الكاف مع تخفيف الباء^(٢).

والمعنى: "كبيرًا" يقال: كبير، وكبار، وكُبار. وقد شرحنا هذا في أول "ص"، ومعنى "المكر": السعي في الفساد، وذلك أن الرؤساء منعوا أتباعهم من [الإيمان]^(٣) بنوح.

﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾؛ أي: لا تدعن عبادتها ﴿وَلَا نَذَرُنَّ وَدًا﴾ قرأ أبو جعفر، ونافع: بضم الواو. والباقون: بفتحها^(٤). وهذا الاسم وما بعده أسماء آلهتهم.

وجاء في التفسير أن هذه أسماء قوم صالحين، كانوا بين آدم ونوح. فنشأ قوم بعدهم يأخذون بأخذهم في العبادة، فقال لهم إبليس: لو صورتم صورهم

(١) قراءة شاذة أيضًا، ذكرها أبو حيان في "البحر المحيط" ٢٨٥/١٠ عن عيسى وابن محيصن وأبي السمال، وذكرها ابن عادل الدمشقي في "اللباب في علوم الكتاب" ٣٩٣/١٩ عن ابن عيسى وابن محيصن وأبي السمال وحيد ومجاهد.

(٢) قراءة شاذة أيضًا، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٢.

(٣) من سائر النسخ.

(٤) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥٣، و"معاني القراءات" للأزهري ٩٤/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٢٧/٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٢٦.

كان أنشط لكم، وأشوق إلى العبادة^(١). ففعلوا. ثم نشأ قوم بعدهم، فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم، فعبدوهم.

وكان ابتداء عبادة الأوثان من ذلك الوقت، وسميت تلك الصور بهذه الأسماء؛ لأنهم صوروها على صور أولئك القوم المسمين بهذه الأسماء.

وقيل: إنما هي أسماء لأولاد آدم مات منهم واحد، فجاء الشيطان فقال: هل لكم أن أصور لكم صورته، فتذكرونه بها؟ فصورها^(٢) ثم مات آخر، فصور لهم صورته، إلى أن صوّر الخمسة^(٣). ثم طال الزمان، وتركوا عبادة الله، فقال لهم الشيطان: ما لكم لا تعبدون شيئاً؟ فقالوا: مَنْ نعبد؟ قال: هذه آلهتكم، وآلهة آبائكم، ألا ترونها مصورة في مصالكم؟ فعبدوها.

[٨٠٣/أ] وقال الزّجاج: هذه الأصنام كانت لقوم نوح، ثم صارت إلى العرب، فكان "وَدٌ" لكلب، و"سواعٌ" لهمدان، و"يغوثٌ" لدلج، و"يعوق" لكنانة، و"نسرٌ" لحمير^(٤).

وقال مقاتل: إنما كان "سواعٌ" لهذيل، و"يعوق" لهمدان، و"يغوث" لبني غطف، وهم حي من مراد^(٥).

(١) في (ر): للعبادة.

(٢) في الأصل: فصور لهم، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) في (ر): صور صور خمسة.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٣٠ - ٢٣١، وفيه: وكان يَغُوثٌ لدلج.

(٥) تفسير مقاتل (٤/ ٤٥٣).

وقيل: لما جاء الطوفان غطى على هذه الأصنام وطمها التراب، فلما ظهرت بعد الطوفان صارت إلى هؤلاء المذكورين.

قال الواقدي: كان "ود" على صورة رجل، و"سواع" على صورة امرأة، و"يغوث" على صورة أسد، و"يعوق" على صورة فرس، و"نسر" على صورة النسر من الطير^(١).

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: وقد أضلت الأصنام كثيرًا من الناس؛ أي: ضلُّوا بسببها.

والثاني: وقد أضل الكبراء كثيرًا من الناس.

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَّا ضَلَالًا﴾ وهذا دعاء من نوح عليهم، لما أعلمه الله أنهم لا يؤمنون.

﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَفْضُلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿[نوح: ٢٥ - ٢٨].

قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ﴾ "ما" صلة، والمعنى: من خطيئاتهم؛ أي: من أجلها، وسببها.

(١) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٤٧/١٠، ونقله الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" ٦٦٩/٨ ثم قال: وهذا شاذ، والمشهور أنهم كانوا على صورة البشر.

وقرأ أبو عمرو: "مما خطاياهم"^(١)، وقرأ أبو الجوزاء، والجحدري: "خطيئتهم" من غير ألف^(٢).

﴿أَغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾ قال ابن السائب: المعنى: سيدخلون في الآخرة نارا^(٣). فجاء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال؛ لأن الوعد حق، هذا قول الأكثرين.

وقال الصَّحَّاك: فأدخلوا نارا في الدنيا، وذلك أنهم كانوا يغرقون من جانب، ويحترقون في الماء من جانب^(٤).

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾؛ أي: لم يجدوا أحدا يمنعهم من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿دَيَّارًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: أحدا. يُقال: ما بالمنازل ديار؛ أي: ما بها أحد، وهو من الدار؛ أي: ليس بها نازل دارا^(٥).

(١) قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥٣، و"معاني القراءات" للأزهري ٩٤/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٢٨/٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٢٦.

(٢) قراءة شاذة أيضا، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٢، وزاد: عبيد عن أبي عمر.

(٣) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٣٦٠/٤، و"البيسط" ٢٧٢/٢٢، والرازي في "مفاتيح الغيب" ٦٥٩/٣٠.

(٤) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٤٧/١٠، والواحدي في "البيسط" ٢٧٢/٢٢، والبغوي في "معالم التنزيل" ١٥٨/٥، والزخري في "الكشاف" ٦٢٠/٤.

(٥) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٨٨.

وقال الزجاج: أصلها "ديوار" فيعال فقلبت الواو ياء، وأدغمت إحداهما في الأخرى. وإنما دعا عليهم نوح؛ لأن الله تعالى أوحى إليه: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]^(١).

قوله تعالى: ﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ وذلك أن الرجل منهم كان ينطلق بابنه إلى نوح، فيحذره تصديقه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا﴾ قال المفسرون: إن الله تعالى أخبر نوحًا، أنهم لا يلدون مؤمنًا، فلذلك علم الفاجر الخارج عن الطاعة.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ قال الحسن: وذلك أنها كانا مؤمنين^(٢).

وقرأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، والجدري، والجنوني: "ولوالدي" ساكنة الياء على التوحيد^(٣).

وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وابن يعمر، والزهرري، والنخعي: "ولولدي" من غير ألف على التثنية^(٤).

(١) "معاني القرآن وإعراجه" للزجاج ٢٣١ / ٥.

(٢) ذكره ابن أبي زمنين في "تفسيره" ٤٢ / ٥.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٢، و"المحتسب" لابن جني ٣٦٥ / ١.

(٤) قراءة شاذة أيضا، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٢، و"المحتسب" لابن جني ٣٦٥ / ١.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي﴾ وقرأ حفص عن عاصم "بَيْتِي"
بفتح الياء^(١)، وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: منزله، قاله ابن عباس.

والثاني: مسجده، قاله الضحاك.

والثالث: سفيته، حكاه الثعلبي^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ هذا عامٌّ في كلِّ مَنْ آمَنَ. ﴿وَلَا
نُزِدُ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَّا بَارًا﴾ أي: هلاكًا، ومنه قوله تعالى:
﴿تَبَرَّأْنَا تَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٩].

(١) قراءة سبعة متواترة، قرأ بها أيضا: أَبُو قُرَّة عَنْ نَافِعٍ، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥٥، و"معاني القراءات" للأزهري ٩٥/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٢٩/٦.

(٢) "الكشف والبيان" للثعلبي ٤٨/١٠.

سورة الجن

هي مكية كلها بإجماعهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ ١ ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ، وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ٢ ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ ٣ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ ٤ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ٥ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ٦ ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ ٧ ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَهَا مِْلْشَتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ ٨ ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمِيعِ فَمَن يَسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا﴾ ٩ ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَسْرَأُ رَيْدٍ يَمُنُ فِي الْأَرْضِ أَمْرَأَدَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ١٠ ﴿وَأَنَّا مِنَّا الضَّالُّونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ ١١ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَعِجَزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ، هَرَبًا﴾ ١٢ ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى ءَامَنَّا بِهِ، فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ، فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ ١٣ ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ ١٤ ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ ١٥ ﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ ١٦ ﴿لَتَقْنَيْنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ، يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١ - ١٧].

قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ قد ذكرنا سبب نزول

هذه الآية في الأحقاف [آية: ٢٩] وبيننا هنالك سبب استماعهم، ومعنى [٨٠٣/ب] "النفر" وعددهم.

فأما قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ فمعناه: بليغا يعجب منه لبلاغته.

﴿يَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ﴾؛ أي: يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان.
 ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا﴾؛ أي: لن نعدل ربنا أحداً من خلقه. وقيل: عنوا
 إبليس؛ أي: لا نطيعه في الشرك بالله.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾ اختلف القراء في اثنتي عشرة همزة
 في هذه السورة، وهي: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾، و﴿وَأَنَّهُ كَانَتْ يَقُولُ﴾، و﴿وَأَنَا
 ظَنَّنَا﴾، و﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ﴾، و﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾، و﴿وَأَنَا لَمَسْنَا﴾، و﴿وَأَنَا كُنَّا﴾،
 و﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي﴾، و﴿وَأَنَا مِمَّا﴾، و﴿وَأَنَا ظَنَّنَا أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ﴾، و﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا
 الْهُدَى﴾، و﴿وَأَنَا مِمَّا﴾. ففتح الهمزة في هذه المواضع ابنُ عامر، وحمزة،
 والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، ووافقهم أبو جعفر في ثلاثة
 مواضع: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى﴾، و﴿وَأَنَّهُ كَانَتْ يَقُولُ﴾، و﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ﴾ وكسر الباقيات.
 وقرأ الباقون: بكسر هـ^(١).

وقال الزجاج: والذي يختاره النحويون في هذه السورة أن ما كان
 من الوحي قيل فيه: "أن" بالفتح، وما كان من قول الجن قيل: "إن"
 بالكسر معطوف على قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ وعلى هذا يكون
 المعنى: وقالوا: إنه تعالى جدُّ ربنا، وقالوا: إنه كان يقول سفيهاً.

فأما مَنْ فتح، فذكر بعض النحويين، يعني الفراء: أنه معطوف
 على الهاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا بِي﴾ وب﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾، وكذلك ما

(١) القراءات متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥٦، و"معاني القراءات" للأزهري
 ٩٦/٣، و"الإقناع في القراءات السبع" لأبي جعفر الغرناطي ص ٣٨٧، و"العنوان في القراءات
 السبع" لأبي طاهر السرقسطي ص ١٩٨، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٢٧.



بعد هذا، وهذا رديء في القياس، لا يعطف على الهاء المتمكنة المخفوضة إلا بإظهار الخافض. ولكن وجهه: أن يكون محمولاً على معنى {آمنابه}، فيكون المعنى: وصدقنا أنه تعالى جد ربنا^(١).

وللمفسرين في معنى ﴿تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾ سبعة أقوال:

أحدها: قدرة ربنا، قاله ابن عباس.

والثاني: غنى ربنا، قاله الحسن.

والثالث: جلال ربنا، قاله مجاهد، وعكرمة.

والرابع: عظمة ربنا، قاله قتادة.

والخامس: أمر ربنا، قاله السدي.

والسادس: ارتفاع ذكره وعظمته، قاله مقاتل^(٢).

والسابع: ملك ربنا وثناؤه وسلطانه، قاله أبو عبيدة^(٣).

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه إبليس، قاله مجاهد، وقتادة.

والثاني: أنه كفارهم، قاله مقاتل^(٤).

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٢٣/٥ - ٢٢٤.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/٤٦١.

(٣) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/٢٧٢.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/٤٦٢.

والشُّطط: الجور، والكذب، وهو: وصفه بالشريك، والولد.

ثُمَّ قَالَتِ الْجَنُّ: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ وقرأ يعقوب:
"أَنْ لَنْ تَقُولَ" بفتح القاف، وتشديد الواو^(١).

والمعنى: ظنناهم صادقين في قولهم: لله صاحبة وولد، وما ظنناهم
يكذبون حتى سمعنا القرآن.

يقول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ وذلك
أَنَّ الرَّجُلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ إِذَا سَافَرَ فَأَمْسَى فِي قَفَرٍ مِنَ الْأَرْضِ قَالَ: أَعُوذُ
بِسَيِّدِ هَذَا الْوَادِي مِنْ شَرِّ سُفَهَاءِ قَوْمِهِ، فَيَبِيتُ فِي جَوَارِ مِنْهُمْ حَتَّى يُصْبِحَ،
وَمِنْهُ: حَدِيثُ كَرْدَمَ بْنِ أَبِي السَّائِبِ الْأَنْصَارِيِّ^(٢)، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي إِلَى
الْمَدِينَةِ فِي حَاجَةٍ، وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فَأَوَّأَنَا الْمَيْتُ إِلَى
رَاعِي غَنَمٍ، فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ جَاءَ ذَنْبٌ، فَأَخَذَ حَمَلًا مِنَ الْغَنَمِ، فَوَثَبَ
الرَّاعِي فَنَادَى: يَا عَامِرَ الْوَادِي، جَارَكَ. فَنَادَى مُنَادٍ لَا نَرَاهُ: يَا سِرْحَانُ!

(١) قراءة عشرية، ينظر: "معاني القراءات" للأزهري ٩٧/٣، و"المحتسب" لابن جني،
وذكر أنها قراءة الحسن والجحدري ويعقوب وابن أبي بكرة، و"الوجيز في شرح قراءات
القرآن الثمانية أئمة الأمصار الخمسة" لأبي علي الأهوازي ص ٣٦٥.

(٢) قال البخاري وابن السكك: له صحبة، وقال ابن حبان: يقال: له صحبة، ثم أعاده
في التابعين، فقال: يروي المراسيل. وقال أبو عمر: كردم بن أبي السنابل الأنصاري،
ويقال: الثَّقَفِيُّ، يقال له صحبة. سكن المدينة. ومخرج حديثه عن أهل الكوفة. وقد
تعقبه ابن فتحون بأنه صحفه، وأن كل من ألف في الصحابة قالوا فيه ابن أبي السائب،
قال: ولا أعلم لقوله: ويقال: الثَّقَفِيُّ، سلفاً. انظر: الإصابة (٥/ ٤٣١-٤٣٢).

أَرْسَلُهُ. فَإِذَا بَحْمَلٍ^(١) يَشْتَدُّ حَتَّى دَخَلَ [فِي] ^(٢)الْغَنَمِ لَمْ تُصِبْهُ كَذْمَةٌ، فَأَنْزَلَ
الله تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ﴾ ... الآية ^(٣).

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْإِنْسَ زَادُوا الْجَنَّ رَهَقًا لِيَتَعَوَّذَهُمْ بِهِمْ، قَالَهُ مُقَاتِلُ^(٤).

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ لَمَّا اسْتَعَاذُوا بِسَادَتِهِمْ قَالَتِ السَّادَةُ: قَدْ سَدْنَا الْجَنَّ وَالْإِنْسَ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْجَنَّ زَادُوا الْإِنْسَ رَهَقًا، ذَكَرَهُ الزَّجَّاجُ^(٥).

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: زَادُوهُمْ سَفَهًا وَطُغْيَانًا^(٦). وَقَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: زَادُوهُمْ
ضَلَالًا، وَأَصْلُ الرَّهَقِ: الْعَيْبُ، وَمِنْهُ يُقَالُ: فَلَانٌ يَرَهَقُ فِي دِينِهِ^(٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُمْ طَطْنَا﴾ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ظَنَّ الْجَنُّ ﴿كَأَنَّهُمْ طَطْنَا﴾
أَيُّهَا الْإِنْسُ الْمَشْرُكُونَ أَنَّهُ لَا بَعْثَ.

(١) فِي (ر)، وَ(س): الْحَمْلُ.

(٢) مِنْ (ر).

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ كَمَا فِي "الدَّرِّ الْمَشْهُورِ" ٢٩٨ / ٨، وَالْعَقِيلِيُّ فِي "الضَّعْفَاءِ"
١٠ / ١، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي "الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ" ١٩١ / ١٩ (٤٣٠)، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي "الْعِظْمَةِ"
٥ / ١٦٦٤، وَالْوَاهِدِيُّ فِي "الْوَسِيطِ" ٣٦٤ / ٤ (١٢٤٨)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي "تَارِيخِ دِمَشْقَ"
٣٣١ / ٢٥.

(٤) "تَفْسِيرُ مُقَاتِلِ بْنِ سَلِيحَانَ" ٤٦٢ / ٤.

(٥) "مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ" لِلزَّجَّاجِ ٢٣٤ / ٥.

(٦) "مَجَازُ الْقُرْآنِ" لِأَبِي عُبَيْدَةَ ٢٧٢ / ٢.

(٧) "غَرِيبُ الْقُرْآنِ" لِابْنِ قَتِيْبَةَ ص ٤٨٩.

وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾؛ أي: أتيناها ﴿فَوَجَدْنَهَا مِثْلَ حَرِّ سَا شَدِيدًا﴾ وهم الملائكة الذين يحرسونها من استراق السَّمْع ﴿وَشُهْبًا﴾ جمع: شهاب، وهو النجم المضيء.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ﴾؛ أي: كنا نستمع، فالآن حين حاولنا الاستماع بعد بعث محمد ﷺ، رمينا بالشُّهب. ومعنى ﴿رَصَدًا﴾: قد أرصد له المرمى به.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بِنَا فِي الْأَرْضِ﴾ بإرسال محمد إليهم، فيكذبونه فيهلكون ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وهو أن يؤمنوا فيهدوا، قاله مقاتل^(١).

والثاني: أنه قول كفره الجن، والمعنى: لا ندري أشرُّ أريد بِنَا في الأرض بحدوث الرّجم بالكواكب، أم صلاح؟ قاله الفراء^(٢).

ثم أخبروا عن حالهم، فقالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ وهم المؤمنون المخلصون ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّهم المشركون.

والثاني: أنَّهم أهل الشرِّ دون الشرك.

﴿كُنَّا طَائِفًا قَدَدًا﴾ قال الفراء: أي: فرقًا مختلفة أهواؤنا^(٣). وقال أبو

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٦٣.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٩٣.

(٣) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٩٣.

عبيدة: واحد انطرائق: طريقة، وواحد القدد: قدة؛ أي: ضرورياً وأجناساً ومللاً^(١).

قال الحسن، والسدي: الجن مثلكم فمنهم قدرية، ومرجئة، ورافضة^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾؛ أي: أيقنا ﴿أَن لَّن تُعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: لن نفوته إذا أراد بنا أمراً ﴿وَلَن تُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾؛ أي: أنه يدركنا حيث كنا. قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُدَى﴾ وهو القرآن الذي أتى به محمد ﷺ ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾؛ أي: صدقنا أنه من عند الله عز وجل.

﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾؛ أي: نقصاً من الثواب ﴿وَلَا رَهَقًا﴾؛ أي: ولا ظلماً ومكروهاً يغشاه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ قال مقاتل: المخلصون لله ﴿وَمِنَّا الْفَاسِقُونَ﴾ وهم المردة^(٣). قال ابن قتيبة: القاسطون: الجائرون. يقال قسط؛ إذا جار، وأقسط؛ إذا عدل^(٤). قال المفسرون: هم الكافرون.

(١) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٢.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في "العظمة" ٥/ ١٦٨٨ - ١٦٨٩، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٥١/ ١٠ عن السدي، وذكره عن الحسن "الواحي" في "الوسيط" ٤/ ٣٦٦، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٦١.

(٣) تفسير مقاتل (٤/ ٤٦٤).

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٩٠.

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾؛ أي: توخوه، وأمُّوه، ثُمَّ انقطع كلام الجن. قال مقاتل: ثم رجع إلى كفار مكَّة فقال تعالى:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُغْنِيَنَّ عَنْ وَالِدِهِنَّ الْمَالَ وَالْأُولُو الْأَرْحَامُ يُغْنِيَنَّ عَنْ وَالِدِهِمُ الْمَالَ﴾ يعني طريقة الهدى^(١)، وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والسُّدي، واختاره الزَّجاج.

قال: لأنَّ الطريقة هاهنا بالألف واللام معرفة، فلا وُجِبَ أن تكون [٨٠٤/ب] طريقة الهدى^(٢). وذهب قومٌ إلى أن المراد بها: طريقة الكفر، قاله محمد بن كعب، والربيع، والفراء، وابن قتيبة، وابن كيسان^(٣).

فعلى القول الأوَّل يكون المعنى: لو آمنوا الوَسَّعنا عليهم ﴿لَنَفِيتَنَّهُمْ﴾؛ أي: لنختبرهُم ﴿فِيهِ﴾ فننظر كيف شكرُهم. والماء الغدق: الكثير. وإنما ذكر الماء مثلاً؛ لأنَّ الخير كُلُّه يكون بالمطر، فأقيم مقامه؛ إذ^(٤) كان سببه.

وعلى الثاني يكون المعنى: لو استقاموا على الكفر فكانوا كفاراً كُلُّهم؛ لأكثرنا لهم المال لنفتنهم فيه [عقوبة]^(٥) واستدارجاً، ثم نعدبهم على ذلك. وقيل: لأكثرنا لهم الماء^(٦) فأغرقناهم؛ كقوم نوح.

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/٤٦٤.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/٢٣٦.

(٣) "معاني القرآن" للفراء ٣/١٩٣، و"غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٩٠، وذكرها عن الربيع وابن كيسان: الثعلبيُّ في "الكشف والبيان" ١٠/٥٣، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/١٦١، وذكره عن محمد بن كعب: الماورديُّ في "النكت والعيون" ٦/١١٦.

(٤) في الأصل: إذا، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) من سائر النسخ.

(٦) في الأصل: آثماً، والمثبت من سائر النسخ.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ يعني: القرآن ﴿يَسْلُكْهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: "نسلكه" بالنون، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: بالياء^(١).

﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: عذابًا شاقًا؛ يقال: تصعدني الأمر إذا شق عليّ، ومنه قول عمر: ما تصعدني شيء ما تصعدني خطبة النكاح^(٢). ونرى أصل هذا كله من الصعود؛ لأنه شاق، فكني به عن المشقات، وجاء في التفسير أنه جبل في النار يكلف صعوده، وسنذكره عند قوله تعالى: ﴿سَأَرْهِفُهُ، صَعُودًا﴾ إن شاء الله تعالى.

﴿وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) وَأَنَّهُ، لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا (٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) ﴿[الجن: ١٨ - ٢٨].

(١) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥٦، و"معاني القراءات" للأزهري ٩٧/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٣٢/٦ - ٣٣٣، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٢٩.

(٢) "غريب الحديث" لابن قتيبة ص ٤٩١، وقول عمر: أخرجه أبو عبيد في "غريب الحديث" ٢٧٨/٤ (٦٤٦)، وإبراهيم الحربي في "غريب الحديث" كما في "تخريج أحاديث الكشاف" للزيلعي ١٠٠/٤.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ فِيهَا أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أنها المساجد التي هي بيوت الصلوات^(١)، قاله ابن عباس.

قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا، فأمر الله عز وجل المسلمين أن يخلصوا له إذا دخلوا مساجدهم.

والثاني: أن^(٢) الأعضاء التي يسجد عليها العبد، قاله سعيد بن جبير، وابن الأنباري، وذكره الفراء. فيكون المعنى: لا تسجدوا عليها غيره.

والثالث: أن المراد بالمساجد ههنا: البقاع كلها، قاله الحسن. فيكون المعنى: أن الأرض كلها مواضع للسجود، فلا تسجدوا عليها لغير خالقها.

والرابع: أن المساجد: السجود، فإنها جمع مسجد. يقال: سجدت سجودًا، ومسجدًا؛ كما يقال: ضربت في الأرض ضربًا، ومضربًا، ثم يجمع، فيقال: المساجد، والمضارب.

قال ابن قتيبة: فعلى هذا يكون واحدها: مسجدًا، بفتح الجيم. والمعنى: أخلصوا له، ولا تسجدوا لغيره.

ثم رجع إلى ذكر الجن فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ أي: يعبد. وكان يصلي بطن نخلة على ما سبق بيانه في الأحقاف [آية: ٢٩].

(١) في (ر): للصلوات.

(٢) ليست في (ر).

﴿كَادُوا أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِمْ لَبَدًا﴾ قرأ الأكثرون: بكسر اللام، وفتح الباء. وقرأ هشام عن ابن عامر، وابن محيصن: "لَبَدًا" بضم اللام، وفتح الباء مع تخفيفها. قال الفرّاء: ومعنى القراءتين واحد. يقال: لَبَدَة، وَلُبْدَة.

قال الزّجاج: والمعنى: كادوا يركب بعضهم بعضًا. ومنه: اشتقاق البلد الذي يفتersh. وكلُّ شيء أضفته إلى شيء فقد لَبَدْتَهُ.

وقرأ قومٌ منهم شيبة^(١)، والجدري: "لَبَدًا" بضم اللام مع تشديد الباء.

قال الفرّاء: فعلى هذه القراءة تكون صفة للرجال؛ كقولك: رُكَّعًا وركوعًا، وسُجَّدًا وسجودًا. وقال الزّجاج: هو جمع لأبد؛ مثل: راعٍ، وركَّع.

وفي معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّه من إخبار الله تعالى عن الجنّ يحكي حالهم. والمعنى: أنه لما قام يصلي كاد الجنّ أن يزدحامهم عليه يركب بعضهم بعضًا، حِرْصًا [٨٠٥/أ] على سماع القرآن، رواه عطية عن ابن عباس.

والثاني: أنّه من قول الجن لقومهم لما رجعوا إليهم، فوصفوا لهم طاعة أصحاب رسول الله ﷺ وائتمامهم به في الرُّكوع، والسجود، فكأنهم قالوا: لما قام يصلي كاد أصحابه يكونون عليه لبدًا، وهذا المعنى في رواية ابن جبير، عن ابن عباس.

والثالث: أن المعنى: لما قام رسول الله ﷺ بالدعوة تلبدت الإنس والجنّ، وتظاهروا عليه، ليبتلوا الحق الذي جاء به قاله الحسن، وقتادة، وابن زيد.

(١) في (ر)، و(م): الحسن.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ قرأ عاصم، وحمزة: "قل إنما أدعو ربي" بغير ألف. وقرأ الباقون: "قال" على الخبر عن النبي ﷺ^(١).
قال مقاتل: إن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: إنك جئت بأمرٍ عظيم، لم يُسمع بمثله فازجعه عنه فنزلت هذه الآية^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾؛ أي: لا أدفعه عنكم ﴿وَلَا أَسْوَاقَ إِلَيْكُمْ﴾ ﴿رَشْدًا﴾؛ أي: خيرًا؛ أي: إن الله تعالى يملك ذلك، لا أنا. ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾؛ أي: إن عصيته لم يمنعني منه أحدٌ، وذلك أنهم قالوا: اترك ما تدعو إليه، ونحن نُجِيرُكَ. ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ وقد بيناه في الكهف [آية: ٢٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنْ اللَّهِ﴾ فيه وجهان - ذكرهما الفراء -:
أحدهما: أنه استثناء من قوله تعالى: ﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشْدًا﴾ إلا أن أبلغكم.
والثاني: لن يجيرني من الله أحدٌ إن لم أبلغ رسالته^(٣). وبالأول قال ابنُ السائب. وبالثاني قال مقاتل^(٤).

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥٧، و"معاني القراءات" للأزهري ٩٨/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٣٣/٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٢٩.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/٤٦٥.

(٣) "معاني القرآن" للفراء ٣/١٩٥.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/٤٦٥.

وقال بعضهم: المعنى: لن يجيرني من عذاب الله إلا أن أُبلغَ عن الله ما أرسلت به^(١) فذلك البلاغ هو الذي يجيرني ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بترك الإيمان والتوحيد.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا﴾ يعني: الكفار ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ مِنَ العذاب في الدنيا، وهو القتل. وفي الآخرة: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَأَقْلَعَدًا﴾؛ أي: جنداً ونصراً، أ هم، أم المؤمنون؟

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي﴾؛ أي: ما أدري ﴿أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ﴾ مِنَ العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾؛ أي: غايةً وبعداً. وذلك لأنَّ علم الغيب لله وحده ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾؛ أي: فلا يُطلع على غيبه الذي يعلمه أحداً مِنَ النَّاسِ. ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾؛ لأنَّ من الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب.

والمعنى: أن مَنْ ارتضاه للرسالة أطلَّعه على ما شاء من غيبه. وفي هذا دليل على أن مَنْ زعم أنَّ النجوم تدلُّ على الغيب فهو كافرٌ.

ثم ذكر أنه يحفظ ذلك الذي يُطلع عليه الرسول فقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾؛ أي: من بين يدي الرسول ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾؛ أي: يجعل له حفظةً من الملائكة يحفظون الوحي من أن تسترقه الشياطين، فتلقيه [إلى]^(٢) الكهنة، فيتكلمون به قبل أن يخبر به^(٣) النبي ﷺ الناس.

(١) ليست في (ر).

(٢) من سائر النسخ.

(٣) ليست في (ر).

وقال الرَّجَّاج: يسلك من بين يدي الملك ومن خلفه رصدًا^(١).
وقيل: يسلك من بين يدي الوحي. فالرصد من الملائكة يدفعون
الشَّيَاطِينَ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ مَا يَنْزِلُ مِنَ الْوَحْيِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيَعْلَمَنَّ﴾ فِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

[٨٠٥/ب] أحدها: ليعلم مُحَمَّدٌ ﷺ أَنَّ جَبْرِيلَ قَدْ بَلَغَ إِلَيْهِ، قَالَه ابْنُ جَبْرِ.

وَالثَّانِي: لِيَعْلَمَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَنَّ الرُّسْلَ قَبْلَهُ ﴿قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ وَأَنَّ
اللَّهَ [قَدْ]^(٢) حَفَظَهَا فَدَفَعَ عَنْهَا، قَالَه قَتَادَةُ.

وَالثَّلَاثُ: لِيَعْلَمَ مَكْذِبُ الرُّسْلِ أَنَّ الرُّسْلَ قَدْ بَلَّغُوا^(٣) رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ،
قَالَه مُجَاهِدٌ.

وَالرَّابِعُ: لِيَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ مَوْجُودًا ظَاهِرًا يَجِبُ بِهِ الثَّوَابُ،
فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٤٢]، قَالَه
ابْنُ قَتِيبَةَ^(٤).

وَالْخَامِسُ: لِيَعْلَمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الرُّسْلَ قَدْ أَتَتْهُ، وَلَمْ تَصِلْ إِلَى غَيْرِهِ،
ذَكَرَهُ الزَّجَّاجُ^(٥).

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٣٨/٥.

(٢) من (ر).

(٣) في (ر): أبلغوا.

(٤) "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ص ٢٤٤.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٣٨/٥.

وقرأ رويس عن يعقوب: "لِيُعْلَمَ" بضمّ الياء على ما لم يسمّ فاعله^(١).

وقال ابن قتيبة، ويُقرأ: ["لَتُعْلَمَ"]^(٢) بالتّاء يريد: لتعلم الجن أنّ الرسل [قد]^(٣) بلّغت رسالاتهم^(٤) [عن إلههم]^(٥) بما رجّوا من اشتراق السمع^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾؛ أي: علم الله ما عند الرّسل ﴿وَأَخَصَّنِي كُلَّ شَيْءٍ عَدْدًا﴾ فلم يفتنه شيءٌ حتى الذّر والخردل.

(١) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٤، ونسبها للزهري وإبراهيم بن أبي عبلة.

(٢) من سائر النسخ.

(٣) من (ر).

(٤) من الأصل فقط، وليست في سائر النسخ.

(٥) ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٩٢.

سُورَةُ الْمَزْمَلِ

وهي مكية [كلها] ^(١) بإجماعهم.

إلا أنه قد روي عن ابن عباس أنه قال: سوى آيتين منها: قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ والتي بعدها ^(٢).

وقال ابن يسار، ومقاتل: فيها آية مدنيّة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الْمُرْسَلُ ① قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② يَنْصَفُهُ ③ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ④ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ⑤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْكَ وَأَفْوَمُ قِيلًا ⑦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ⑧ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ⑨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑩ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ⑪ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ⑫ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ⑬ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ⑭ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا ⑮ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ⑯ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ⑰ فَكَيْفَ تَنْقُوتُ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ⑱ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ⑲ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١ - ١٨].

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ١٢٤/٦.

(٣) ذكره البقاعي في "مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور" ١٣٠/٣ عن ابن يسار.



قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو العالية، وأبو مجلز، وأبو عمران، والأعمش: "المزمل" بإظهار التاء^(١).

وقرأ عكرمة، وابن يعمر: "المزمل" بحذف التاء وتخفيف الزاي^(٢).

قال اللغويون: "المزمل" الملتف في ثيابه، وأصله: المتزمل فأدغمت التاء في الزاي. فنقلت، وكل من التَفَّ في ثوبه^(٣) فقد تَزَمَّل.

قال الزجاج: وإنما أدغمت فيها لقربها منها^(٤).

قال المفسرون: وكان النبي ﷺ يتزمل في ثيابه في أول ما جاء جبريل فرقا منه حتى أنس به.

وقال السدّي: كان قد تزمّل للنوم^(٥). وقال مقاتل: خرج من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل: ﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ﴾^(٦). وقيل: أريد به متزمل للنبوة^(٧).

(١) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٤، و"الكشاف" للزمخشري ٤/ ٦٣٤ دون نسبة لأحد، و"المحرر الوجيز" لابن عطية ٥/ ٢٨٦ ونسبها لابن مسعود وأبي بن كعب.

(٢) قراءة شاذة أيضا، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٤، و"المحتسب" لابن جني ٢/ ٣٣٥، و"الكشف والبيان" للثعلبي ١٠/ ٥٩ ونسبها لعكرمة فقط.

(٣) في (ر): بثوبه.

(٤) "معاني القرآن وإعراجه" للزجاج ٥/ ٢٣٩.

(٥) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٧١.

(٦) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٧٥.

(٧) في (ر): النبوة.

قال عكرمة: في معنى [هذه] ^(١) الآية: زُمَّتْ هذا الأمر، فقم به ^(٢).
وقيل: إنما لم يخاطب بالنبى والرسول هاهنا؛ لأنه لم يكن بعد ^(٣) قد بُلِّغَ،
وإنما كان في بدء الوحي.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ﴾؛ أي: للصلاة. وكان قيام الليل فرضاً عليه ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ^(٤) يَصْفَهُ. هذا بدل من الليل، كما تقول: ضربت زيداً رأسه. فإنما ذكرت زيداً لتوكيد الكلام؛ لأنه أوكد من قولك: ضربت رأس زيد.

والمعنى: قم من الليل النصف إلا قليلاً، (وهو قوله) ^(٥): ﴿أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾؛ أي: من النصف ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على النصف.

قال المفسرون: انقص من النصف إلى الثلث، أوزد عليه إلى الثلثين، فجعل له سعة في مدة قيامه، إذ لم تكن محدودة، فكان يقوم ومعه طائفة من المؤمنين، فشق ذلك عليه وعليهم، فكان الرجل لا يدري كم صلى، وكم بقي من الليل، فكان يقوم الليل كله مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب، فنسخ ذلك عنه وعنهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ﴾... الآية.

(١) من (ر).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٢٠ / ٢٣٥ (٣٧٧١٤)، وابن نصر كما في "الدر المنثور" ٨ / ٣١٣، والطبري في "تفسيره" ٢٣ / ٦٧٦.

(٣) ليست في (ر).

(٤) ليست في (ر).



هذا مذهب جماعة من المفسرين، وقالوا: ليس في القرآن سورةٌ نسخ آخرُها أولُها سوى هذه السورة.

وذهب قوم إلى أنه نسخ قيام الليل في حقّه بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ، نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، ونسخ في حق المؤمنين بالصلوات الخمس. وقيل: نسخ عن الأمة، وبقي فرضه عليه^(١) أبداً. وقيل: إنما كان مفروضاً عليه دونهم.

[أ/٨٠٦]

وفي مدة فرضه قولان:

أحدهما: سنة، قال ابن عباس: كان بين أول المزمل وآخرها سنة^(٢).

والثاني: ستة عشر شهراً، حكاه الماوردي^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ﴾ قد ذكرنا الترتيل في الفرقان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ وهو القرآن.

وفي معنى ثقله ستة أقوال:

أحدها: أنه كان يثقل عليه إذا أوحى إليه. وهذا قول عائشة قالت: "ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد. فيفصم عنه -يعني:

(١) في (ر): وبقي عليه فرضه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٩/٥٧٥ (٣٧٠٩٢)، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم ومحمد بن نصر كما في "الدر المنثور" ٨/٣١٢، والطبري في "تفسيره" ٢٣/٦٧٨، ٦٨٠، والطبراني في "المعجم الكبير" ١٢/١٩٦ (١٢٨٧٧)، والحاكم في "مستدركه" ٢/٥٩٤ وصححه، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٢/٧٠٤.

(٣) "النكت والعيون" للماوردي ٦/١٢٥.

يتخلص عنه^(١) - وإن جبينه ليتفصد عرقاً^(٢).

والثاني: أن العمل به ثقیل في فروضه وأحكامه، قاله الحسن، وقتادة.

والثالث: أنه ثقیل في الميزان يوم القيامة، قاله ابن زيد.

والرابع: أنه المهيب، كما يقال للرجل العاقل: هو رزين راجح، قاله عبد العزيز بن يحيى.

والخامس: [أنه]^(٣) ليس بالخفيف ولا السفساف؛ لأنه كلام الرب عز وجل، قاله الفراء^(٤).

والسادس: أنه قول له وزنٌ في صحته وثباته^(٥) ونفعه، كما تقول هذا كلامٌ رصين، وهذا قولٌ له وزن؛ إذا استجدته، ذكره الزجاج^(٦).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قال ابن مسعود، وابن عباس: هي قيام الليل بلسان الحبشة^(٧).

(١) من (ر).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢).

(٣) من (ر).

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٩٧.

(٥) في (ر): وبيانه.

(٦) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٠.

(٧) أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن نصر وابن المنذر مسعود كما في "الدر المنثور" ٨/ ٣١٦، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٣/ ٣٠ عن ابن عباس.

وأخرجه ابن أبي شيبه في "مصنفه" ١٥/ ٤٤٩ (٣٠٥٩٢)، وابن أبي حاتم كما في "الدر =

وهل هي في وقت مخصوصٍ مِنَ اللَّيْلِ، أم في جميعه؟ فيه قولان:

أحدهما: أنَّها في جميع الليل. وروى ابن أبي مليكة، عن ابن عباس أنه قال: الليل كله ناشئة^(١). وإلى هذا ذهب اللغويون.

قال ابن قتيبة: ناشئة الليل ساعاته النَّاشئة؛ من نشأت؛ إذا ابتدأت^(٢).

وقال الرَّجَّاج: ناشئة الليل ساعات الليل، كل ما نشأ منه؛ أي: كل ما حَدَث^(٣).

وقال أبو عليِّ الفارسي: كأنَّ المعنى: إنَّ صلاة ناشئة الليل، أو عمل ناشئة الليل^(٤).

والثاني: أنها في وقت مخصوصٍ من الليل.

ثم فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنها ما بين المغرب والعشاء، قاله أنس بن مالك^(٥).

= المنشور "٣١٦/٨، والحاكم في "مستدرکه" ٥٠٥/٢ وصححه عن ابن مسعود.

(١) أخرجه ابن المنذر وابن الضريس كما في "الدر المنثور" ٣١٦/٨.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٩٣.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٤٠/٥.

(٤) "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٢٣٥/٦.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٢٦٨/٤ (٥٩٧٧)، وابن نصر كما في "الدر المنثور"

٣١٦/٨، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٢٠/٣.

والثاني: أنها القيام بعد النوم، وهذا قول عائشة رضي الله عنها، وابن الأعرابي. وقد نصَّ عليه أحمد رحمه الله في رواية المروزي.

والثالث: أنها ما بعد العشاء، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وأبو مجلز.

والرابع: أنها بدء الليل، قاله عطاء، وعكرمة.

والخامس: أنها القيام من آخر الليل، قاله يمان، وابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ قرأ ابن عامر، وأبو عمرو: "وطاءً" بكسر الواو مع المد، وهو مصدر واطأت فلاتاً على كذا مواطأة، ووطاءً، وأراد أن القراءة في الليل يتواطأ فيها قلب المصلي ولسانه وسمعه على التفهم للقرآن والإحكام لتأويله، ومنه قوله تعالى: ﴿لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧].

وقرأ الباقون: "وطأً" بفتح الواو مع القصر^(١)، والمعنى: إنه أثقل على المصلي من ساعات النهار، من قول العرب: اشتدت على القوم وطأة السلطان: إذا ثقل عليهم ما يلزمهم، ومنه قول النبي ﷺ: "اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَّ"^(٢)، ذكر معنى القراءتين ابن قتيبة^(٣).

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥٨، و"معاني القراءات" للأزهري ٩٩/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٣٥/٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٣٠.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨٠٤)، ومسلم في "صحيحه" (٦٧٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) "تأويل مشكل القرآن" ص ٢١٥، "غريب القرآن" ص ٤٩٣ لابن قتيبة.

وقرأ ابن محيصن: "أشدَّ وطاءً" بفتح الواو، والطاء، وبالمدة^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَقُومُوا لِلَّهِ﴾؛ أي: أخلص للقول، وأسمع له؛ لأنَّ الليل تهدأ فيه الأصوات فتخلص القراءة، ويفرغ القلب لفهم التلاوة، فلا يكون دون سمعه وتفهمه حائل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾؛ أي: فراغاً لنومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك، قاله ابن عباس، وعطاء.

[٨٠٦/ب]

وقرأ يحيى بن يعمر^(٢)، وابن مسعود، وأبو عمران، وابن أبي عبلة: "سبخاً" بالخاء المعجمة^(٣).

قال الزجاج: ومعناها في اللغة صحيح، يُقال: قد سبخت القطن بمعنى: نفشته، ومعنى نفشته: وسعته، فيكون المعنى^(٤): إنَّ لك في النهار توسعاً طويلاً^(٥).

(١) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٤.

(٢) في (ر): علي.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "تفسير الطبري" ٦٨٧/٢٣، و"إعراب القرآن" للنحاس ٣٩/٥، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٤، و"الهداية إلى بلوغ النهاية" لمكي بن أبي طالب ١٢/٧٧٩٤، و"تفسير السمعاني" ٧٩/٦، و"معالم التنزيل" للبخاري ١٦٩/٥، و"المحرر الوجيز" لابن عطية ٣٨٨/٥ كلهم نسبها ليحيى بن يعمر وحده، وزاد ابن عطية عليهم نسبتها لعكرمة.

(٤) في الأصل: فيكون في المعنى، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٤١/٥.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾؛ أَي: بِالنَّهَارِ أَيْضًا ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾^(١)
قال مجاهد: أخلص له إخلاصًا^(٢).

وقال ابن قتيبة: انقطع إليه؛ مِنْ قَوْلِكَ: بتلت الشيء؛ إذا قطعته^(٣).

وقال الزَّجَّاج: انقطع إليه في العبادة، [ومنه]^(٤) قيل لمريم: البتول؛
لأنَّها انقطعت إلى الله تعالى في العبادة. وكذلك صدقة بتلة: منقطعة من
مال المصدق، والأصل في مصدر تبتل تبتلًا^(٥)، وإنما قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَبْتِيلًا﴾^(٦)
محمولٌ على معنى تبتل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو،
وحفص عن عاصم: "ربُّ" بالرَّفع.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم:
بالخفض^(٧)، وما بعد هذا قد سبق^(٨)... إلى قوله تعالى ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا

(١) أخرجه الفريابي وعبد بن حميد، وابن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر
المنثور" ٣١٦/٨، والطبري في تفسيره ٦٨٨/٢٣، والبيهقي في "شعب الإيمان" ١٧٨/٩.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٩٤.

(٣) من سائر النسخ.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/٢٤١.

(٥) في (ر): بالكسر.

(٦) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥٨، و"معاني القراءات"
للأزهري ٣/١٠٠، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/٣٣٦، و"حجة
القراءات" لابن زنجلة ص ٧٣١.

(٧) سبق في سورة الشعراء، آية: ٢٨.

يَقُولُونَ ﴿مِنَ التَّكْذِيبِ لَكَ وَالْأَذَى﴾ ﴿وَأَهْجَرُهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ لا جزع فيه.

وهذه الآية [عند المفسرين] ^(١) منسوخة بآية السيف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَذَرْنِي وَالْكَذِبِينَ﴾؛ أي: لا تهتم بهم فأنا أكفيكمهم ﴿أَوَّلَى النِّعْمَةِ﴾ يعني: التنعم.

وفيمن عني بهذا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم المطعمون ببدر، قاله مقاتل بن حيان ^(٢).

والثاني: أنهم بنو المغيرة بن عبد الله، قاله مقاتل بن سليمان ^(٣).

والثالث: أنهم المستهزئون ^(٤)، وهم صناديد قريش، حكاه الثعلبي ^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَهْلِكُ قَلِيلًا﴾ قالت عائشة: فلم يكن إلا السير حتى كانت وقعة بدر ^(٦).

وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، وليس بصحيح.

(١) من سائر النسخ.

(٢) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٦٣/١٠، والبغوي في "معالم التنزيل" ١٦٩/٥.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤٧٦/٤.

(٤) في الأصل: المشهورين، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) "الكشف والبيان" للثعلبي ٦٣/١٠.

(٦) أخرجه أبو يعلى في "مسنده" ٥٦/٨ (٤٥٧٨)، والطبري في "تفسيره" ٦٩٠/٢٣، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" ٣١٨/٨، والحاكم في "مستدركه" ٥٨/٥ وصححه، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٩٥/٣.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ (أي: عندنا في الآخرة أنكالاً)^(١)؛ وهي القيود، واحدها: نكل، وقد شرحنا معنى الجحيم في البقرة [آية: ١١٩].

﴿وَلَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ وهو الذي لا يسوغ في الخلق.

وفيه للمفسرين أربعة أقوال:

أحدها: أنه شوك يأخذ بالخلق^(٢) فلا يدخل ولا يخرج، قاله ابن عباس، وعكرمة.

والثاني: الزقوم، قاله مقاتل^(٣).

والثالث: الضريع، قاله الزجاج^(٤).

والرابع: الزقوم والغسلين والضريع، حكاه الثعلبي^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ﴾ قال الزجاج: هو منصوب بقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾، والمعنى: ننكل بالكافرين ونعذبهم^(٦)^(٧). ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ﴾ أي: تزلزل، وتحرك أغلظ حركة.

(١) ليست في (ر).

(٢) في (ر): الخلق.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٧٧.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٢.

(٥) "الكشف والبيان" للثعلبي ١٠/ ٦٣.

(٦) في (ر): ينكل الكافرين ويعذبهم.

(٧) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٢.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَاثَتْ الْجِبَالُ﴾ قال مقاتل: المعنى: وصارت بعد الشدة، والقوة^(١). ﴿كَيْبًا﴾ قال الفراء: "الكثيب" الرمل. و"المهيل": الذي تحرك أسفله، فينهال عليكم من أعلاه، والعرب تقول: مهيل ومهيول، ومكيل ومكيول^(٢).

وقال الزَّجَّاج: الكثيب جمعه: كَثبان؛ وهي القطع العظام من الرمل. والمهيل: السائل^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يغني: أَهْلَ مَكَّةَ ﴿رَسُولًا﴾ يغني: مُحَمَّدًا ﷺ ﴿شَهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ بالتبليغ وإيمان مَنْ آمَنَ، وكَفَرَ مَنْ كَفَرَ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ وهو موسى عليه السلام.

والوبيل: الشَّدِيدُ. قال ابن قتيبة: هو من قولك: استوبلت المكان؛ [إذا استوخته. ويقال] ^(٤): كَلًّا مُستوبِل؛ [أي] ^(٥): لا يستمر^(٦).

قال الزَّجَّاج: الوibil: الثَّقیل الغلیظ جدًّا، ومنه قيل للمطر العظیم: وابل^(٧).

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٧٧.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٩٨.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٢.

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) من سائر النسخ.

(٦) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٩٤.

(٧) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٢.

[٨٠٧/أ] قال مقاتل: والمراد بهذا الأخذ الويل: الغرق، وهذا تخويف لكفار

مكة أن ينزل بهم العذاب لتكذيبهم، كما نزل بفرعون^(١).

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَنْقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾؛ أي: عذاب يوم.

وقال الزجاج: المعنى: بأي شيء تحصنون من عذاب يوم من هو له يشيب الصغير من غير كبير^(٢).

وقرأ أبي بن كعب، وأبو عمران: "تَجْعَلُ الْوِلْدَانَ" بالنون^(٣).

قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ قال الفراء: السماء تذكر وتؤنث، وهي هاهنا في وجه التذكير، قال الشاعر [من الوافر]:

فَلَوْ رَفَعَ السَّمَاءُ إِلَيْهِ قَوْمًا لَحَقْنَا بِالسَّمَاءِ مَعَ السَّحَابِ^(٤)

قَالَ الزَّجَّاجُ: وتذكير السماء على ضربين:

أحدهما: على أن معنى السماء معنى السقف.

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٧٧.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٢.

(٣) قراءة شاذة، ذكرها الحافظ عبد الرازق الرسعني في "رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" ص ٤٣٠.

(٤) البيت من الوافر، نسبه: أبو عبيدة في "شرح نقائض جرير والفرزدق" ٣/ ١١٠٤، وبيان الحق الغزنوي في "باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن" ٣/ ١٥٧٣ للفرزدق، وهو في "ديوانه" شرحه وضبطه وقدم له: الأستاذ/ علي فاعور ص ٣٤، وفيه (الإله) بدل (السماء).

وفي "كتاب فيه لغات القرآن" للفراء ص ١٤٧: أنشدني بعض بني تميم. ثم ذكره.

والثاني: على قولهم: امرأة مرضع على جهة النسب. فالمعنى: السماء ذات انقطاع، كما أن المرضع ذات الرضاع^(١).
وقال ابن قتيبة: ومعنى الآية: السماء منشق به؛ أي: فيه^(٢)، يعني في ذلك اليوم.

قوله تعالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ وذلك أنه وعد بالبعث فهو كائن لا محالة.
﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ نَّخْصُوهُ فَنَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَ مَا يَنْسَرَمِنَ الْقُرْآنُ إِن عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ ۖ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ وَ مَا يَنْسَرَمِنَهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا اللَّهَ قُرْصًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ١٩ - ٢٠].

﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ يعني: آيات القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: تذكير وموعظة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ بالإيمان والطاعة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾؛ أي: أقل ﴿مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ﴾
وقرأ ابن كثير، وأهل الكوفة: بفتح الفاء والشاء، والباقون: بكسرهما^(٣).

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٤٣/٥.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٩٤.

(٣) كلنا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥٨، و"معاني القراءات" للأزهري ١٠٠/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٣٦/٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٣١.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ يعني: المؤمنين ﴿وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يعلم مقاديرهما فيعلم القدر الذي تقومونه^(١) من الليل.

﴿عَلِمَ أَنَّ لَنُخْصُوهُ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: لن تطيقوا قيام ثلثي الليل، ولا ثلث الليل، ولا نصف الليل، قاله مقاتل^(٢).

والثاني: لن تحفظوا مواقيت الليل، قاله الفراء.

﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عاد عليكم بالمغفرة والتخفيف ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ﴾ عليكم ﴿مِنَ الْقُرْآنِ﴾ يعني: في الصلاة من غير أن يوقت وقتاً.

وقال الحسن: هو ما يقرأ في صلاة المغرب والعشاء^(٣).

ثُمَّ ذَكَرَ أَعْذَارَهُمْ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَى﴾ فلا يطيقون قيام الليل، ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ وهم المسافرون للتجارة ﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: من رزقه، فلا يطيقون قيام الليل.

﴿وَأَخْرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المجاهدون، فلا يطيقون قيام الليل، ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ وذكروا أن هذا نسخ عن المسلمين بالصلوات الخمس، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: الصلوات

(١) في (ر): تقومون به.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/٤٧٨.

(٣) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/٦٥، والواحدي في "البيضا" ٢٢/٣٨٦، والبعثي في "معالم التنزيل" ٥/١٧٠.

الخمس في أوقاتها.

﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقد سبق بيانه. قال ابن عباس: يريد سوى الزكاة في صلة الرَّحِم، وقرى الضيف^(١).

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ أي: تجدوا ثوابه في الآخرة ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ قال أبو عبيدة: المعنى: تجدوه خيرًا^(٢). قال الزَّجَّاج: ودخلت "هو" فصلاً^(٣). وقال المفسرون: ومعنى "خيرًا"؛ أي: أفضل مما أُعطيتم ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ من الذي تؤخرونه إلى وقت الوصية عند الموت.

(١) ذكره الواحدي في "البيسط" ٣٧٨/٤، و"البيسط" ٣٨٨/٢٢، والبغوي في "معالم التنزيل" ١٧٢/٥.

(٢) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢٧٤/٢.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٤٤/٥.

سُورَةُ الْمَدَّثَرِ

وهي مكيةٌ بإجماعهم.

وقال مقاتل: فيها من المدني آية، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيَ الْمَدَّثَرُ (١) قُرْآنًا ذَرًّا (٢) وَرَبِّكَ فَكْبَرُ (٣) وَيَا بَكَ فَطَفِرْ (٤) وَالْجَزَاءُ فَهَجْرُ (٥) وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نَقَرُ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَيسٍ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ بَاسٍ (١٠) ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا مَمْدُودًا (١٢) وَبَيْنَ شُهُودًا (١٣) وَمَهْدَتْ لَهُ تَمَهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُلْتُ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُلْتُ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ (٢٣) وَأَسْتَكْبَرَ (٢٤) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٥) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٦) سَأُضْلِيهِ سَقَرًا (٢٧) وَمَا أَذْرِيكَ مَا سَقَرُ (٢٨) لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرُ (٢٩) لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٣٠) عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ (٣١) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً (٣٢) وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَرَدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَيْنَا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ (٣٣) كَلَّا وَالْقَبَرِ (٣٤) وَأَيُّلُ إِذْ أَدْبَرَ (٣٥) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٦) إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ (٣٧) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٨) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِدَ ۚ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۚ﴾

[المدثر: ١ - ٣٧].

فَأَمَّا سَبَبُ نَزُولِهَا: فروى البخاري ومسلم في "صحيحيهما" من

حديث جابر بن عبد الله قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال: "جَاوَزْتُ بِحِرَاءِ [٨٠٧/ب] شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي، نَزَلْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَتَوَدَيْتُ، فَنَظَرْتُ أَمَامِي، وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا، ثُمَّ تَوَدَيْتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا هُوَ فِي الْهَوَاءِ يَغْنِي: جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَقْبَلْتُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثُرُونِي دَثُرُونِي. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ﴾ (١) ﴿قَدْ أَنْذَرْتُ﴾ (١).

قال المفسرون: فلما رأى جبريل وقع مغشيًا عليه، فلما أفاق دخل إلى خديجة، ودعا بماء فصبّه عليه، وقال: "دَثُرُونِي" فدثروه بقطيفة، فأتاه جبريل فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ﴾.

وقرأ أبي بن كعب، وأبو عمران، والأعمش: "الْمُدَّثِرُ" بإظهار التاء (٢)، وقرأ أبو رجاء، وعكرمة، وابن يعمر: "المدثّر" بحذف التاء، وتخفيف الدال (٣).

قال اللغويون: وأصل "المدثر": المدثر، فأدغمت التاء، كما ذكرنا في المتزمل، وهذا قول (٤) الجمهور من التدثير بالثياب.

(١) "صحيح البخاري (٤٩٢٢)، و"صحيح مسلم" (١٦١).

(٢) قراءة شاذة، ذكرها ابن خالويه في "مختصر في شواذ القرآن" ص ١٦٤ ولم ينسبها لأحد، والسمين الحلبي في "الدر المصون" ١٠/ ٥٣٣، وابن عادل الدمشقي في "اللباب في علوم الكتاب" ١٩/ ٤٩٠ ونسبها لأبي.

(٣) قراءة شاذة، ذكرها ابن خالويه في "مختصر في شواذ القرآن" ص ١٦٤، وابن جني في "المحتسب" ٢/ ٣٢٥ لعكرمة.

(٤) في (ر): وهذا في قول.

وقيل: المعنى: ﴿يَأْتِيَا الْمَذْنُورَ﴾ بالنبوة، وأنقأها. قال عكرمة: دثرت هذا الأمر فقم به^(١).

قوله تعالى: ﴿قُرْآنُكَ ذِكْرٌ لِّكَ كَفَّارَ مَكَّةَ الْعَذَابِ إِن لَّمْ يُؤْخَذُوا﴾ وَرَبِّكَ فَكَّرٌ؛ أي: عظمه عما يقول عبدة الأوثان.

﴿وَيَا بَكَ فَطَعْرٌ﴾ فيه ثمانية أقوال:

أحدها: لا تلبسها على معصية، ولا على غدر، قال غيلان بن سلمة الثَّقَفِي [من الطويل]:

وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا ثَوْبَ فَاجِرٍ لِّسْتُ وَلَا مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ^(٢)
رَوَى هذا المعنى عكرمة عن ابن عباس.

والثاني: لا تكن ثيابك من مكسبٍ غير طاهر، روي عن ابن عباس أيضًا.

والثالث: طهّر نفسك من الذنب، قاله مجاهد، وقتادة، ويشهد له قول عنتره [من الكامل]:

فَشَكَّكْتُ بِالرُّمَحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْفَنَاءِ بِمُحَرَّمٍ^(٣)

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٢٣٥/٢٠ (٣٧٧١٤)، ومحمد بن نصر المروزي كما في "الدر المنثور" ٣١٣/٨، والطبري في "تفسيره" ٩/٢٣.

(٢) البيت من الطويل، أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في "الدر المنثور" ٣٢٦/٨، وأبو بكر ابن الأنباري في "إيضاح الوقف والابتداء" ٦٣/١ (٩٦)، والطبري في "تفسيره" ٩/٢٣، ١٠ عن ابن عباس أنه ذكره لغيلان بن سلمة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَا بَكَ فَطَعْرٌ﴾.

(٣) البيت من الكامل، وهو في "شرح ديوان عنتره" للخطيب التبريزي ص ١٧٤، وفيه =

أي: نفسه، وهذا مذهب ابن قتيبة.

قال: المعنى: طَهَّرَ نَفْسَكَ مِنَ الذُّنُوبِ، فكنى عن الجسم بالثياب؛ لأنها تشتمل عليه^(١)، قالت ليلي الأخيلية وذكَّرتُ إِبِلًا [من الطويل]:
رَمَوْهَا بِأَثْوَابٍ خِفَافٍ فَلَا تَرَى لَهَا شَبَهًا إِلَّا النَّعَامَ الْمُتَفَرِّجًا^(٢)
أي: ركبوها، فرموها بأنفسهم. والعرب تقول للعفاف: إزاره؛ لأنَّ العفيف كأنه استتر لما عَفَّ.

والرَّابِع: وعَمَلَكَ فَأَصْلَحَ، قاله الضَّحَّاك.

والخامس: خَلَقَكَ فَحَسَنَ، قاله الحسن والقرظي.

والسَّادس: وَثِيَابَكَ فَقَصَّرَ وَشَمَّرَ، قاله طاووس.

والسَّابع: قَلْبَكَ فَطَهَّرَ، قاله سعيد بن جبير، ويشهد له قولُ امرئ القيس [من الطويل]:

=الشطرا الأول:

كَمَشْتُ بِالرُّمَحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ

وذكره أيضًا: ابن قتيبة في "المعاني الكبير" ٤٨٦/١، وكراع النمل في "المنتخب من غريب كلام العرب" ص ٦٤٨، وابن دريد في "جمهرة اللغة" ١٣٩/١، وأبو بكر الأنباري في "الزاهر في معاني كلمات الناس" ٤٣١/١.

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٩٥.

(٢) البيت من الطويل، وهو في "المعاني الكبير" لابن قتيبة ٤٨٦/١، و"الصناعتين" لأبي هلال العسكري ص ٣٥٣، و"الفائق في غريب الحديث والأثر" ٤٠/١، و"أساس البلاغة" ١١٨/١ للزنجشري منسوبًا ليلي الأخيلية، وفي "تهذيب اللغة" للأزهري ١١٢/١٥ منسوبًا للشماخ.

فَإِنْ يَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنْي خَلِيقَةٌ فَسُلي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلِ^(١)
أي: قلبي من قلبك.

والثامن: اغسل ثيابك بالماء، ونقّها، قاله ابن سيرين، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَالرَّجَزَ فَاهْجُرْ﴾ قرأ الحسن، وأبو جعفر، وشيبة، وعاصم،
إلا أبا بكر، [ويعقوب]^(٢)، وابن محصين، وابن السميع: "والرَّجَزَ" بضم
الراء. وقرأ^(٣) الباكون: بكسرها^(٤). ولم يختلفوا في غير هذا الموضع.

قال الزّجاج: ومعنى القراءتين واحد^(٥). وقال أبو علي: قراءة الحسن
بالضّم، وقال: هو اسم صنم^(٦). (واقفه قتادة وقال)^(٧): صنمان؛ إساف
ونائلة^(٨). ومن كسر، فالرجز: العذاب، فالمعنى: ذو العذاب فاهجر.

(١) البيت من الطويل، وهو في "ديوان امرئ القيس" اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي
ص ٣٣، وفي "العين" للخليل بن أحمد ٢٥٧/٧ شطره الثاني، وذكره ابن عبدربه في
"العقد الفريد" ١٩٤/٦، ٢٠٤، وأبو الفرج الأصفهاني في "الأغاني" ٨٥/٩.

(٢) من سائر النسخ.

(٣) ليست في (ر).

(٤) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥٩، و"معاني القراءات"
للأزهري ١٠٢/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٣٨/٦، و"حجة
القراءات" لابن زنجلة ص ٧٣٣.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٤٥/٥.

(٦) "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٣٨/٦.

(٧) في (ر): وقال قتادة.

(٨) أخرجه الطبري في "تفسيره" ١٣/٢٣.



وفي معنى "الرجز" للمفسرين ستة أقوال:

أحدها: أنه الأصنام، والأوثان، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والزهرى، والسدي، وابن زيد.

[٨٠٩/أ]

والثاني: أنه الإثم، روي عن ابن عباس أيضًا.

والثالث: الشرك قاله ابن جبير، والضحاك.

والرابع: الذنب، قاله الحسن.

والخامس: العذاب، قاله ابن السائب.

قال الزجاج: الرجز في اللغة: العذاب. ومعنى الآية: اهجر ما يؤدي إلى عذاب الله^(١).

والسادس: الشيطان، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْكَرُ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: لا تعط عطية تلتبس بها أفضل منها، قاله ابن عباس، وعكرمة، وقتادة.

قال المفسرون: معناه: أعط لربك وأرد به الله، فأدبه بأشرف الآداب.

ومعنى ﴿وَلَا تَمْنُنْ﴾: لا تعط شيئاً من مالك لتعطى أكثر منه، وهذا الأدب للنبي ﷺ خاصة، وليس على أحد من أمته إثم أن يهدي هدية يرجو بها ثواباً أكثر منها.

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٥.

والثاني: لا تمنن بعملك تستكثره على ربك، قاله الحسن.
والثالث: لا تضعف عن الخير أن تستكثر منه، قاله مجاهد.
والرابع: لا تمنن على الناس بالنبوة لتأخذ عليها منهم أجرًا، قاله ابن زيد.

﴿وَلِرَبِّكَ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: لأجل ربك.

والثاني: لثواب ربك.

والثالث: لأمر ربك.

والرابع: لوعد ربك.

﴿فَأَصْبِرْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: على طاعته وفرائضه.

والثاني: على الأذى والتكذيب.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الْنَّافُورِ﴾؛ أي: نفخ في الصور.

وهل هذه النفخة هي الأولى أو الثانية؟ فيها^(١) قولان.

﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾؛ أي: يعسر الأمر فيه ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾:

غير هين ﴿ذَرْنِي﴾ قد شرحناه في المزمّل. ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾؛ أي: ومن خلقته.

(١) في (ر): فيه.

﴿وَحِيدًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: خلقتة وحيدا في بطن أمه لا مال له ولا ولد، قاله مجاهد.

والثاني: خلقتة وحدي لم يشركني في خلقه أحد، قاله الزجاج^(١).

قال ابن عباس: جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقى له فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: يا عم! إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله. فقال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له. قال: فماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، فوالله ما يشبهها الذي يقول، والله إن لقوله حلاوة، وإن لقوله^(٢) طلاوة، وإنه لثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما^(٣) يعلى. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر فيه؛ فقال: ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّؤْتَرٌ﴾، يآثره عن غيره. فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ الآيات كلها^(٤).

وقال مجاهد: قال الوليد لقريش: إن لي إليكم حاجة فاجتمعوا في دار الندوة. فقال: إنكم ذوو أحساب وأحلام، وإن العرب يأتونكم، وينطلقون

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٦.

(٢) في (ر)، و(س): عليه.

(٣) في (ر): ولا.

(٤) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" ٢/ ٥٩٦ وقال: صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه. والبيهقي في "دلائل النبوة" ٢/ ١٩٨، وصححه الألباني في "صحيح السيرة النبوية" ص ١٥٨.

من عندكم على أمر مختلف، فأجمعوا على شيء واحد. ما تقولون في هذا الرجل؟ قالوا: نقول إنه شاعر. فعبس عندها، وقال: قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر. فقالوا: نقول: إنه كاهن. قال: إذن يأتونه فلا يجدونه يحدث بما يحدث به الكهنة. قالوا: نقول: إنه مجنون. قال: إذن يأتونه فلا يجدونه مجنوناً. فقالوا: نقول: إنه ساحر. قال: وما السحر^(١)؟ قالوا: بشرٌ يُحِبُّون بين المتباغضين ويبغضون بين المتحابين. قال: فهو ساحرٌ. فخرجوا لا يلقي أحدٌ منهم النبي ﷺ إلا قال: يا ساحر. فاشتد ذلك عليه، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدَنُورُ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾^(٢).

وذكر بعض المفسرين: أن قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ منسوخٌ بآية السيف، ولا يصح.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ في معنى الممدود ثلاثة أقوال:

أحدها: كثيراً، قاله أبو عبيدة^(٣).

والثاني: دائماً، قاله ابن قتيبة^(٤).

والثالث: غير منقطع، قاله الزجاج^(٥).

(١) في (ر): الساحر.

(٢) أخرجه الواحدي في "الوسيط" ٣٨٣/٤.

(٣) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/٢٧٥.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٩٦.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/٢٤٦.

وللمفسرين في مقداره أربعة أقوال:

أحدها: غلة شهر بشهر، قاله عمر بن الخطاب.

والثاني: ألف دينار، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير.

قال الفرّاء: ونرى أنَّ الممدود جعل غاية للعدد؛ لأنَّ "ألف" غاية للعدد يرجع في أول العدد من الألف^(١).

والثالث: أربعة آلاف، قاله قتادة.

والرابع: أنه بستان كان له بالطائف لا ينقطع خيرُه شتاءً و[لا]^(٢) صيفًا، قاله مقاتل^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾؛ أي: حضروا معه لا يحتاجون إلى التصرف والسفر فيغيبوا عنه.

وفي عددهم أربعة أقوال:

أحدها: عشرة، قاله مجاهد، وقتادة.

والثاني: ثلاثة عشر، قاله ابن جبير.

والثالث: اثنا عشر، قاله السُّدي.

(١) "معاني القرآن" للفرّاء ٣/ ٢٠١.

(٢) من (ر).

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٩٤.

والرابع: سبعة، قاله مقاتل^(١).

﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾؛ أي: بسطت له العيش، وطول العمر.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يطمع أن أدخله الجنة، قاله الحسن.

والثاني: أن أزيده من المال والولد، قاله مقاتل^(٢).

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾؛ أي: لا أفعل، فمنعه الله المال والولد حتى مات فقيرًا ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾؛ أي: معانداً.

وفي المراد بالآيات هنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه القرآن، قاله ابن جبير.

والثاني: الحق، قاله مجاهد.

والثالث: رسول الله ﷺ، قاله السُّدي.

قوله تعالى: ﴿سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا﴾ قال الزَّجَّاج: سأحمّله على مشقة من العذاب^(٣). وقال غيره: سأكلّفه مشقة من العذاب لا راحة له منها.

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٩٤ وقد ذكر أسماءهم دون أن يذكر عددهم، وهم كما ذكرهم: الوليد بن الوليد، وخالد بن الوليد، - وهو سيف الله أسلم بعد ذلك - وعمارة بن الوليد، وهشام بن الوليد، والعاص بن الوليد، وقيس بن الوليد، وعبد شمس بن الوليد.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٩٤.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٦.

وقال ابن قتيبة: "الصعود": العقبة الشاقة^(١)، وكذلك "الكؤود"، وفي حديث أبي سعيد عن نبي الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿سَازِهَقُهُ صَعُودًا﴾ قال: "جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يُكَلَّفُ أَنْ يَصْعَدَهُ، فَإِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَيْهِ^(٢) ذَابَتْ، فَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ. يَصْعَدُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، ثُمَّ يَهْوِي فِيهِ كَذَلِكَ أَبَدًا"^(٣).

وذكر ابن السائب: أنه جبل من صخرة ملساء في النار، يُكَلَّفُ أَنْ يَصْعَدَهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَعْلَاهَا أَحْدَرَ إِلَى أَسْفَلِهَا، ثُمَّ يُكَلَّفُ أَنْ يَصْعَدَهَا، فَذَلِكَ دَائِبُهُ أَبَدًا، يَجْذِبُ مِنْ أَمَامِهِ سِلَاسِلُ الْحَدِيدِ، وَيَضْرِبُ مِنْ خَلْفِهِ بِمَقَامِعِ الْحَدِيدِ، فَيَصْعَدُهَا فِي أَرْبَعِينَ سَنَةً^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾؛ أي: تفكر ماذا يقول في القرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ القول في نفسه ﴿فَقِيلَ﴾؛ أي: لعن ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾^(٥) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ؛ أي: لعن على أي حال قدر ما قدر من الكلام. وقيل: "كيف" هاهنا بمعنى التعجب والإنكار والتوبيخ. وإنما كرّر تأكيدًا.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في طلب ما يدفع به القرآن، ويرده: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ قال اللغويون: أي: كره وقطب وجهه. يقال: بسر الرجل وجهه؛ أي: قبضه، وأنشدوا التوبة [من الطويل]:

[٨١٠/أ]

(١) "تاويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ص ٢٤٤.

(٢) في (م): عليها.

(٣) أخرجه هناد كما في "الدر المشور" ٣٣٠/٨، والواحيدي في "الوسيط" ٣٨٢/٤ (١٢٥٦)، والبيهقي في "البعث والنشور" (٤٧١، ٤٧٢).

(٤) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٥٤/١٠، والواحيدي في "الوسيط" ٣٨٢/٤، و"الوسيط" ٣١٣/٢٢، ٤٢٤، والبغوي في "معالم التنزيل" ١٧٥/٥ - ١٧٦.

وَقَدْ رَأَيْتَنِي مِنْهَا صُدُودٌ رَأَيْتُهُ وَإِعْرَاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُسُورُهَا^(١)
قال المفسرون: كره وجهه، ونظر بكراهية شديدة، كالمهتم المتفكر
في الشيء.

﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿وَأَشْتَكَبَ﴾؛ أي: تكبر حين دعي إليه ﴿فَقَالَ إِنَّ
هَذَا﴾؛ أي: ما هذا القرآن ﴿الْأَسْحَرُ بَوُتْرُ﴾؛ أي: يروى عن السحرة، ﴿إِنَّ هَذَا
إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾؛ أي: من كلام الإنس، وليس من كلام الله تعالى، فقال الله تعالى:
﴿سَاطِئِلِهِ سَقَرُ﴾؛ أي: سادخله النار. وقد ذكر "سقر" في سورة القمر.

﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرُ﴾ لعظم شأنها ﴿لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ﴾؛ أي: لا تبقي لهم لحماً
إلا أكلته، ولا تذرهم إذا أعيدوا خلقاً جديداً ﴿لَوَاطِئُ﴾؛ أي: مغيرة، يقال:
لاحته الشمس؛ أي: غيرته، وأنشدوا [من الرجز]:

يَا ابْنَةَ عَمِّي لَا حَنِيَّ الْهَوَاجِرُ^(٢)

وقرأ ابن مسعود، وابن السميع، وابن أبي عبله: "لواحة" بالنصب^(٣).

(١) البيت من الطويل، وهو في "الأمالي في لغة العرب" لأبي علي القالي ٨٨/١، و"أشعار
النساء" للمرزباني ص ٥٤، ١٣١ منسوبة لتوبة.

(٢) هذا من مشطور الرجز، وهو في "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/٢٥، ٢٧٥، و"الزاهر في
معاني كلمات الناس" لأبي بكر الأنباري ص ٢٦٦ دون نسبة، وفي "الزاهر" قبله:
تَقُولُ مَا لَاحَكَ يَا مُسَافِرُ

(٣) قراءة شاذة، ذكرها ابن خالويه في "مختصر في شواذ القرآن" ص ١٦٥ وقال: حكاها
أبو معاذ. وأبو القاسم الهذلي في "الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها"
ص ٦٥٣ وزاد نسبتها للزعفراني، وأبر حيان في "البحر المحيط" ١٠/٣٣٢، والسمين
الحلبسي في "الدر المصون" ١٠/٥٤٥ وزاد نسبتها للعوفي وزيد بن علي والحسن.

وفي البشر قولان:

أحدهما: أنه جمع بشرة، وهي جلدة الإنسان الظاهرة، وهذا قول مجاهد، والفراء، والزجاج^(١).

والثاني: أنهم الإنس من أهل النار، قاله الأخفش، وابن قتيبة^(٢)، في آخرين.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ وهم خزائنها، مالك ومعه ثمانية عشر، أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، يسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر، قد نزعت منهم الرحمة.

فلما نزلت هذه الآية قال أبو جهل: يخوفكم محمدٌ بتسعة عشر، أمأله من الجنود إلا هؤلاء؟ أيعجز كل عشرة منكم أن يبطش بواحدٍ منهم؟ ثم يخرجون من النار.

وقال أبو الأشدين: - قال مقاتل: اسمه: أسيد بن كلدة. وقال غيره: كلدة بن خلف الجمحي: - يا معشر قريش! أنا أمشي بين أيديكم فأرفع عشرة بمنكبي الأيمن، وتسعة بمنكبي الأيسر، فندخل الجنة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾^(٣) لا آدميين فمن يطيقهم ومن يغلبهم؟

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٢٠٣، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٧.

(٢) ينظر: "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٩٧، و"معاني القرآن" للأخفش ٢/ ٥٥٦ عند تفسيرهما هذه الآية ليس فيهما ما ذكره المصنف.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٩٧، وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٤/ ٢٨ بنحوه عن =

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ في هذه القلّة ﴿الْإِفْتَنَةِ﴾؛ أي: ضلالة ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حتى قالوا ما قالوا: ﴿لَيْسَتِيقِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أن ما جاء به محمد حق؛ لأن عددهم^(١) في التوراة تسعة عشر.

﴿وَيَزِدَادُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَانًا﴾؛ أي: تصديقًا بمحمد ﷺ إذ وجدوا ما يخبرهم موافقًا لما في كتابهم.

﴿وَلَا يَزْنَابُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: ولا يشك هؤلاء في عدد الخزنة.

﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه النفاق، ذكره الأكثرون.

والثاني: أنه الشك، قاله مقاتل^(٢).

وزعم أنهم يهود أهل المدينة، وعنده أن هذه الآية مدنيّة.

والثالث: أنه الخلاف، قاله الحسين بن الفضل. وقال: لم يكن بمكة

نفاق. وهذه مكية^(٣). فأما "الكافرون": فهم مشركو العرب.

﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ﴾؛ أي: أي شيء أراد الله؟ ﴿بِهَذَا﴾ الحديث والخبر ﴿مَثَلًا﴾

والمثل يكون بمعنى الحديث نفسه، ومعنى الكلام: يقولون: ما هذا من

الحديث [٨١٠/ب] ﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: كما أضل من أنكر عدد الخزنة، وهدى من صدق.

= ابن عباس وقتادة.

(١) في (ر): عدتهم.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/٤٩٨.

(٣) ذكره الواحدي في "البيسط" ٢٢/٤٤٠، وابن عطية في "المحرر الوجيز" ٥/٣٩٦.

﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وأنزل في قول أبي جهل أما لمحمّد من الجنود إلا تسعة عشر: ﴿وَمَا يَقْلُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني: من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار. وذلك أن لكل واحد من هؤلاء التسعة عشر من الأعوان ما لا يعلمه إلا الله.

وذكر الماوردي في وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر قولاً محتملاً، فقال: التسعة عشر: عدد يجمع أكثر القليل، وأقل الكثير؛ لأن الأحاد أقل الأعداد، وأكثرها تسعة، وما سوى الأحاد كثير. وأقل الكثير: عشرة، فوقع الاختصار على عدد يجمع أقل الكثير، وأكثر القليل^(١).

ثم رجع إلى ذكر النار فقال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: ما النار في الدنيا إلا مذكرة بنار^(٢) الآخرة ﴿كَلَّا﴾ أي: حقاً.

﴿وَالْقَمَرِ﴾^(٣) وأبيل إذا دبّر ﴿قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: "إذا أدبّر"، وقرأ نافع، وحمة، وحفص، والفضل عن عاصم، ويعقوب، وخلف^(٤): "إذ" بسكون الدال من غير ألف بعدها "أدبّر" بسكون الدال وبهمزة قبلها^(٥).

وهل معنى القراءتين واحد، أم لا؟ فيه قولان:

(١) "النكت والعيون" للماوردي ٦/ ١٤٤.

(٢) في (ر): لنار.

(٣) ليس في (ر).

(٤) كلتا القراءتين سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٥٩، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ١٠٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٣٨، و"حجة =

أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد. يقال: دبر الليل، وأدبر. ودبر الصيف وأدبر، هذا قول الفراء، والأخفش^(١)، وثعلب.

والثاني: أن "دبر" بمعنى: خلف، "وأدبر" بمعنى: ولي، يُقال: دبرني فلان؛ جاء خلفي، وإلى هذا المعنى ذهب أبو عبيدة وابن قتيبة^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِذَا أَسْفَرَ﴾ أي: أضاء وتبين ﴿إِنَّهَا﴾ يعني: سَقَر ﴿لَا خَذَى الْكُبرِ﴾ قال ابن قتيبة: الكُبر، جمع كبرى، مثل الأول، والأولى، والصُّغَر، والصُّغرى، وهذا كما يُقال: إنها لإحدى العظام^(٣).

قال الحسن: والله ما أنذر الله شيء أدهى منها^(٤).

وقال ابن السائب، ومقاتل: أراد بالكُبر: دركات جهنم السبعة^(٥).

قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ قال الزجاج: نصب "نذيرًا" على الحال. والمعنى: إنها لكبيرة في حالة الإنذار، وذكر "النذير"؛ لأن معناه معنى العذاب. ويجوز أن يكون "نذيرًا" منصوبًا متعلقًا بأول السورة، على

=القراءات "لابن زنجلة ص ٧٣٣.

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٢٠٤، و"معاني القرآن" للأخفش ٢/ ٥٥٥.

(٢) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٥ - ٢٧٦، و"غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٩٧.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٩٧.

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٤/ ٣٤.

(٥) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٩٨ - ٤٩٩، وذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٨٥،

والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٧٨ عنهما.

معنى: قم نذيرًا للبشر^(١).

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿لِلْبَشَرِ﴾.

﴿أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أن يتقدم في طاعة الله أو يتأخر عن معصيته، قاله ابن جريج.

والثاني: أن يتقدم إلى النار، أو يتأخر عن الجنة، قاله السدي.

والثالث: أن يتقدم في الخير، أو يتأخر إلى الشر، قاله يحيى بن سلام.

والرابع: أن يتقدم في الإيمان، أو يتأخر عنه. والمعنى: أن الإنذار قد

يحصل^(٢) لكل أحد ممن أقر أو كفر.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ (٣٨) ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ (٣٩) ﴿فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ﴾ (٤٠) ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٤١) ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٢) ﴿قَالُوا لَوْ نَكُنَّ مِنَ الْمُصْلِينَ﴾ (٤٣) ﴿وَلَوْ نَكُنَّ نَظِيمُ الْمُسْكِينِ﴾ (٤٤) ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ (٤٥) ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ بَيَّوَاتٍ مِنَ الْأَقْبَانِ﴾ (٤٦) ﴿حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ﴾ (٤٧) ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شِقَعةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٨) ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩) ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ (٥٠) ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (٥١) ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُوفَّى صُحُفًا مُنْشَرَةً﴾ (٥٢) ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٥٣) ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ (٥٤) ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ (٥٥) ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النُّقُولِ وَأَهْلُ الْمَعْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٣٨ - ٥٦].

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٤٩/٥.

(٢) في (ر): حصل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: كل نفس بالغية مرتبهة بعملها لتحاسب عليه.

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾: وهم أطفال المسلمين، فإنه لا حساب عليهم؛ لأنه لا ذنوب لهم، قاله عليٌّ عليه السلام، واختاره الفراء^(١).

والثاني: كل نفس من أهل النار مرتبهة في النار، ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ وهم المؤمنون، فإنهم في الجنة، قاله الضحَّاك.

والثالث: أن^(٢) كل نفس مرتبهة بعملها لتحاسب عليه ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ فإنهم لا يحاسبون، قاله ابن جريج.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَ^(٣) عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: إِذَا خَرَجَ أَهْلُ التَّوْحِيدِ مِنَ النَّارِ قَالَ الْمُؤْمِنُونَ لِمَنْ بَقِيَ فِي النَّارِ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾^(٤).

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَهَذِهِ الْآيَةُ تَقْوِي أَنَّهُمُ الْوُلَدَانُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا الذُّنُوبَ فَيَسْأَلُوا^(٥): ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾؟

قَالَ الْمَفْسُورُونَ: ﴿سَلَكَكُمْ﴾ بِمَعْنَى: أَدْخَلَكُمْ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: مَا حَبَسَكُمْ فِيهَا؟^(٥).

(١) أخرجه الفراء في "معاني القرآن" ٢٠٥/٣.

(٢) ليست في (ر)، و(م).

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤٩٩/٤.

(٤) في (ر)، و(م): فسألوا.

(٥) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤٩٩/٤.

﴿قَالُوا لَنُكَفِّرَنَّ عَنْ الْمُصَلِّينَ﴾ الله في دار الدنيا ﴿وَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْكَ نَفْعُ الْمُسْكِينِ﴾؛ أي: لم نتصدق لله ﴿وَكُنَّا نَحْوَضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ أهل الباطل والكذب ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾؛ أي: بيوم الجزاء والحساب ﴿حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ﴾ وهو الموت.

يقول الله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ وهذا إنما جرى بعد شفاعة الأنبياء والملائكة والشهداء والمؤمنين. وهذا يدل على نفع الشفاعة لمن آمن.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ﴾ يعني: كفَّار قريش حين نفروا من القرآن والتذكير بمواعظه.

والمعنى: لا شيء لهم في الآخرة إذ أعرضوا عن القرآن فلم يؤمنوا به. ثم شبههم في نفورهم عنه بالحمز؛ فقال تعالى: ﴿كَانَ لَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر، والمفضل عن عاصم: بفتح الفاء. والباقون: بكسرها^(١).

قال أبو عبيدة، وابن قتيبة: مَنْ قرأ بفتح الفاء؛ أراد: مذعورة، استنفرت فنفرت. ومن قرأ بكسر الفاء؛ أراد نافرة^(٢).

قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ. وناس من العرب يكسرون الفاء. والفتح أكثر في كلام العرب. وقراءتنا بالكسر، أنشدني

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٦٠، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ١٠٤، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٤١، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٣٤.

(٢) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٦، و"غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٩٨.

الكسائي [من الكامل]:

أَجِسْ حِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفِرٌ فِي إِثْرِ أَحْمِرَةٍ عَمَدَنَ لِعُرْبٍ^(١)
و"عُرْب": موضع.

وفي "القسورة" سبعة أقوال:

أحدها: أَنَّهُ الْأَسَدُ، رواه يوسف بن مهران، عن ابن عباس، وبه قال أبو هريرة، وزيد بن أسلم، وابنه.

قال ابن عباس: الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت منه، فكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ إِذَا سَمِعُوا النَّبِيَّ ﷺ هَرَبُوا مِنْهُ^(٢). وإلى هذا ذهب أبو عبيدة، والزَّجَّاج^(٣).

قال ابن قتيبة: كَأَنَّهُ مِنَ الْقَسْرِ وَالْقَهْرِ، فالأسد يقهر السَّبَاع^(٤).

والثَّانِي: أَنَّ الْقُسُورَةَ، الرَّمَاةَ، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال أبو موسى الأشعري، ومجاهد، وقتادة، والضَّحَّاك، ومقاتل، وابن كيسان^(٥).

(١) "معاني القرآن" للفرأء ٣/٢٠٦، والبيت من الكامل، وهو في "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٩٨، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/٢٥٠، و"تفسير الطبري" ٢٤/٣٩، و"معجم ديوان الأدب" للفرابي ٢/٤٣١ وغيرها دون نسبة.

(٢) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/٣٨٨، و"البيسيط" ٢٢/٤٦١ والبخاري في "معالم التنزيل" ٥/١٨٠.

(٣) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/٢٧٦، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/٢٥٠.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٩٨.

(٥) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/٥٠٠، وأخرجه عن ابن عباس: ابن وهب في التفسير =



والثالث: أن القسورة: حبال الصيادين، رواه عكرمة، عن ابن عباس.

والرابع: أنهم عصب الرجال، رواه أبو حمزة عن ابن عباس.

واسم أبي حمزة: نصر بن عمران الضبعي.

والخامس: أنه ركز^(١) الناس، وهذا في رواية عطاء أيضًا عن ابن عباس.

وركز الناس: حشهم وأصواتهم.

والسادس: أنه الظلمة والليل، قاله عكرمة.

والسابع: أنه النبل، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُوقَىٰ صُحُفًا مُّنتَشَرَةً﴾ فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم قالوا للنبي ﷺ: إن سرك أن تتبعك، فليُصْبَحْ عند رأس كل رجلٍ مِنَّا كتابٌ منشورٌ من الله تعالى إلى فلان بن فلان يؤمر فيه باتباعك^(٢). قاله الجمهور.

[٨١١/ب]

والثاني: أنهم أرادوا براءة من النار أن لا يعذبوا بها، قاله أبو صالح.

=من "جامعه" ١٠ / ١، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٣٣٩ / ٨، والطبري في "تفسيره" ٤٠ / ٢٤، وأخرجه عن مجاهد: عبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٣٣٩ / ٨، وذكره عن بقيتهم الثعلبي في "الكشف والبيان" ٧٨ / ١٠.

(١) في الأصل: ركن، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٤٣ / ٢٤ عن قتادة.

والثالث: أنهم قالوا: كان الرجل إذا أذنب في بني إسرائيل وجده مكتوباً إذا أصبح في رقعة. فما بالناس لا نرى ذلك؟ فنزلت هذه الآية، قاله الفراء^(١).

فقال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يؤتون الصحف ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: لا يخشون عذابها.

والمعنى: أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا الآيات بعد قيام الدلالة.

﴿كَلَّا﴾ أي: حقاً، وقيل: معنى ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كما يريدون ويقولون.

﴿إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ أي: تذكير وموعظة ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ الهاء عائدة على القرآن.

فالمعنى: فمن شاء أن يذكر القرآن ويتعظ به ويفهمه، ذكره.

ثم ردّ المشيئة إلى نفسه؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا أن يريد لهم الهدى ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى﴾ أي: أهل أن يتقى ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أي: أهل أن يغفر لمن تاب.

روى أنس عن رسول الله ﷺ أنه تلا هذه الآية، فقال: "قَالَ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أَهْلُ أَنْ اتَّقَى، فَلَا يُشْرِكُ بِي غَيْرِي. وَأَنَا أَهْلُ لِمَنِ اتَّقَى أَنْ يُشْرِكَ بِي [غَيْرِي]"^(٢) أَنْ أَغْفِرَ لَهُ"^(٣).

(١) "معاني القرآن" للفراء ٢٠٦/٣.

(٢) من (ر).

(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" ٤٣٠/١٩، (١٢٤٤٢)، ١٧٨/٢١، (١٣٣٤٩)، والترمذي في=

سورة القيامة

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ① وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ②﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ تَجْمَعَ عَظَامُهُ ③
بِلَيْ قَدَرَيْنِ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ④ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ⑤ يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ⑥ فَإِذَا بَرَقَ
الْبَصْرُ ⑦ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ⑧ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ⑨ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ الْمَفْرُ ⑩ كَلَّا لَا وَزَرَ ⑪
إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ⑫ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ⑬ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ⑭ وَلَوْ أَلْقَىٰ
مَعَاذِيرَهُ ⑮﴾ [القيامة: ١ - ١٥].

قوله تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ﴾ اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ الْمَعْنَى "أقسم"، واختلفوا في
"لَا" فجعلها بعضهم زائدة؛ كقوله تعالى: ﴿لَتَلَذَّطُنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩]، وجعلها بعضهم توكيداً للقسيم؛ كقولك: لا والله لا أفعل،
وجعلها بعضهم ردّاً على منكري البعث. ويدلُّ عليه أنه "أقسم" على
كون البعث.

قال ابن قتيبة: زيدت "لَا" على نية الرد على المكذبين، كما تقول: لا
والله ما ذاك. ولو حذف جاز، ولكنه أبلغ في الرد^(١).

"سنه" (٣٣٢٨)، وابن ماجه في "سنه" (٤٢٩٩)، والنسائي في "السنن الكبرى"
٣١٧/١٠ (١١٥٦٦)، والدارمي في "سنه" ١٧٩١/٣ (٢٧٦٦)، وابن أبي عاصم في
"السنه" ٤٦٩/٢ (٩٦٩)، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٨٠/١٠. قال الترمذي: هذا
حديث غريب. وحسنه الألباني في تحقيقه "السنه" لابن أبي عاصم.

(١) "مشكل تأويل القرآن" لابن قتيبة ص ١٥٤.

وقرأ ابن كثير إلا ابن فليح: "لأقسم" بغير ألف بعد اللام، فجعلها^(١) لأمًا دخلت على "أقسم" وهي قراءة ابن عباس، وأبي عبد الرحمن، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وابن محيصن^(٢).

قال الزَّجَّاج: من قرأ "لأقسم" فاللام لأم القسم والتوكيد^(٣). وهذه القراءة بعيدة في العربية، لأنَّ لَامَ القسم لا تدخل على الفعل المستقبل إلا مع النون، تقول: لأضربن زيدًا. ولا يجوز: لأضرب زيدًا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ قال الحسن: أقسم بالأولى ولم يقسم بالثانية^(٤). وقال قتادة: حكمها حكم الأولى^(٥).

وفي النفس اللوامة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها المذمومة، قاله ابن عباس.

فعلى هذا: هي التي تلوم نفسها حين لا ينفعها اللوم.

(١) في (ر)، و(م): فجعلت.

(٢) قراءة سبعة متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٦١، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ١٠٥، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٤٣، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٣٥.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٥١.

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٤/ ٤٨، وذكره أبو علي الفارسي في "الحجة للقراء السبعة" ٦/ ٣٤٥، وأبو بكر النيسابوري في "المبسوط في القراءات العشر" ص ٤٥٣، وابن جني في "المحتسب" ٢/ ٢٤١، والواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٩٠، و"البيسط" ٢٢/ ٤٧٤.

(٥) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٤/ ٤٨، وذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ١٥١.

والثاني: أنها النفس المؤمنة، قاله الحسن. قال: لا يُرى المؤمن إلا يلوم نفسه على كل حال^(١).

والثالث: أنها جميع النفوس. قال الفراء: ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيراً. قالت^(٢): هلاً زدت. وإن كانت عملت سوءاً قالت^(٣): ليتني لم أفعل^(٤).

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتَّخَذَ عِظَامُهُ﴾ المراد بالإنسان هاهنا: الكافر. وقال ابن عباس: يريد أبا جهل^(٥).

وقال مقاتل: عدي بن ربيعة، وذلك أنه قال: أجمع الله هذه العظام؟ فقال له النبي ﷺ: "نَعَمْ"، فاستهزأ منه؛ فنزلت هذه الآية^(٦). [٨١٢/أ]

قال ابن الأنباري: وجواب القسم محذوف، كأنه لتبعثن، لتحاسبين، فدلّ قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتَّخَذَ عِظَامُهُ﴾ على الجواب؛ فحذف^(٧).

(١) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور "٣٤٣/٨"، وابن أبي الدنيا في "محاسبة النفس" (٤).

(٢) في (ر): قال.

(٣) في (ر): قال.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٢٠٨/٣.

(٥) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٣٩١/٤، و"البيسط" ٤٧٤/٢٢، و"أسباب النزول" ص ٢٩٦.

(٦) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٥٠٩/٤ - ٥١٠.

(٧) "إيضاح الوقف والابتداء" لأبي بكر الأنباري ٩٥٧/٢.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلَىٰ﴾ وقف حسنٌ، ثم يتبدأ: "قادرين" على معنى: بلى نجمعها قادرين. ويصلح نصب "قادرين" على التكرير بلى فليحسبنا قادرين.

﴿عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً؛ كخف البعير، وحافر الحمار، فيعدم الارتفاق^(١) بالأعمال اللطيفة، كالكتابة والخياطة، هذا قول الجمهور.

والثاني: نقدر على أن نسوي بنانه كما كانت، وإن صغرت عظامها، ومن قدر على جمع صغار العظام، كان على جمع كبارها أقدر، هذا قول ابن قتيبة، والزجاج^(٢). وقد بينا معنى البنان في الأنفال.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرًا مَّامَهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يكذب بها أمامه من البعث والحساب، قاله ابن عباس.

والثاني: يقدم الذنب ويؤخر التوبة، ويقول: سوف أتوب. قاله سعيد بن جبير.

فعلى هذا: يكون المراد بالإنسان: المسلم. وعلى الأول: الكافر.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: متى هو؟ تكذيباً به، وهذا هو الكافر.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ قرأ أهل المدينة، وأبان عن عاصم: "برق" بفتح

(١) في (س): الارتفاق.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٥١، و"تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ص ٢٠٦-٢٠٧.

الراء، والباقون: بكسرهما^(١).

قال الفرّاء: العرب تقول: بَرِقَ البَصْرُ يَبْرُقُ، وبرَقَ يَبْرُقُ، إذا رأى هو لا يفزع منه، و"برِق" أكثر وأجود، قال الشاعر [من المتقارب]:

فَنَفْسِكَ فَانَعَ وَلَا تَنْعِي وَيَدَاوِ الْكُلُومَ وَلَا تَبْرِقِ^(٢)

بالفتح. يقول: لا تفزع من هول الجراح التي بك.

قال المفسرون: يشخص بصر الكافر يوم القيامة، فلا يطرف لما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا. وقال مجاهد: برق البصر عند الموت^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ قال أبو عبيدة: كَسَفَ وَحَسَفَ بمعنى واحد؛ أي: ذهب ضوءه^(٤).

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص ٦٦١، و"معاني القراءات" للأزهري ١٠٦/٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٣٤٥/٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٧٣٦.

(٢) "معاني القرآن" للفرّاء ٢٠٩/٣، والبيت من المتقارب، وهو في: "تهذيب اللغة" للأزهري ١١٥/٩، و"الإتباع والمزاوجة" لابن فارس ص ٦١، و"السيط" للواحي ٢٢/٤٨٣ - ٤٨٤ منسوباً لطرفة، وهو في "ديوانه" ص ٥٧.

(٣) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٣٤٥/٨، والطبري في "تفسيره" ٥٦/٢٤.

(٤) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢٧٧/٢.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ إِنَّمَا قَالَ: جمع؛ لتذكير القمر، هذا قول أبي عبيدة^(١).

وقال الفراء: إنما لم يقل: جمعت؛ لأن المعنى: جمع بينهما^(٢).

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: جمع بين ذاتيهما. وقال ابن مسعود: جمعا كالبعيرين القرينين^(٣).

وقال عطاء بن يسار: يجمعان ثم يقذفان في البحر^(٤). وقيل: يقذفان في النار. وقيل: يجمعان، فيطلعان من المغرب.

والثاني: جمع بينهما في ذهاب نورهما، قاله الفراء والزجاج^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَنُ﴾ يعني: المكذب بيوم القيامة ﴿أَيَّنَ الْمَفْرُ﴾.

قرأ الجمهور بفتح الميم، والفاء، وقرأ ابن عباس، ومعاوية، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وعكرمة، والضحاك، والزهري^(٦)،

(١) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/٢٧٧.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/٢٠٩.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والطبراني كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٣/٣٨٩.

(٤) أخرجه ابن وهب في التفسير من "الجامع" ١/١١٥ (٢٦٤)، والطبري في "تفسيره" ٢٤/٥٧، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/٣٤٥.

(٥) "معاني القرآن" للفراء ٣/٢٠٩، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/٢٥٢.

(٦) ليس في (ر).

وابن يعمر، وابن أبي عبلّة: بكسر الفاء^(١).

قال الزّجّاج: فَمَنْ فتح، فالمعنى: أين الفرار؟ ومَنْ كسر، فالمعنى: أين مكان الفرار؟ تقول: جلست مجلساً بالفتح، يعني: جلوساً. فإذا قلت: مجلساً بالكسر، فأنت تريد المكان^(٢).

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَاؤَزِرَّ﴾ قال ابن قتيبة: لا ملجأ. وأصل الوزر: الجبل الذي يمتنع^(٣) فيه^(٤) ﴿إِنَّ رَيْكَ يَوْمَئِذٍ لِّلشَّغَرِ﴾؛ أي: المنتهى والمرجع.

[٨١٢/ب]

﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ فيه ستة أقوال:

أحدها: بما قدم قبل موته، وما سن من شيء فعمل به بعد موته، قاله ابن مسعود، وابن عباس.

والثاني: ينبأ بأول عمله وآخره، قاله مجاهد.

والثالث: بما قدم من الشر وآخر من الخير، قاله عكرمة.

والرابع: بما قدم من فرض وآخر من فرض، قاله الضحاك.

والخامس: بما قدم من معصية وآخر من طاعة.

والسادس: بما قدم من أمواله وما خلف للورثة، قاله زيد بن أسلم.

(١) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص ١٦٦، "الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهذلي ص ٦٥٤.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٥٢.

(٣) في الأصل: يمنع، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص ٤٩٩ - ٥٠٠.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ قال الفراء: المعنى بل على الإنسان من نفسه بصيرة؛ أي: رقباء يشهدون عليه بعمله، وهي الجوارح^(١).

قال ابن قتيبة: فلما كانت جوارحه منه، أقامها مقامه^(٢).

وقال أبو عبيدة: جاءت الهاء في ﴿بَصِيرَةٌ﴾ في صفة الذكر، كما جاءت في رجل: "راوية" و"طاغية" و"علامة"^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِرُهُ﴾ في المعاذير قولان:

أحدهما: أنه جمع عذر، فالمعنى: لو اعتذر، وجادل عن نفسه، فعليه من يكذب عذره، وهي الجوارح، وهذا قول الأكثرين.

والثاني: أن المعاذير جمع معذار، وهو: الستر. والمعاذير: الستور.

فالمعنى: ولو ألقى ستوره، هذا قول الضحاك، والسدي، والزجاج^(٤)، فيخرج في معنى "ألقى" قولان:

أحدهما: قال، ومنه: ﴿فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ [النحل: ٨٦]، وهذا على القول الأول.

(١) "معاني القرآن" للفراء ٢١١/٣.

(٢) "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ص ١٢٢.

(٣) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢٧٧/٢.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٥٣/٥، وأخرجه عن السدي: الطبري في "تفسيره" ٦٤/٢٤، وأخرجه عن الضحاك: ابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٣٤٧/٨.



والثاني: أرخى، وهذا على [القول] ^(١) الثاني.

﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ^(١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ^(١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحَ قُرْآنَهُ ^(١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ^(١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ^(٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ^(٢١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ^(٢٢) إِلَّا رَجَعَهَا نَاطِرَةٌ ^(٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ^(٢٤) تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿[القيامة: ١٦ - ٢٥].

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾.

رَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ حِفْظُهُ، وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ يَحْرُكُ لِسَانَهُ وَشَفْتَيْهِ قَبْلَ فَرَاغِ جَبْرِيلَ مِنْ قِرَاءَةِ الْوَحْيِ؛ مَخَافَةَ أَنْ لَا يَحْفَظَهُ ^(٢)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ ^(٣).

ومعناها: لا تحرك بالقرآن لسانك لتعجل بأخذه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

قال ابن قتيبة: أي: ضمه وجمعه في صدرك ^(٤) ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ﴾؛ أي: جمعناه ﴿فَأَنبَحَ قُرْآنَهُ﴾؛ أي: جمعه. قال المفسرون: يعني: اقرأ إذا فرغ جبريل من قراءته.

(١) من سائر النسخ.

(٢) في الأصل: يحفظ، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) أخرج هذا الأثر البخاري في الجامع الصحيح (٤٩٢٧ - ٤٩٢٨ - ٤٩٢٩) بمعناه، ومسلم في صحيحه (١٤٧ - ١٤٨)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢٦٢٨)، والإمام أحمد في المسند (١/ ٣٤٣)، والترمذي في سننه (٣٣٢٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في سننه (٩٣٤).

(٤) غريب القرآن (ص: ٥٠٠).

قال ابن عباس: ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾؛ أي: اعمل به^(١). وقال قتادة: فاتبع حلاله وحرامه^(٢).

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: نينه بلسانك، فتقرؤه كما أقرأك جبريل، وكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه، كما وعده الله، قاله ابن عباس.
والثاني: إن علينا أن نجزي به يوم القيامة، بما فيه من وعد ووعد، قاله الحسن.

والثالث: [إن]^(٣) علينا بيان ما فيه من الأحكام والحلال والحرام، قاله قتادة.

والرابع: علينا أن ننزله قرآنًا عربيًّا فيه بيان للناس، قاله الزجاج^(٤).
قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ قال عطاء: أي: لا يؤمن أبو جهل بالقرآن وبيانه^(٥).
وقال ابن جرير: المغنى: ليس الأمر كما تقولون من أنكم لا تبعثون، ولكن دعاكم إلى قيل ذلك؛ محبتكم للعاجلة^(٦).

(١) أخرجه الطبري (١ / ٩٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٣٦٩) من طريق معمر، عن قتادة.

(٣) من (ر).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٥٣).

(٥) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٢ / ٥٠٢).

(٦) تفسير الطبري (٢٤ / ٧٠).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمِيرٍ: "بل يحبون العاجلة ويذرون" بالياء فيهما. وقَرَأَ الْبَاقُونَ بالتاء فيهما^(١).

والمراد: كفار مكَّة، يحبونها ويعملون لها ﴿وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ﴾؛ أي: يتركون العمل لها إشاراً للعاجلة على الآخرة^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾؛ أي: مشرقة بالنعيم ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ رَوَى عطاء، عن ابن عباس قال: إلى الله ناظرة^(٣). [٨١٣/أ]

قال الحسن: حق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق^(٤)، وهذا مذهب عكرمة. ورؤية الله عز وجل حق لا شك فيها، والأحاديث فيها صحاح، قد ذكرت جملة منها في "المغنى" و"الحدائق"^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ قال ابن قتيبة: أي: عابسة مقطبة^(٦).

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: انظر: التيسير؛ للداني (ص: ٢١٧)، وتفسير البغوي (٤ / ٥١٥)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢ / ٣٩٣).

(٢) في (ر): عليها.

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٢ / ٧٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٨ / ٣٥٠) بمعناه وعزاه إلى ابن مردويه، وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة؛ للالكائي (٣ / ٤٦٣).

(٤) تفسير الطبري (٢٤ / ٧٢)، والهداية؛ لمكي (١٢ / ٧٨٧٨)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (١٠ / ٨٨)، والتفسير والوسيط؛ للواحدي (٤ / ٣٩٤).

(٥) الحدائق (١ / ٧٥).

(٦) غريب القرآن (ص: ٥٠٠).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَنْظُنُّ﴾ قَالَ الْفَرَّاءُ: أَي: تَعْلَمُ، وَالْفَاقِرَةُ: الدَّاهِيَةُ^(١).

قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: إِنَّهُ مِنْ فَقَارَةِ الظَّهْرِ، كَأَنَّهَا تَكْسِرُهُ، يُقَالُ: فَقَرْتُ الرَّجُلَ؛ إِذَا كَسَرْتَ فَقَارَهُ، كَمَا يُقَالُ: رَأْسُهُ؛ إِذَا ضَرَبْتَ رَأْسَهُ، وَبَطْنُهُ؛ إِذَا ضَرَبْتَ بَطْنَهُ^(٢). قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: وَالْفَاقِرَةُ: دُخُولُ النَّارِ^(٣). قَالَ ابْنُ السَّائِبِ: هِيَ أَنْ تُحْجَبَ عَنْ رَبِّهَا فَلَا تَنْظُرُ إِلَيْهِ^(٤).

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقَى ﴿وَنَظُنُّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ (٢٧) وَاللَّفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٨) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٢٩) فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (٣٠) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى (٣١) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٣٢) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٣) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٤) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُوءَ (٣٥) أَلَرَبُّكَ نَظْفَةً مِّنْ مَّيِّ يُمْنَى (٣٦) ثُمَّ كَانَ عِلْفَةً فَلَخَقَ فَسَوَّى (٣٧) جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣٨) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُجْحَى الْمُؤَنَ ﴿ (٣٩)

[القيامة: ٢٦ - ٤٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: "كَلَّا": رَدْعٌ وَتَنْبِيْهُ، الْمَعْنَى: ازْتَدَعُوا عَمَّا يُؤْذِي إِلَى الْعَذَابِ^(٥). وَقَالَ غَيْرُهُ: مَعْنَى "كَلَّا" لَا يُؤْمِنُ الْكَافِرُ بِهَذَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ يَعْنِي: النَّفْسَ وَهَذِهِ كُنَايَةٌ عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ.

و﴿التَّرَاقِيَ﴾: الْعِظَامُ الْمَكْتَنِفَةُ لِنَقَرَةِ النَّحْرِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ. وَوَاحِدَةٌ

(١) معاني القرآن (٣/ ٢١٢).

(٢) غريب القرآن (ص: ٥٠٠).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٦/ ١٥٧)، والواحي في التفسير البسيط (٢٢/ ٥١٣).

(٤) ذكره البغوي مختصراً عنه في معالم التنزيل (٤/ ٤٢٤)، والواحي في التفسير البسيط

(٢٢/ ٥١٣-٥١٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٤).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٤).

الترقي: ترقية، ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشفاء على الموت.

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه قول الملائكة بعضهم لبعض: من يرقى روحه، ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب؟ رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية، ومقاتل^(١).

والثاني: أنه قول أهله: هل من راق يرقيه بالرقى؟ وهو مروى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال عكرمة، والضحاك، وأبو قلابة، وقتادة، وابن زيد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَخْلُقَ أَشْيَاءَ مِثْلَهُ﴾ أي: أيقن الذي بلغت روحه التراقي ﴿أَنَّهُ الْفَرَقُ﴾ للدين.

﴿وَالنَّفْثِ السَّاقِطِ بِالنَّاقِ﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: أمر الدنيا [بأمر الآخرة]^(٣)، رواه الوالبي عن ابن عباس، وبه قال مقاتل^(٤).

والثاني: اجتمع فيه الحياة والموت، قاله الحسن، وعن مجاهد، كالقولين.

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٥١٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٤).

(٣) في الأصل: بالآخرة، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) تفسير مقاتل (٤/ ٥١٣).

والثالث: التفت ساقاه في الكفن^(١)، قاله سعيد بن المسيب.

والرابع: التفت ساقاه عند الموت، قاله الشعبي.

والخامس: الشدة بالشدة، قاله قتادة.

قال الزجاج: آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَافُ﴾؛ أي: إلى الله المنتهى.

قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صُلَّ﴾ قال أبو عبيدة: "لَا" هاهنا في موضع "لم"^(٣).

قال المفسرون: هو أبو جهل ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمُطِّي﴾؛ أي: رجع إليهم يتبختر ويختال.

قال الفرّاء: "يتمطى"؛ أي: يتبختر؛ لأنّ الظهر هو المطأ، فيلوي ظهره متبخترًا^(٤).

وقال ابن قتيبة: أصله: يَتمَطَّط؛ فقلبت الطاء فيه ياء، كما قيل: يَتنَطَّنْ؛ وأصله يَتنَطَّنْ، ومنه المِشْيَةُ المَطْطِطَاءُ، وأصل الطاء في هذا كله دالٌّ^(٥)، إنّما هو: مدُّ يده في المشي إذا تبختر؛ يقال: مططت ومددت بمعنى واحد^(٦).

(١) في الأصل: بالكفن، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٤).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٨).

(٤) معاني القرآن (٣/ ٢١٢).

(٥) في الأصل ذلك، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) غريب القرآن (ص: ٥٠١).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ لَكَ فَأُولَى﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: هو تهديد ووعيد^(١).

وقال الزَّجَّاج: العرب تقول: أولى لفلان إذا دعت عليه بالمكروه^(٢). ومعناه: وليك المكروه يا أبا جهل.

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ أي^(٣): أبا جهل.

﴿أَنْ يَبْرَكَ سُدًى﴾ قال ابن قتيبة: أي: يهمل فلا يؤمر، ولا يُنهى ولا يُعاقب، يُقال: أسديتُ الشيء؛ أي: أهملته^(٤).

ثم دلَّ على البعث بقوله تعالى: ﴿الزَّيْكَ نُطْفَةٌ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: "تمنى" بالتاء، وقرأ ابن [٨١٣/ب] عامر، وحفص عن عاصم، ويعقوب: "يمنى" بالياء. وعن أبي عمرو كالقراءتين^{(٥)(٦)}، وقد شرحنا هذا في النجم.

﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً﴾ بعد النطفة ﴿فَخَلَقَ﴾ فيه الروح، وسوى خلقه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ أي: خلق من مائه أولادًا ذكورًا وإناثًا ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾ الذي فعل هذا

(١) المصدر السابق.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٥).

(٣) في (ر): يعني.

(٤) غريب القرآن (ص: ٥٠١).

(٥) في الأصل: كالقولين، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، والتيسير؛ للداني (ص: ٢٠٤)، وتفسير البغوي

﴿يَقْدِرُ﴾ وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري: "يقدر"^(١)
 ﴿عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ الْمُؤَقَّ﴾ وهذا تقرير لهم؛ أي: إن من قدر على الابتداء قدر على
 الإعادة. قال ابن عباس: إذا قرأ أحدكم هذه الآية، فليقل: اللهم بلى^(٢).

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ١٦٥)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٤٩٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٤٥١) (٤٠٥١)، من طريق معمر، عن أبي إسحاق،
 عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

سورة ﴿هَذَا أَنِّي﴾

ويُقال لها: سورة الإنسان.

وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها مدنيةٌ كُلُّها، قاله الجمهور، ومنهم مجاهدٌ، وقتادة.

والثاني: مكيَّةٌ، قاله ابنُ يسار، ومقاتل، وحكي عن ابن عباس.

والثالث: أنَّ فيها مكيًّا ومدنيًّا.

ثمَّ في ذلك قولان:

أحدهما: أنَّ المكيَّ منها آيةٌ، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُنَّهُمْ، إِنَّمَا أَوْ كَفُّرًا﴾ وباقيها جميعه مدنيٌّ، قاله الحسن وعكرمة.

والثاني: أنَّ أولها مدنيٌّ إلى قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ ومن هذه الآية إلى آخرها مكيٌّ، حكاه الماوردي^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَذَا أَنِّي عَلَى الْإِنْسَنِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ١ - ٣].

(١) النكت والعيون (٦/ ١٦١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَذَا أَنِّي﴾ قَالَ الْفَرَاءُ: مَعْنَاهُ: قَدْ أَتَى، وَ"هَلْ" تَكُونُ خَبْرًا، وَتَكُونُ جَحْدًا، فَهَذَا مِنَ الْخَبَرِ؛ لِأَنَّكَ تَقُولُ: هَلْ وَعَظَمْتَكَ؟ هَلْ أَعْطَيْتَكَ؟ فَتَقْرَرُهُ بِأَنَّكَ قَدْ فَعَلْتَ ذَلِكَ. وَالْجَحْدُ أَنْ تَقُولَ: وَهَلْ يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى مِثْلِ هَذَا^(١)؟ وَهَذَا قَوْلُ الْمَفْسِّرِينَ، وَأَهْلُ اللُّغَةِ.

وَفِي هَذَا الْإِنْسَانُ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالْحَيْنُ الَّذِي أَتَى عَلَيْهِ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَكَانَ مَصُورًا مِنْ طِينٍ لَمْ تَنْفَخْ^(٢) فِيهِ الرُّوحَ، هَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ جَمِيعُ النَّاسِ، رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ جَرِيرٍ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ اسْمُ جَنْسٍ، وَيَكُونُ الْحَيْنُ زَمَانٌ كَوْنُهُ نَظْفَةً، وَعَلَقَةً، وَمُضْغَةً.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ الْمَعْنَى: أَنَّهُ كَانَ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَذْكُورًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يَعْنِي: وَلَدَ آدَمَ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَيُّ: اخْتِلَاطٍ، يُقَالُ: مَشَجْتُهُ، فَهُوَ مَشِيجٌ، يُرِيدُ: اخْتِلَاطَ مَاءِ الْمَرْأَةِ بِمَاءِ الرَّجُلِ^(٣).

(١) معاني القرآن (٣/ ٢١٣).

(٢) فِي (ر): يَنْفَخُ.

(٣) غريب القرآن (ص: ٥٠٢).

قوله تعالى: ﴿بَتَّلِيهِ﴾.

قال الفراء: هذا مقدم، ومعناه: التأخير؛ لأنَّ المعنى: خلقناه وجعلناه سميعًا بصيرًا لنبتلية^(١).

قال الزجاج: المعنى: جعلناه كذلك؛ لِنُخْبِرَهُ^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾؛ أي: بينَّا له سبيل الهدى بنصب الأدلة، وبعث الرُّسول ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا﴾؛ أي: خلقناه إمَّا شاكرا ﴿وإِمَّا كَفُورًا﴾ قال الفراء: معناه^(٣): بينَّا له^(٤) الطريق إن شكر أو كفر^(٥).

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلََّا وَسَعِيرًا﴾^(١) ﴿إِنَّ الْآبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ نَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾^(٥) ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾^(٦) ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾^(٧) ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسَكِينَا وَيَتِمَّا وَأَسِيرًا﴾^(٨) ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرُوحِهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾^(٩) ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا﴾^(١٠) ﴿فَوْقَهُمْ اللَّهُ سُرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾^(١١) ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾^(١٢) ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾^(١٣) ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّلُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذْلِيلًا﴾^(١٤) ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَنَاتٍ مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ فَوَارِيرًا﴾^(١٥) ﴿فَوَارِيرًا مِّنْ فَضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾^(١٦) ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾^(١٧) ﴿عَيْنَا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِلًا﴾^(١٨) ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا﴾^(١٩)

(١) معاني القرآن (٣/ ٢١٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٧).

(٣) ليست في (ر).

(٤) في الأصل: لك، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) معاني القرآن (٣/ ٢١٤).

وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ، إِنَّمَا أَوْكَفُرُوا ﴿٢٤﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجْبَوْنَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمَنَّتَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ [الإنسان: ٤ - ٣١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣١﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحَمْزَةٌ: "سَلَسِلْ" بِغَيْرِ تَنْوِينٍ وَوَقَفُوا بِالْفِ، وَوَقَفَ أَبُو عَمْرٍو بِالْفِ (١) (٢).

قَالَ مَكِّي بْنُ أَبِي طَالِبٍ النَّحْوِيُّ: "سَلَسِلْ" وَ"قَوَارِيرَ" أَضْلُهُ أَنْ لَا يَنْصَرَفَ، وَمَنْ صَرَفَهُ مِنَ الْقُرَاءِ، فَإِنَّهَا لُغَةٌ لِبَعْضِ [العَرَبِ] (٣). وَقِيلَ: إِنَّمَا صَرَفَهُ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِي الْمَصْحَفِ بِالْأَلِفِ فَصَرَفَهُ لِاتِّبَاعِ خَطِّ الْمَصْحَفِ (٤).

[٨١٤/أ] قَالَ مُقَاتِلٌ: السَّلَاسِلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، وَالْأَغْلَالُ فِي أَيْدِيهِمْ (٥)، وَقَدْ

(١) توجد زيادة في الأصل وليست في سائر النسخ، وهي: بألف من غير تنوين، ووقف بألف، والباقون يصلون بالتنوين، ويقفون بالألف. والزيادة في غير محلها.

(٢) قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٦٦٣)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٥ / ٦٣)، والحجة؛ لابن خالويه (ص: ٣٥٨).

(٣) من سائر النسخ.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٩٠٨).

(٥) تفسير مقاتل (٤ / ٥٢٤).

شرحنا معنى السَّعِير في سورة^(١) النَّسَاء.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ وَاحِدُهُمْ: بَرٌّ، وَبَارٌّ، وَهُمْ الصَّادِقُونَ،
وَقِيلَ: الْمُطِيعُونَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: هُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْذُونَ الذَّرَّ^(٢).

﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾؛ أَي: مِنْ إِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾
يَعْنِي مِزَاجَ الْكَأْسِ كَافُورًا.

وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْكَافُورُ الْمَعْرُوفُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَمُقَاتِلٌ^(٣).

فَعَلَى هَذَا فِي الْمَرَادِ بِالْكَافُورِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: بَرُّهُ، قَالَهُ الْحَسَنُ.

وَالثَّانِي: رِيحُهُ، قَالَهُ قَتَادَةُ.

(١) لَيْسَتْ فِي (ر).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٤ / ٢٩٠)، مِنْ طَرِيقِ ابْنِ بَشَّارٍ، قَالَ: ثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: ثَنَا هِشَامٌ، عَنْ شَيْخٍ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: سُئِلَ عَنِ الْأَبْرَارِ، قَالَ: الَّذِينَ لَا يُؤْذُونَ الذَّرَّ، وَمِنْ طَرِيقِ الْفَرِيَّائِيِّ، عَنِ السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: الْأَبْرَارُ: هُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْذُونَ الذَّرَّ.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (٣ / ٨٤٦) (٤٦٨١) مِنْ طَرِيقِ مُسْلِمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، ثَنَا هِشَامٌ الدِّسْتَوَائِيُّ، عَنْ رَجُلٍ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: لِلْأَبْرَارِ: الَّذِينَ لَا يُؤْذُونَ الذَّرَّ. وَأَبُو بَكْرِ الدِّينَوْرِيُّ فِي الْمَجَالَسَةِ وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ مِنْ طَرِيقِ الْحَمِيدِيِّ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ أَسْلَمَ، عَنْ مَطْرِفٍ، عَنِ الْحَسَنِ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْأَبْرَارِ: مَنْ هُمْ؟ فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْذُونَ الذَّرَّ.

(٣) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٤ / ٥٢٤).

والثالث: طعمه، قاله السدي.

والثاني: أنه اسم عين في الجنة، قاله عطاء، وابن السائب.

والثالث: أن المعنى: مزاجها كالكاפור لطيب ريح، أجازَه الفراء^(١)، والزجاج^(٢).

قوله تعالى ﴿عَيْنًا﴾ قال الفراء: هي المفسرة للكاפור^(٣).

وقال الأخفش: هي منصوبة على معنى: أعني عينا^(٤).

وقال الزجاج: الأجود أن يكون المعنى: من عيني^(٥).

قوله تعالى ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: يشرب منها.

والثاني: يشربها^(٦)، والباء صلة.

والثالث: يشرب بها عباد الله الخمر يمزجونها بها.

وفي هذه العين قولان.

أحدهما: أنها الكافور الذي سبق ذكره.

(١) معاني القرآن (٣/ ٢١٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٨).

(٣) معاني القرآن (٣/ ٢١٥).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٥٥٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٨).

(٦) في الأصل: يشرب، والمثبت من سائر النسخ.

والثاني: التَّسْنِيم.

﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ هاهنا: أولياؤه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: يَقُودُونَهَا إِلَى حَيْثُ شَاءُوا مِنَ الْجَنَّةِ^(١).

قال الفراء: حَيْثُ أَحَبَّ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَجَرَّهَا لِنَفْسِهِ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ قال الفراء: فِيهِ إِضْمَارٌ "كَانُوا" يُوفُونَ بِالنَّذْرِ^(٣).

وفيه قولان:

أحدهما: يُوفُونَ بِالنَّذْرِ إِذَا نَذَرُوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرَمَةُ.

والثاني: يُوفُونَ بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، قَالَهُ قَتَادَةُ.

ومعنى "النذر" في اللغة: الإيجاب، فالمعنى: يوفون بالواجب عليهم

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَتْ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاشِيًا^(٤).

وقال ابنُ قُتَيْبَةَ: فَاشِيًا مُتَشِّرًا، يُقَالُ: اسْتَطَارَ الْحَرِيقُ؛ إِذَا انْتَشَرَ،

وَاسْتَطَارَ الْفَجْرُ؛ إِذَا انْتَشَرَ الضُّوءُ^(٥). وَأَنْشَدُوا لِلْأَعشى [من المتقارب]:

(١) ذكر ذلك الماوردي في النكت والعيون (٦ / ١٦٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٢٩٣).

(٢) معاني القرآن (٣ / ٢١٥).

(٣) المصدر السابق.

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ١٦٦)، وبلا نسبة في بحر العلوم؛

للسمرقندي (٣ / ٥٢٦).

(٥) غريب القرآن (ص: ٥٠٢).

فَبَآنَتْ وَقَدْ أَسَارَتْ فِي الْفُؤَا دِ صَدْعًا عَلَى نَائِيهَا مُسْتَطِيرًا^(١)

وقال مقاتل: كان شره فاشياً في السموات، فانشقت، وتناثرت الكواكب، وفزع الملائكة، وكورت الشمس والقمر في الأرض، ونُسفت الجبال، وغارت المياه، وتكسر كل شيء على وجه الأرض من جبل، وبناء، وفشا شر يوم القيامة فيها^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ﴾ اختلّفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهما: أنّها^(٣) نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أجز نفسه ليُسقي نخلاً بشيء من شعر ليلة حتى أصبح، فلما قبض الشعر طحن ثلثه، وأصلحوا منه شيئاً يأكلونه، فلما استوى أتى مسكين، فأخرجوه إليه، ثم عمل الثلث الثاني، فلما تمّ أتى يتيم، فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي، فلما استوى جاء أسير من المشركين، فأطعموه وطووا يومهم ذلك، فنزلت هذه الآيات، رواه عطاء عن ابن عباس^(٤).

(١) البيت في ديوانه: (ص: ٨٩) برواية: "وقد أورشث" بدلاً من: "أسارت"، و"يخالط عثاها" بدلاً من: "على نايها مستطيرا"، وتفسير الطبري (١/ ١٠٥)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٩٦)، والتفسير البسيط (٢٣/ ٢٧)، والمحزر الوجيز الوجيز؛ لابن عطية (١/ ٥٦).

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٥٢٤)، وذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ٢٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٢٩٤).

(٣) ليست في (ر).

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٧٠)، والتفسير البسيط (٢٣/ ٣١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٩٩) لابن مردويه.

والثاني: أنَّها نزلت في أبي الدَّحداح الأنصاريَّ صام يومًا، فلما أراد أن يفطر جاء مسكين، ويَتيم، وأسير، فأطعمهم ثلاثة أرغفة، وبقي له [٨١٤/ب] ولأهله رغيفٌ واحدٌ، فنزلت فيهم هذه الآية، قاله مقاتل^(١).

وفي هاء الكناية في قوله تعالى: "على حبة" قولان:

أحدهما: أنَّها^(٢) ترجع إلى الطَّعام، [فكأنهم]^(٣) كانوا يؤثرون وهم محتاجون إليه، وهذا قول ابن عباسٍ ومجاهد، والزَّجاج^(٤)، والجمهور. والثاني: أنَّها^(٥) ترجع إلى الله تعالى، قاله الدَّاراني. وقد سبق معنى "المسكين، واليتيم" [البقرة: ٨٣].

وفي الأسير أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه المسجون من أهل القبلة، قاله مجاهد، وعطاء^(٦)، وسعيد بن جبير. والثاني: أنَّه الأسير المشرك، قاله الحسن، وقتادة.

والثالث: المرأة، قاله أبو حمزة الثمالي^(٧).

(١) تفسير مقاتل (٤ / ٥٢٥).

(٢) ليست في (ر)، و(م).

(٣) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٥٩).

(٥) ليست في (ر).

(٦) في (ر): عطاء، ومجاهد.

(٧) أبو حمزة الثمالي اسمه: ثابت بن أبي صفية، روى عن عكرمة. قيل: سعيد الثمالي الأزدي الكوفي. قال أحمد وابن معين: ليس بشيء. وقال أبو زرعة وأبو حاتم: لئن الحديث =

والرابع: العبد، ذكره الماوردي^(١).

فَضْلٌ

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أَنَّ الآية تضمنت مدحهم على إطعام الأسير المشرك. قال: وهذا منسوخُ بآية السيف. وليس هذا القول بشيء فإنَّ في إطعام الأسير المشرك ثواباً، وهذا محمولٌ على صدقة التطوع. فأما الفرض فلا يجوز صرفه إلى الكفار، ذكره القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾؛ أي: لطلب ثواب الله.

قال مجاهد، وابن جبير: أمَّا إنهم ما تكلموا بهذا، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب^(٢).

قوله تعالى: ﴿لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً﴾؛ أي: بالفعل ﴿وَلَا شُكْرًا﴾ بالقول ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا﴾؛ أي: ما في يوم. ﴿عَبُوسًا﴾ قال ابنُ قتيبة: أي: تغبس فيه الوجوه، فجعله من صفة اليوم؛ كقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾

= وقال النسائي: ليس بثقة. وقال ابن حبان: كان كثير الوهم في الأخبار حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد مع غلوه في تشيعه. وعده السليمان في قوم من الرافضة. وقال الذهبي: ضعفه. وقال ابن حجر: ضعيف رافضي من الخامسة. مات في خلافة أبي جعفر المنصور. انظر: تاريخ يحيى بن معين، رواية الدوري (٢ / ٦٩)، والمجروحين؛ لابن حبان (١ / ٢٠٦)، وتهذيب الكمال؛ للمزي (٤ / ٣٥٧)، وميزان الاعتدال؛ للذهبي (١ / ٣٦٣)، وتهذيب التهذيب؛ لابن حجر (٢ / ٧).

(١) النكت والعيون (٦ / ١٦٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤ / ٩٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩ / ١٩٢).

[إبراهيم: ١٨] أراد: عاصف الريح^(١).

فأما "القمطير" : فروى ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: أنه الطويل^(٢).

وروى عنه العوفي أنه قال: هو الذي يُقبّض فيه الرجل ما بين عينيّه وجهه^{(٣)(٤)}.

فعلى هذا يكون اليوم موصوفاً بما يجري فيه، كما قلنا في "العبوس"؛ لأن اليوم لا يوصف بتقبيض ما بين العينين.

وقال مجاهد^(٥)، وقتادة^(٦): "القمطير" الذي يُقلّص الوجوه، ويُقبّض الجباه، وما بين الأعين^(٧) من شدّته.

(١) غريب القرآن (ص: ٥٠٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤ / ١٠٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في الإتيقان - (٢ / ٥١) من طريق أبي صالح به، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٢١٥)، والماوردي في النكت والعيون (٦ / ١٦٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢٩٩) إلى ابن المنذر.

(٣) ليست في (ر).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٠٠) من طريق عطية العوفي، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢٩٩) إلى ابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) أخرجه عبد بن حميد - كما في الدر المنثور؛ للسيوطي - (٦ / ٤٨٥)، والطبري في تفسيره (٢٤ / ١٠٠)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٨ / ٢٩٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٢١٦).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٣٣٧)، وعبد بن حميد - كما في الدر المنثور؛ للسيوطي - (٦ / ٤٨٥)، والطبري في تفسيره (٢٤ / ١٠٠)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٨ / ٢٩٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٢١٦).

(٧) في (ر): العين.

وقال الفراء: هو الشديد، يُقال: يوم قَمَطِيرٌ، ويوم قُمَاطِرٌ^(١)، وأنشدني بعضهم [من الطويل]:

بَنِي عَمَّنَا هَلْ تَذْكُرُونَ بَلَاءَنَا عَلَيْكُمْ إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ قُمَاطِرُ^(٢)

وقال أبو عبيدة: العُبُوس، والقَمَطِيرُ، والقُمَاطِرُ، والعصيبُ، والعصبُ: أشد ما يكون من الأيام، وأطولُه في البلاء^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ بطاعتهم في الدنيا ﴿وَلَقَنَهُمْ نَصْرَهُ﴾؛ أي: حسنًا وبياضًا في الوجوه ﴿وَسُرُّرًا﴾ لا انقطاع له.

وقال الحسن: النَّصْرَةُ في الوجوه، والسُّرُور في القلوب^(٤) ﴿وَجَزَّهَتْهُمْ بِمَاصِرُهُ﴾ على طاعته، وعن معصيته ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ وهو لباس أهل الجنة. ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ قال الزَّجَّاج: هو منصوب على الحال؛ أي: جزاهم جنة في حال اتكائهم فيها^(٥). وقد شرحنا هذا في الكهف.

قوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ فيؤذيهم حرُّها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ وهو البرد

(١) معاني القرآن (٣/ ٢١٦).

(٢) البيت لعطاف بن وبرة العذري في حماسة البحرى (ص: ٨٦)، والشكوى والعتاب (ص: ١٢٧)، وريبع الأبرار؛ للزغشري (٣/ ٤٠٢)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٣/ ٢١٦)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٥٤٧)، والصحاح؛ للجوهري (٢/ ٧٩٧)، والكشف والبيان؛ للشلبلي (٢٨/ ٢١٧).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٩).

(٤) ذكره البخاري في صحيحه معلقًا قبل حديث (٣٢٤٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٩).

[٨١٥/أ]

الشديد. والمعنى: لا يجدون فيها الحرَّ والبردَ.

وحكي عن ثعلبٍ أنه قال: الزمهرير: القمر^(١)، وأنشدوا^(٢) [من الرجز]:

وَلَيْلَةٌ ظَلَامُهَا قَدْ اعْتَكَزَ قَطَعْتُهَا وَالزَّمْهَرِيرُ مَا زَهَرَ^(٣)

أي: لم يطلع القمر.

قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً﴾ قال الفراء: المعنى: وجزاهم جنة^(٤)، ﴿وَدَانِيَةً عَلَيَّهِمْ ظِلُّهَا﴾؛ أي: قريبة منهم ظلال أشجارها.

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ قال ابن عباس: إذا همَّ أن يتناول من ثمارها تدلَّت إليه حتى يتناول منها^(٥) ما يُريد^(٦).

وقال غيره: قربت إليهم مذلة كيف شاؤوا، فهم يتناولونها قيامًا، وقعودًا، ومضطجعين، فهو كقوله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣].

فأما "الأكواب": فقد شرحناها في الزخرف: [آية: ٧١].

(١) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٢٢١).

(٢) في (ر)، و(م): وأنشد.

(٣) الرجز بلا نسبة في الكشف والبيان (٢٨ / ٢٢١)، والنكت والعيون؛ للهاوردي

(٦ / ١٦٩)، والكشاف؛ للزغشري (٤ / ٦٧٠)، وتفسير القرطبي (١٩ / ١٣٨)، والبحر

والمحيط (١٠ / ٣٥٧).

(٤) معاني القرآن (٣ / ٢١٦).

(٥) ليست في (ر).

(٦) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣ / ٤٠)، والتفسير الوسيط (٤ / ٤٠٣).

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾؛ أي: تلك الأكواب هي قوارير، ولكنها من فضة. قال ابن عباس: لو ضربت فضة الدنيا حتى جعلتها مثل جناح الذباب، لم ير الماء من ورائها، وقوارير الجنة من فضة في صفاء القارورة^(١).

وقال الفرّاء^(٢)، وابن قتيبة^(٣): هذا على التشبيه، المعنى: كأنها من فضة؛ أي: لها بياض كيباض الفضة وشفاء كشفاء القوارير.

وكان نافع، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم يقرؤون: "قواريرًا قواريرًا" فيصلونهما جميعًا بالتنوين، ويقفون عليهما بالالف.

وكان ابن عامر، وحزمة، يصلانها جميعًا بغير تنوين، ويقفان عليهما بغير ألف. وكان ابن كثير يصل الأوّل بالتنوين، ويقف عليه بالالف، ويصل الثاني بغير تنوين، ويقف بغير ألف.

وروى حفص عن عاصم أنّه كان يقرأ: "سلاسل"، و"قوارير

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٧٦ / ٢) (٣٤٣٢) من ابن عينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: "إنك لو أخذت فضة من فضة الدنيا ف ضربتها حتى جعلها مثل جناح الذباب، لم تر الماء من ورائها، ولكن قوارير الجنة بيباض الفضة في مثل شفاء القارورة"، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ص: ١١٨) من سفيان، عن عكرمة عن ابن عباس، ومن طريقه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٢٤٠ - ٢٤١)، والبيهقي في البعث والنشور (ص: ٢٠٢).

(٢) معاني القرآن (٣ / ٢١٧).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ٥٥).

[قوارير]^(١) يصل الثلاثة بغير تنوين ويقف على الثلاثة بالالف.
وكان أبو عمرو يقرأ الأول: "قواريرا" فيقف عليه بالالف، ويصل
بغير تنوين^(٢).

قال الزّجاج: الاختيار عند النحويين أن لا تصرف^(٣): "قوارير"؛ لأنّ
كلّ جمع يأتي بعد ألفه حرفان لا ينصرف، ومن قرأ: "قواريرا" يصرف
الأوّل فلأنّه رأسُ آية، وترك صرف الثاني؛ لأنّه ليس بآخر آية.

ومن صرف الثاني: أتبع اللفظ اللفظ؛ لأنّ العرب ربما قلبت إعراب
الشيء لتتبع اللفظ اللفظ، كما قالوا: جحر ضبّ خرب، وإنّما الخرب
من نعت الجحر^(٤).

قوله تعالى: ﴿قُدِّرُوهَا نَقْدِيرًا﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو عبد الرحمن
السلمي، وأبو عمران، والجحدري، وابن يعمر: "قُدِّرُوها" برفع القاف
وكسر الدال، وتشديدها، وقرأ حميد، وعمرو بن دينار: "قُدروها" بفتح
القاف والدال وتخفيفها^(٥).

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٦٦٣ - ٦٦٤)، والتيسير؛ للداني (ص: ٢١٧)، والنشر
في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٩٥ - ٣٩٦).

(٣) في (ر): يصرف.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٠).

(٥) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ١٦٦)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٤٩٦).

ثُمَّ فِي مَعْنَى الْآيَةِ قَوْلَانِ:

أحدهما: قدروها في أنفسهم، فجاءت على ما قدرُوا، قاله الحسن.

وقال الزَّجَّاج: جُعِلَ الْإِنَاءُ عَلَى قَدْرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَيُرِيدُونَهُ عَلَى تَقْدِيرِهِمْ^(١).

والثَّانِي: قدروها على مقدارٍ لا يزيد ولا ينقص، قاله مجاهد.

وقال غيره: قدر الكأس على قدر رِيِّهم، لا يزيد عن رِيِّهم فيثقل الكفُّ، ولا ينقص منه فيطلب الزِّيَادَةُ، وهذا أَلَذُّ الشَّرَابِ.

فعلى هذا القول يكون الضمير في: "قدرُوا" للسقاة والخدم، وعلى الأوَّل للشاربين.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾ يعني: في الجنة ﴿كَأْسًا كَانَتْ مِنْ أَجْهَازِ نَجِيلٍ﴾،
والعرب تضرب المثل بالزنجبيل، والخمر، ممزوجين، قال المسيَّب [بن
[٨١٥/ب] عَلس]^(٢) يصف فَمَ^(٣) امْرَأَةً [من الكامل]:

فَكَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ بِهِ إِذْ ذُقْتُهُ وَسَلَافَةَ الْخَمْرِ^(٤)

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٦٠).

(٢) من (ر)، و(م).

(٣) في (م): ثغر.

(٤) البيت له في الشعر والشعراء (١ / ١٧٣)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٥٠٣)،
والكشاف؛ للزمخشري (٤ / ٦٧٢)، وتفسير ابن عطية (٥ / ٤١٢)، وبلا نسبة في النكت
والعيون؛ للهاوردي (٦ / ١٧١).

وَقَالَ آخِرُ [من المتقارب]:

كَأَنَّ الْقُرْنُفَلَ وَالزَّنَجِيَّ لَبَاتَا فِيهَا وَأَزْيَا مُشَارًا^(١)

الأزّي: العسل. والمشار: المستخرج من بيوت النحل.

قال مجاهد: والزنجيل: اسم العين التي منها شراب الأبرار^(٢).

وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي: قال: الزنجيل معرّب.

قال^(٣): وقال الدينوري: ينبت في أزياف عُمان، وهي عروق تسري في الأرض، وليس بشجرة تؤكل رطبًا، وأجود ما يُحمل من بلاد الصين^(٤).

قال الزجاج: وجائز أن يكون فيها طعم الزنجيل، والكلام فيه كالکلام السابق في الكافور^(٥).

وقيل: شراب الجنة على برد الكافور، وطعم الزنجيل، وريح المسك.

قوله تعالى: ﴿عَيْنَا فِيهَا﴾ قال الزجاج: يسقون عينا^(٦).

(١) البيت لقيس بن الخطيم في ديوانه (ص: ١٣٥)، وللأعشى في ديوانه (ص: ٩٣)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (١ / ٤٨٥)، وتهذيب اللغة (١١ / ١٧٧)، والتفسير البسيط (٢٣ / ٤٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٠٧)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٦ / ١٧٠)، والقرطبي في تفسيره (١٩ / ١٤٢).

(٣) ليست في (ر).

(٤) المغرب من الكلام الأعجمي (ص: ٢٢٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٦٠).

(٦) المصدر السابق.

وسلسيل: اسم العين، إلا أنه صرف؛ لأنه رأس آية. وهو في اللغة: صفة لما كان في غاية السلاسة، فكأن العين وصفت وسميت بصفته.

وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قوله تعالى: ﴿تُسَمَّى سَلِيلًا﴾ قيل: هو اسم أعجمي نكرة، فلذلك أنصرف. وقيل: هو اسم مغرفة إلا أنه أجري؛ لأنه رأس آية^(١).

وعن مجاهد، قال: حديدة الجزية^(٢). وقيل: سلسيل سلس مأوها، مُستَقِيدٌ^(٣) لهم.

وقال ابن الأنباري: السلسيل صفة للماء؛ لسلسه وسهولة مدخله في الحلق، يقال: شراب سلسل، وسلسال، وسلسيل^(٤).

وحكى الماوردي: أن علياً قال: سَلْ سَيْلًا إِلَيْهَا^(٥)، ولا يصح.

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ قد سبق بيانه. ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ حَبْنَهُمْ لَوْلَا مُشُورًا﴾؛ أي: في بياض اللؤلؤ وحسنه واللؤلؤ، إذا نُثر من الخيط

(١) المعرب من الكلام الأعجمي (ص: ٢٣٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٣٨)، وهناد في الزهد (٩٦) من طريق الثوري به، وأخرجه سعيد بن منصور - كما في الدر المنثور (٦/ ٣٠١) - ومن طريقه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٠٨)، والبيهقي في البعث (٣٢١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٠١) إلى عبد بن حميد وابن المنذر. وحديدة الجرية: شديدة الجريان.

(٣) في الأصل: مستقيل، وفي (م): مستفيد. والمثبت من (ر)، و(س)، والمصادر.

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٩٦)، وانظر: التفسير البسيط؛ للواحدى (٢٣/ ٤٩).

(٥) تفسير النكت والعيون (٦/ ١٧١).

على البساط كان أحسن [منه]^(١) منظوماً^(٢)، وإنما شَبَّهوا باللؤلؤ المشور؛ لانتشارهم في الخدمة، ولو كانوا صفّاً لشبهوه بالمنظوم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ يعني: الجنة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ لا يوصف ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أي: عظيماً واسعاً لا يريدون شيئاً إلا قدروا عليه، ولا يدخل عليهم ملكٌ إلا باستئذان.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قرأ أهل المدينة، وحمزة، والمفضل عن عاصم: بإسكان الياء، وكسر الهاء.

وقرأ الباقيون: بفتح الياء^(٣)، إلا أن الجعفي، عن أبي بكرٍ قرأ: "عَالِيَتُهُمْ" بزيادة تاء مضمومة^(٤).

وقرأ أنس بن مالك، ومجاهد، وقتادة: "عَلَيْهِمْ" بفتح اللام وإسكان الياء من غير تاء، ولا ألف^(٥).

قال الزَّجَّاج: فأما تفسير إعراب: "عاليهم" بإسكان الياء، فيكون رفعه بالابتداء. ويكون الخبر: ﴿ثَابُتٌ سُدُنٍ﴾.

وأما "عاليهم" بفتح الياء: فنصبه على الحال من شيئين: أحدهما: من الهاء والميم. والمعنى: يطوف على الأبرار ولدانٌ مخلصون عاليًا

(١) من سائر النسخ.

(٢) في (م): منظراً.

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٨)، ورواية المفضل في السبعة (ص: ٦٦٤).

(٤) قراءة شاذة، انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (١٠ / ٣٦٦)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٤٩٦).

(٥) قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط (١٠ / ٣٦٦)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٤٩٦).

الأبرار^(١) ثيابٌ سُندسٍ؛ لأنه قد وُصِفَ أحوالهم في الجنة، فيكون المعنى: يطوف عليهم في هذه الحال هؤلاء.

ويجوز أن يكون حالاً من ولدان، المعنى: إذا رأيتهم حسبته لؤلؤاً منشوراً في حال علو الثياب إياهم^(٢).

وأما "عَالِيَتُهُمْ": فقد قرئت بالرفع وبالنصب، وهما وجهان جيدان [٨١٦/أ] في العربية، إلا أنهما يخالفان المصحف، فلا أرى القراءة بهما، وتفسيرها كتفسير "عاليهم"^(٣).

قوله تعالى: ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ قرأ ابن عامر، وأبو عمرو: "خضر" رفعاً، "وإستبرق" خفضاً.

وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم: "خضر" خفضاً، و"إستبرق"، رفعاً، وقرأ نافع، وحفص عن عاصم: "خُضْرٌ وإستبرق" كلاهما بالرفع. وقرأ حمزة، والكسائي: "خضر وإستبرق" كلاهما بالخفض^(٤).

قال الزَّجَّاج: من قرأ: "خضر" بالرفع؛ فهو نعت الثياب، ولفظ

(١) في (ر): للأبرار.

(٢) ليست في (ر).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٦١).

(٤) قراءات سبعة، كما في التيسير (ص: ٢١٨)؛ فنافع وحفص يرفعهما، وابن كثير وشعبة بخفض الأول ورفع الثاني، وابن عامر وأبو عمرو يرفع الأول وخفض الثاني، وحمزة والكسائي بخفضهما.

التياب لفظُ الجمع^(١).

ومن قرأ: "خضر"؛ فهو من نعت السندس، والسندس. في المعنى راجعٌ إلى الثياب.

ومن قرأ: "واستبرق"؛ فهو نسق على "ثياب" والمعنى: وعليهم إستبرق.
ومن خفض؛ عطفه على السندس، فيكون المعنى: عليهم ثيابٌ من هذَيْنِ النَّوعَيْنِ، وقد بيَّنَّا في الكَهْفِ معنى السندس، والإستبرق، والأساور.
قوله تعالى: ﴿وَسَقَّيْنَاهُم مِّنْ شَرَابٍ طَهُورًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّهم^(٢) لا يحدثون ولا يبولون عن شرب خمر الجنة، قاله عطية.
والثاني: لأنَّ خمر الجنة طاهرة، وليست بنجسة كخمر الدنيا، قاله الفراء^(٣).
وقال أبو قلابة: يُؤْتَوْنَ بعد الطَّعام بالشَّرَابِ الطَّهَّورِ، فيشربون فتضمُّرُ بذلك بطونهم، ويفيض من جلودهم عرقٌ مثل ريح المسك^(٤).
قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ يعني ما وصف من نعيم الجنة ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ بأعمالكم ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ﴾؛ أي: عملكم في الدُّنيا بطاعة الله^(٥).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٦٢).

(٢) ليست في (ر).

(٣) معاني القرآن (٣ / ٢١٩).

(٤) أخرجه ابن المبارك (٢ / ٧٧)، وعبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٣٧٧) (٣٤٣٦)، والطبري في تفسيره (٢٤ / ١١٤)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٤٠٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٢٩٨).

(٥) في (ر)، و(م): بطاعته.

﴿مَشْكُورًا﴾ قال عطاء: يريد شكرتكم عليه، وأثبتكم أفضل الثواب^(١).
قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾؛ أي: فضلناه في الإنزال،
فلم ننزله جملة واحدة.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وقد سبق بيانه في مواضع. والمفسرون يقولون:
هذا منسوخ بآية السيف، ولا يصح.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُنَّهُمْ﴾؛ أي: من مشركي أهل مكة. ﴿إِنَّمَا أَوْ
كْفُورًا﴾ "أو" بمعنى: الواو؛ كقوله تعالى: ﴿أَوِ الْخَوَاصِّ﴾ [الأنعام: ١٤٦]،
وقد سبق بيان^(٢) هذا.

وللمفسرين في المراد بالآثم والكفور ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها صفتان لأبي جهل.

والثاني: أن الآثم: عتبة بن ربيعة، والكفور: الوليد بن المغيرة.

والثالث: الآثم: الوليد، والكفور: عتبة. وذلك أنها قال له ارجع
عن هذا الأمر ونحن نرضيك بالمال والتزويج.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾؛ أي: اذكره بالتوحيد في الصلاة ﴿بُكْرَةً﴾
يعني: الفجر ﴿وَأَصِيلًا﴾ يعني: العصر.

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٤٠٥)، والبقوي في معالم التنزيل (٨ / ٢٩٨).

(٢) ليست في (ر).

وبعضهم يقول: [صلاة]^(١) الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يعني: المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ وهي صلاة الليل كانت فريضة عليه، وهي لأُمته تطوع ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ يعني: كفار مكة ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾؛ أي: الدارَ العاجلة، وهي: الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾؛ أي: أُمَمَهُم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾؛ أي: عسيرًا شديدًا، والمعنى: أنهم يتركون الإيمان به، والعمل له. ثم ذكر قدرته، فقال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾؛ أي: خلقهم، قاله ابنُ عباسٍ، ومجاهدٌ، وقتادة، والفراء^(٢)، وابن قتيبة^(٣)، والزجاج^(٤).

قال ابن قتيبة: يُقال امرأةٌ حسنةُ الأسْرِ؛ أي: حسنةُ الخلق؛ كأنَّها أُسِرَتْ؛ أي: شُدَّتْ، وأصل هذا من الإِسَارِ، وهو: القِدُّ [الَّذِي يُشَدُّ بِهِ الْأَقْتَابُ]^(٥)، [٨١٦/ب] يُقال: ما أَحَسَّنَ ما أَسَرَ قَبْتهُ؛ أي: ما أَحَسَّنَ ما شَدَّه [بِالْقِدِّ]^(٦)^(٧).

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٢٠).

(٣) غريب القرآن (ص: ٥٠٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٣).

(٥) الزيادة من (ر) فقط.

(٦) من (ر) فقط.

(٧) غريب القرآن (ص: ٥٠٤).

ورُوي عن أبي هريرة قال: مَفَاصِلُهُمْ^(١)، وعن الحسن قال: أَوْصَالُهُمْ
بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بِالْعُرُوقِ وَالْعَصَبِ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا مِثْلَهُمْ﴾؛ أي: إِنْ شِئْنَا أَهْلَكْنَاهُمْ وَأَتَيْنَا
بِأَشْبَاهِهِمْ، فَجَعَلْنَاهُمْ بَدَلًا مِنْهُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ قد شرحنا الآية في المزمّل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ اتَّخَذَ^(٣) السَّبِيلَ ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك
لكم، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: "وما يشاؤون" بـالياء^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ قال المفسرون: الرَّحْمَةُ هَاهُنَا:
الْجَنَّةُ. وَالظَّالِمُونَ^(٥): الْمُشْرِكُونَ.

قال أبو عبيدة: نصب "الظالمين" بالجوار. المعنى: ولا يُدْخِلُ الظالمين
في رحمته^(٦).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١١٨)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨ / ٢٦١)،
والماوردي في النكت والعيون (٦ / ١٧٣).

(٢) أخرجه عبد بن حميد - كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦ / ٤٩٠)، وذكره الثعلبي في
الكشف والبيان (٢٨ / ٢٦١)، والواحدي في التفسير الوسيط (٤ / ٤٠٦)، والسمعاني في
تفسيره (٦ / ١٢٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٢٩٩).

(٣) في (ر): إيجاد.

(٤) قراءة متواترة، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٦٦٥)، والتيسير؛ للداني (ص: ٢١٨)،
وتفسير البغوي (٤ / ٥٢٩).

(٥) في (ر): الظالمين.

(٦) مجاز القرآن (٢ / ٢٨٠).



وقال الزَّجَّاج: إنما نصب الظَّالِّين، لأنَّ قبله منصوبًا. المعنى: يُدخل من يشاء في رحمته، ويُعذب الظَّالِّين^(١). ويكون قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ تفسيرًا لهذا المضمَر.

وقرأ أبو العالية، وأبو الجوزاء، وابن أبي عبلة: "والظالمون" رفعًا^(٢).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٦٤).

(٢) قراءة شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢ / ٣٤٤)، وشواذ ابن خالويه (ص: ١٦٦)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٤٩٧)، والبحر المحيط (٨ / ٤٠٢).

سورة المرسلات

مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ^(١).

وحكي عن ابن عباس، وقتادة، ومقاتل^(٢)، أن فيها آيةً مدنيَّةً، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَصْفِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ۝٣ فَالْقُرْآنِ قُرْآنًا ۝٤ فَالْمُفْقِنِ ذِكْرًا ۝٥ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفْعٍ ۝٧ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝١٣ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۝١٤ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ ۝١٧ كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝١٨ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝٢١ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۝٢٣ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤ أَلَمْ تَجْعَلِ

(١) في قول جمهور المفسرين من السلف: كابن عباس، والحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر. أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٤)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣/ ١٣٢)، وابن مردويه - كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٤٩١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٢ - ١٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: نزلت سورة المرسلات بمكة. وحكي عن ابن عباس، وقتادة، ومقاتل أن فيها آية مدنية، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ على قول من قال: إنها حكاية عن حال المنافقين في القيامة، وإنها بمعنى قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَ إِلَى الشُّجُورِ فَلَا يَسْتَجِيبُونَ﴾. انظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٥/ ٤١٦)، الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٥١)، مساعد النظر؛ للبقاعي (٣/ ١٤٦).

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٥٤١).

الْأَرْضِ كَفَاتَا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاهُ وَأَمْوَاتَا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَجَاجَةٍ وَأَسْفَيْنَاكُمْ مَاءَ فُرَاتَا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ
 لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ أَنطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾
 لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ لِّلْمُكَذِّبِينَ
 لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾
 هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمُ كَيْدٌ فَيَكِيدُونَ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ
 الْمُتَعَبِينَ فِي ظُلُلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفُورِكَةٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُّوْا وَأَشْرَبُوا هَيْتَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾
 إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُّوْا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْزَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ
 لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَزْكُرُوا لَا يَرْكُوعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ
 حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ [المرسلات: ١ - ٥٠].

قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنها الرياح يتبع بعضها بعضاً، رواه أبو العبيدين^(١)، عن ابن مسعود^(٢)، والعمري، عن ابن عباس^(٣)، وبه قال مجاهد، وقتادة.

(١) في حاشية الأصل بنفس خط الناسخ: واسمه: معاوية بن ميسرة النميري. وهذا خطأ فأبو العبيدين: هو معاوية بن سبرة السوائي، أبو العبيدين الكوفي الأعشى، يروي عن: ابن مسعود، وعنه: سلمة بن كهيل، وأبو إسحاق، ومسلم البطي، وثقه ابن معين، وهو مقلد، توفي سنة ثمان وتسعين، وله في الأدب المفرد للبخاري. انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام (٢/ ١١٧٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٢٢) من طريق المسعودي، عن سلمة بن كهيل، عن أبي العبيدين أنه سأل ابن مسعود، فقال: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: الريح. وذكره النحاس في إعراب القرآن (٥/ ١١١)، والماوردي في النكت والعيون (٦/ ١٧٥)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ٧١)، والسمعاني في تفسيره (٦/ ١٢٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٢٢) من طريق عطية العمري، عن ابن عباس، قوله =

والثاني: أنها الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه، رواه مسروق عن ابن مسعود^(١)، وبه قال أبو هريرة^(٢) ومقاتل^(٣)، وقال الفرّاء: هي الملائكة^(٤).

فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عُرِفَا﴾ فيقال: أرسلت بالمعروف، ويُقال: تابعت كعرف الفرس. والعرب تقول: يركب^(٥) النَّاسُ إلى فلانٍ عرفًا واحدًا؛ إذا توجهوا إليه فأكثرُوا.

قال ابن قتيبة: يُريد أن الملائكة متتابعة بما تُرسل به، وأصله: من عُرف الفرس؛ لآتِه سَطَرٌ مُستَوٍ بعضه في إثر بعض، فاستعير للقوم يتبع بعضهم بعضًا^(٦).

= ﴿وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا﴾ يعني: الريح.

(١) أخرجه الطبري (١٢٤ / ٢٤) من طريق شعبة، عن سليمان، قال: سمعت أبا الضحى، عن مسروق، عن عبد الله في قوله: ﴿وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا﴾ قال: الملائكة. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٠٣ / ٦) إلى ابن جرير.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٥٥٥ / ٢) من طريق الحسين بن واقد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، في قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا﴾، قال: قَالَ: "هِيَ الْمَلَائِكَةُ أُرْسِلَتْ بِالْمَعْرُوفِ"، قال أبو عبد الله: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرجاه. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١٧٥ / ٦)، والواحدي في التفسير البسيط (٧٢ / ٢٣).

(٣) تفسير مقاتل (٥٤٣ / ٤).

(٤) معاني القرآن (٢٢١ / ٣).

(٥) في الأصل: تركت، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٠٦).



والثالث: أَنَّهُم الرُّسُلُ بما يُعرفون به من المعجزات، وهذا معنى قول أبي صالح، ذكره الزَّجَّاج^(١).

والرَّابع: الملائكة والريح، قاله أبو عبيدة. قال: ومعنى ﴿عُرْفًا﴾: يتبع بعضها بعضًا، يُقال: جاءوني "عرفًا"^(٢).

وفي ﴿فَالْعَصْفَتِ﴾ قولان:

أحدهما: أَنَّهَا الرِّيحَ الشَّدِيدَةَ الهبوب، قاله الجمهور.

والثاني: الملائكة، قاله مُسلم بن صبيح. قال الزَّجَّاج: تَغْصِفُ برُوح الكافر^(٣).

وفي ﴿وَالنَّشِيرَتِ﴾ خمسة أقوال:

أحدها: أَنَّهَا الرِّيحَ تنشر السَّحاب، قاله ابنُ مسعودٍ، والجمهور.

والثاني: الملائكة تنشر الكتب، قاله أبو صالح.

والثالث: الصحف تنشر على الله تعالى بأعمال العباد، قاله الضَّحَّاك.

والرابع: البعث للقيامة تنشر فيه الأرواح، قاله الربيع.

والخامس: المطر ينشر النَّبَاتَ، حكاه الماوردي^(٤).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٦٥).

(٢) مجاز القرآن (٢ / ٢٨١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٦٥).

(٤) النكت والعيون (٦ / ١٧٦).

وفي ﴿فَالْفَرَقَتْ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنَّها^(١) الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل، قاله الأكثرون.

والثاني: آي القرآن فرقت بين الحلال والحرام، قاله الحسن، وقتادة، وابن كيسان.

والثالث: الرِّيح تفرق بين السحاب فتبدّده، قاله مجاهد. [٨١٧/أ]

والرابع: الرسل، حكاه الزجاج^(٢).

وفي ﴿فَالْمُلْقَيْتِ ذِكْرًا﴾ قولان:

أحدهما: الملائكة تُلقِي ما حملت من الوحي إلى الأنبياء، وهذا مذهب ابن عباس^(٣)، وقتادة، والجمهور.

والثاني: الرُّسل يُلقون ما أنزل عليهم إلى الأمم، قاله قطرب^(٤).

قوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿عُذْرًا﴾ خفيفًا، "أَوْ نُذْرًا" مثقلًا.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص، وخلف: "عُذْرًا أَوْ نُذْرًا" خفيفتان^(٥).

(١) ليست في (ر).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٦٥).

(٣) عزاه الماوردي إلى الكلبي في النكت والعيون (٦ / ١٧٧).

(٤) ذكر ذلك عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ١٧٧)، والقرطبي في تفسيره (١٩ / ١٥٦).

(٥) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٨).

قال الفرّاء: وهو مضدّر، مثقلًا كان أو مخفّفًا، ونضبه على معنى: أرسلت بما أرسلت به إعدارًا من الله وإنذارًا^(١).

وقال الزّجاج: المعنى: فالملقيات عُذرًا أو نذرًا. ويجوز أن يكون المعنى: فالملقيات ذكرًا للإعذار والإنذار. وهذه المذكورات مجرّورات بالقسم. وجواب القسم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾^(٢).

قال المفسّرون: إن ما تُوعَدون به من أمر الساعة، والبعث، والجزاء ﴿لَوَاقِعٌ﴾ أي: لكائن.

ثم ذكر متى يقع؟ فقال تعالى: ﴿فَإِذَا التُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي: مُحي نورها ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ أي: شقت ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ﴾.

قال الزّجاج: أي: ذهب بها كلها بسرعة. يُقال: انتسفت الشّيء؛ إذا أخذته بسرعة^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُنْفِثَتْ﴾ قرأ أبو عمرو: {وُقِثَتْ} بواو مع تشديد القاف. ووافقَه أبو جعفر، إلّا أنّه خَفَّفَ القاف. وقرأ الباقون: "أُقِثَتْ" بآلفٍ مكان الواو مع تشديد القاف^(٤).

قال الزّجاج: وُقِثَتْ وأُقِثَتْ بمعنى واحد، فمن قرأ: "أُقِثَتْ" بالهمز فإنّه أبدل الهمزة من الواو؛ لأنّ ضمّ الواو، وكُلُّ واوٍ انضمت، وكانت

(١) معاني القرآن (٣/ ٢٢٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٦٦)، وانظر: أيضًا تفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٩).

ضَمَّتْهَا لازِمَةً؛ جاز أن تُبدَلَ مِنْهَا هَمْزَةٌ^(١).

وقال الفراء: الواو إذا كانت أوَّلَ حَرْفٍ، وَضُمَّتْ هُمَزَتْ، تَقُولُ: صَلَّى الْقَوْمُ أَخْدَانًا، وَهَذِهِ أُجُوهٌ^(٢) حِسَانٌ. ومعنى "أَقْتَتَ": جمعت لوقتها يوم القيامة^(٣).

وقال ابن قتيبة: جمعت لوقتٍ، وهو يوم القيامة^(٤). وقال الزَّجَّاجُ: جَعَلَ لَهَا وَقْتًُ وَاحِدَ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْأَمَةِ^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَقْنَتَ ۖ لَأَنِّي يَوْمَ أُنْجِلَتْ﴾؛ أَي: أَخَّرْتُ وَضُرِبَ الْأَجَلُ لْجَمْعِهِمْ، يَعْجَبُ الْعِبَادُ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، ثُمَّ بَيَّنَّهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ وهو يومٌ يَفْصِلُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ.

ثُمَّ عَظَّمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ وَلَئِنَّ يَوْمَ الْمَكْدِيزِينَ﴾ بِالْبَعْثِ. ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا فَعَلَ بِالْأُمَمِ الْمَكْذِبَةِ، فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ هَلِكُوا الْأَوَّلِينَ﴾ يَعْنِي: بِالْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا حِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ.

﴿ثُمَّ نُنَجِّيهِمُ الْآخِرِينَ﴾ وَالْقُرَّاءُ عَلَى رَفْعِ الْعَيْنِ فِي: "تَبْعُهُمْ"^(٦)، وَقَدْ

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٦٦).

(٢) أي: بالهمز؛ مبدلة من: وجوه.

(٣) معاني القرآن (٣ / ٢٢٣).

(٤) غريب القرآن (ص: ٥٠٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٦٧).

(٦) انظر: السبعة (ص: ٦٦٦).

قرأ قومٌ منهم أبو حيوه: بإسكان العين^(١).

قال الفرّاء: "تُتَبِعُهُمْ" مرفوعة؛ ويدلُّ على ذلك قراءةُ ابنِ مسعودٍ: "وَسُتَتَبِعُهُمُ الْآخِرِينَ"^(٢) ولو جَزَمْتُ عَلَى مَعْنَى: أَلَمْ نَقْدِرْ عَلَى إِهْلَاكِ الْأَوَّلِينَ وَإِتْبَاعِهِمُ الْآخِرِينَ؛ كَانَ وَجْهًا جَيِّدًا^(٣).

وقال الزَّجَّاج: الْجَزْمُ عَطْفٌ عَلَى "تُهْلِكُ"، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: لِمَنْ أَهْلَكَ أَوَّلًا وَآخِرًا. وَالرَّفْعُ عَلَى مَعْنَى: ثُمَّ تُتَبِعُ الْأَوَّلَ الْآخِرَ مِنْ كُلِّ مَجْرَمٍ^(٤).

وقال مقاتل: ﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ يعني: كُفَّارٌ مَكَّةَ حِينَ كَذَّبُوا [٨١٧/ب] بِالنَّبِيِّ ﷺ^(٥).

وقال ابن جرير: الْأَوَّلُونَ، قَوْمُ نُوحٍ، وَعَادٌ، وَثَمُودٌ، وَالْآخَرُونَ: قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ، وَلُوطٍ، وَمَدْيَن^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أَي: مِثْلُ ذَلِكَ ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: الْمَكْذِبِينَ.

(١) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٤٥).

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ١٦٧)، والمحتسب (٢/ ٣٤٦)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٤٩٨).

(٣) معاني القرآن (٣/ ٢٢٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٧)، وعبارته في المعاني هكذا: بِالْجَزْمِ عَطْفٌ عَلَى تَهْلِكُ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَلَمْ تَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ؛ أَي: أَوَّلًا وَآخِرًا. وَمِنْ رَفْعِ فَعْلٍ عَلَى مَعْنَى ثُمَّ تُتَبِعُ الْأَوَّلَ الْآخِرَ مِنْ كُلِّ مَجْرَمٍ.

(٥) تفسير مقاتل (٤/ ٥٤٤).

(٦) تفسير الطبري (٢٤/ ١٣١).

فإن قيل: ما الفائدة في تكرار قوله تعالى: ﴿وَيَلْزَمُ يَوْمَئِذٍ الْكَاذِبِينَ﴾؟

فالجواب: أنه أراد بكل آية منها غير ما أراد بالأخرى؛ لأنه كلما ذكر شيئاً، قال: ﴿وَيَلْزَمُ يَوْمَئِذٍ الْكَاذِبِينَ﴾ بهذا.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ﴾ قرأ قالون عن نافع: بإظهار القاف. وقرأ الباقون: بإدغامها^(١).

قوله تعالى: ﴿مِنْ مَّأْمُومِينَ﴾ أي: ضعيف ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ يعني: الرحم إلى ﴿قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ وهو مدة الحمل ﴿فَقَدَرْنَا﴾ قرأ أهل المدينة، والكسائي: "فقدَرنا" بالتشديد. وقرأ الباقون: بالتخفيف^(٢).

وهل بينهما فرق؟ فيه قولان:

أحدهما: أنها لغتان بمعنى واحد.

قال الفراء: تقول العرب: قَدَّرَ عَلَيْهِ، وَقَدَّرَ عَلَيْهِ، وقد احتجَّ مَنْ قَرَأَ بِالتَّخْفِيفِ، فقال: لو كانت مشددة؛ لقال: فَنِعْمَ الْمَقْدَرُونَ، فأجاب الفراء، فقال: قد تجمع العرب بين اللغتين^(٣)؛ كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَكْفِرينَ أَمْهَلُهُمْ مُؤَيَّدًا﴾ [الطارق: ١٧]، قال الشاعر [من البسيط]:

وَأَتَكَّرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَّرْتُ
مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا^(٤)

(١) انظر: الإتحاف (ص: ٣١).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٨).

(٣) معاني القرآن (٣/ ٢٢٣).

(٤) البيت للأعشى في لغات الفراء (ص: ٧٥)، ومعاني القرآن (٣/ ٢٢٤) كلاهما للفراء، =

يقول: ما أنكرت إلا ما يكون في الناس.

والثاني: [أن]^(١) المخففة من القدرة والملك، والمشددة من التقدير والقضاء.

ثم بيّن لهم صنعَه ليعتبروا فيؤخّذوه؛ فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ قال اللّغويون: الكفت في اللغة: الضم، والمعنى: أنها تضم أهلها أحياء على ظهرها، وأمواتًا في بطنها.

قال ابن قتيبة: يُقال: اكفّ هذا إليك؛ أي: ضمّه، وكانوا يُسمّون بقيع الغرقد: كفتَه؛ لأنه مقبرة يضمّ الموتى^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْواتًا﴾ قولان:

أحدهما: أن المعنى: تكفّتهم أحياء وأمواتًا، قاله الجمهور.

قال الفراء: وانتصب الأحياء والأموات بوقوع الكفات عليهم، كأنك قلت: ألم نجعل الأرض كفّات أحياء وأموات، فإذا نونت نصب؛ كما يقرأ: ﴿أَوِ اطعني في يومِ ذِي مَسْجَرٍ﴾^(٣) [البلد: ١٤-١٥]^(٤).

وقال الأخفش: انتصب على الحال^(٥).

= ومجاز القرآن (١/ ٢٩٣)، وتفسير الطبري (١٥/ ٣٨٨)، وإعراب القرآن (٢/ ١٧٦)،

والأغاني (٣/ ١٠١)، وتهذيب اللغة (١٠/ ١٠٩)، والخصائص؛ لابن جني (٣/ ٣١٣).

(١) من (ر)، و(م).

(٢) غريب القرآن (ص: ٥٠٦).

(٣) معاني القرآن (٣/ ٢٢٤).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٥٦٢).

والقول الثاني: أن المعنى: ألم نجعل الأرض أحياء بالنبات والعمارة، وأمواتا بالخراب واليبس، هذا قول، مجاهد، وأبي عبيدة^(١).

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشً﴾ قد سبق بيان ﴿شَجَرًا﴾؛ أي: عاليات. ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ﴾ قد سبق معنى أسقينا^(٢)، ومعنى الفرات^(٣).

والمعنى: إن هذه الأشياء أعجب من البعث، ثم ذكر ما يقال لهم في الآخرة: ﴿أَطْلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا، وهو النار.

﴿أَطْلِقُوا إِلَى ظِلٍّ﴾ قرأ الجمهور هذه الثانية: بكسر اللام على الأمر، وقرأ أبي بن كعب، وأبو عمران، ورويس، عن يعقوب: بفتح اللام على الخبر بالفعل الماضي^(٤).

قال ابن قتيبة: و"الظل" هاهنا: ظلٌّ من دُخان نار جهنم، سطع ثم افرق ثلاث فرق، وكذلك شأن الدُخان العظيم إذا ارتفع أن يتشعب، [٨١٨/أ] فيقال لهم: كونوا فيه إلى أن يفرغ من الحساب، كما يكون أولياء الله في ظل عرشه، أو حيث شاء من الظل، ثم يؤمر بكل فريق إلى مستقره من الجنة والنار^(٥).

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٨١).

(٢) سبق في الحجر، آية: ٢٢، والجن، آية: ١٦.

(٣) سبق في الفرقان، آية: ٥٣، وفاطر، آية: ١٢.

(٤) قراءة عشرية، انظر: (٢/ ٣٩٧).

(٥) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٩٤).

﴿لَا ظَلِيلٍ﴾؛ أي: لا يظلكم من حرِّ هذا اليوم، بل يُدنيكم من هب النار إلى ما هو أشدَّ عليكم من حرِّ الشمس.

قال مجاهد: تكون شعبة فوق الإنسان، وشعبة عن يمينه، وشعبة عن شماله، فتحيط به^(١).

وقال الضَّحَّاك، الشعب الثلاث: هي الضَّرِيع، والزَّقُوم، والغَسَلين^(٢). فعلى هذا القول يكون هذا بعد دخول النار.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهِ﴾؛ أي: لا يدفع عنكم هب جهنم.

ثم وصف النار فقال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾ وهو جمع: شررة، وهو ما يتطاير من النار متفرقاً.

﴿كَالْقَصْرِ﴾ قرأ الجمهور: بإسكان الصاد على أنه واحدُ القصور المبنية. وهذا المعنى في رواية ابن أبي، طلحة عن ابن عباس^(٣). وهذا^(٤) قول الجمهور.

(١) ذكر ذلك عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ١٧٩).

(٢) ذكر ذلك عنه الماوردي في النكت والعيون (٦ / ١٧٩)، والقرطبي في تفسيره (١٩ / ١٦١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٣)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ يقول: كالقصر العظيم. ومن طريقه أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٥٧١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣٠٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) في (ر): وهو.

وقرأ ابنُ عَبَّاسٍ، وأبو رَزِينٍ، ومُجَاهِدٌ، وأبو الجوزاء: "كالْقَصْر" بفتح الصَّاد^(١).

وفي أفراد البخاري من حديث ابن عباس، قال: كُنَّا نَرْفَعُ الْحَشْبَ بَقَصْرٍ ثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ أَوْ أَقَلَّ، فنَرْفَعُهُ لِلشَّتَاءِ، فَنُسَمِّيهِ: الْقَصْرَ^(٢).

قال ابنُ قُتَيْبَةَ: مَنْ فَتَحَ الصَّادَ أَرَادَ: أَصُولَ النَّخْلِ الْمُقْطُوعَةَ المقلوعة^(٣). قال الرَّجَّاجُ: أَرَادَ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ^(٤).

وقرأ سعد بن أبي وقاص، وعائشة، وعكرمة، وأبو مجلز، وأبو المتوكل، وابن يعمر: "كالْقَصْرِ" بفتح القاف، وكسر الصَّاد^(٥).

وقرأ ابن مسعود، وأبو هريرة، والنخعي: "كالْقُصْرُ" برفع القاف والصَّادَ جميعًا. وقرأ أبو الدرداء، وسعيد بن جبير: "كالْقَصْرِ" بكسر القاف وفتح الصَّاد. وقرأ أبو العالية، وأبو عمران، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ: "كالْقَصْرِ" بضم القاف وإسكان الصَّاد^(٦).

(١) قراءة شاذة، انظر: الكشف والبيان؛ للشعلبي (١١٠ / ١٠)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٤٩٩)، والبحر المحيط (٨ / ٤٠٧).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم (٤٩٣٢).

(٣) غريب القرآن (ص: ٥٠٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٦٨).

(٥) قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط (١٠ / ٣٧٧).

(٦) قراءات شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ١٦٧)، والمحتسب (٢ / ٣٤٧)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٤٤٩).



قوله تعالى: ﴿كَانَتْ جَمَلًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر، عن عاصم: "جَمَالَات" بـالف، وكسر الجيم.

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: "جَمَالَةٌ" على التوحيد^(١).
وقرأ رويس، عن يعقوب: "جَمَالَات" بضم الجيم^(٢). وقرأ أبو رزين،
وحيد، وأبو حيوة: "جَمَالَة" برفع الجيم على التوحيد^(٣).

قال الزَّجَّاج: مَنْ قرأ: "جَمَالَات" بالكسر، فهو جمع جَمَال؛ كما تقول: يُؤْت ويوتات، وهو جَمْعُ الجَمْع، فالمعنى: كأنَّ الشَّرارات كالجمالات. وَمَنْ قرأ: "جَمَالَات" بالضَّم، فهو جَمْع: "جمالة"، وَمَنْ قرأ: "جمالة" فهو جَمْع جَمَل وجمالة، كما قيل: حَجَر، وحجارة، وذَكَر، وذَكَارة، وقُرِئت: "جمالة" على ما فسرناه في "جَمَالَات" بالضم^(٤).

و"الصُّفَر" هاهنا: السود، يقال للإبل التي هي سود تضرب إلى الصفرة: إبل صفر.

وقال الفرَّاء: الصُّفَر: سُود الإبل، لا يُرى الأسود مِنَ الإبل إِلَّا وهو مُشَرَّبٌ صُفْرَة^(٥)، فلذلك سمَّيَ العربُ سُودَ الإبلِ: صَفْرًا، كما

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٨).

(٢) قراءة عشرية لرويس، انظر: النشر (٢/ ٣٩٧).

(٣) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٤٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٨).

(٥) في (م): بصفرة.

سَمُّوا الظَّيَّاءَ أَذْمًا لِمَا يعلوها مِنْ الظلمة في بياضها^(١).

قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ قال المفسرون: هذا في بعض مواقف القيامة.

قال عكرمة: تكلّموا واختصّموا، ثم ختم على أفواههم، فتكلّمت أيديهم، وأزجلهم، فحينئذ لا ينطقون ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ وقال ابن الأنباري: لا ينطقون بحجة تنفعهم^(٢).

وقرأ أبو رجاء، والقاسم بن محمّد، والأعمش، وابن أبي عبيدة: "هذا يوم لا ينطقون" بنصب الميم^(٣).

قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾؛ أي: بين أهل الجنة وأهل النار ﴿جَمَعْتَكُمْ﴾ يعني: مكذبي هذه الأمة، و﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ من المكذبين الذين كذبوا أنبياءهم. ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ أثبت فيها الباء في الحاليين يعقوب^(٤)؛ أي: إن قدرتم على حيلة، فاحتالوا لأنفسكم.

(١) معاني القرآن (٣/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤٦٠) (٥٩٠)، من طريق معمر، عن قتادة، قال جاء رجل إلى عكرمة، فقال: رأيت قول الله: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١]، قال: "إنها مواقف، فأما موقف منها فتكلّموا واختصّموا، ثم ختم الله على أفواههم فتكلّمت أيديهم وأزجلهم، فحينئذ لا ينطقون"، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ١٠٢)، والتفسير الوسيط (٤/ ٤١٠).

(٣) قراءة شاذة، انظر: معاني الفراء (٣/ ٢٢٥)، وشواذ ابن خالويه (ص: ١٦٧)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٤٩٩)، والبحر المحيط (١٠/ ٣٧٨).

(٤) عشرية، انظر: النشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٩٧).

ثم ذكر ما للمؤمنين؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ﴾ يعني: ظلال الشجر وظلال أكنان القصور ﴿وَعُيُونٍ﴾ الماء وهذا قد تقدم بيانه إلى قوله تعالى ﴿كُلُوا﴾؛ أي: ويقال لهم: كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون في الدنيا بطاعة الله عز وجل.

ثم قال لكفار مكة: ﴿كُلُوا وَتَمْنَعُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا إلى منتهى آجالكم ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾؛ أي: مشركون بالله.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه حين يدعون إلى السجود يوم القيامة، رواه العوفي عن ابن عباس^(١).

والثاني: أنه في الدنيا كانوا إذا قيل لهم اركعوا؛ أي: صلوا لا يركعون؛ أي: لا يصلون، وإلى نحو هذا ذهب مجاهد في آخرين، وهو الأصح.

وقيل: نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله ﷺ بالصلاة، فقالوا: لا نُجَبِّي^(٢) فإنها مسبّة علينا. فقال: "لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ"^(٣).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤ / ١٤٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ يقول: يُدْعَوْنَ يوم القيامة إلى السجود فلا يستطيعون السجود من أجل أنهم لم يكونوا يسجدون لله في الدنيا. وذكره مكي في الهداية (١٢ / ٧٩٧٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٣٠٨).

(٢) في (م): ننحني. ونجبي من التجبية: وهي الانحناء. يريدون الركوع في الصلاة. غريب الحديث؛ لابن قتيبة (١ / ١٤٧)، ولسان العرب (١٤ / ١٣٠).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٣ / ١٨٦) (١٥٢٠) عن عبيد الله بن معاذ، عن =

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أَي: إِن لَمْ يُصَدِّقُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يَصَدِّقُونَ، وَلَا كِتَابَ بَعْدَهُ.

=أَيُّهُ، عَنْ أَشْعَثَ. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي الْمُسْنَدِ (٩٣٩)، وَعَنْهُ أَبُو دَاوُدَ، كِتَابُ الْخُرَاجِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي خَيْرِ الطَّائِفِ (٣٠٢٧)، وَابِيهَقِي فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى (٢/ ٦٢٣). وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي الْأَحَادِ وَالْمَثَانِي (٣/ ١٨٦) (١٥٢٠١)، وَالتَّطَبُّعَاتُ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ (٩/ ٥٤) (٨٣٧٢) عَنْ هُدْبَةَ بْنِ خَالِدٍ. وَرَوَاهُ ابْنُ الْجَارُودِ فِي الْمُتَّقَى (٣٧٣)، وَابْنُ خَزِيمَةَ (٢/ ٢٨٥) (١٣٢٨)، وَالتَّطَبُّعَاتُ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ (٩/ ٥٤) (٨٣٧٢)، وَابِيهَقِي فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى (٢/ ٦٢٣) (٤٣٣٤) مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيِّ. وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (٦/ ٢٧١) (١٧٩٣٤)، وَابْنُ خَزِيمَةَ (٢/ ٢٨٥) (١٣٢٨) وَلَمْ يَذْكُرْ: لَا خَيْرَ. مِنْ طَرِيقِ عَفَّانَ بْنِ مُسْلِمٍ. أَرْبَعَتُهُمْ: أَبُو دَاوُدَ، وَأَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، وَهَدْبَةُ، وَعَفَّانُ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ حَمِيدٍ. قَالَ عَبْدُ الْحَقِّ الْإِشْبِيلِيُّ فِي الْأَحْكَامِ، كَمَا فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ وَأَثَارِ الْكُشَافِ؛ لِلزَّيْلَعِيِّ (٤/ ١٣٩): لَا يَعْرِفُ لِلْحَسَنِ سَمَاعٌ مِنْ عُثْمَانَ، وَلَيْسَ طَرِيقُ الْحَدِيثِ بِقَوِيٍّ. وَقَالَ الْحَافِظُ الْمُنْذَرِيُّ فِي مُخْتَصَرِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٤/ ٢٤٤): قَدْ قِيلَ: إِنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ. وَرَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٤/ ١٤٥)، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ (٦/ ٤٩٦) لِعَبْدِ ابْنِ حَمِيدٍ، وَابْنِ الْمُنْذَرِ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ أَيْضًا، عَنْ مُجَاهِدٍ.

فهرس الآيات

رقم الآية	الصفحة
سورة الواقعة	
١٢، ١	٥
٢٦، ١٣	١١
٤٠، ٢٧	١٩
٥٦، ٤١	٢٧
٦٢، ٥٧	٣١
٧٤، ٦٣	٣٣
٨٢، ٧٥	٣٧
٩٦، ٨٣	٤٣

رقم الآية	الصفحة
سورة الحديد	
٦، ١	٤٩
١١، ٧	٥١
١٥، ١٢	٥٣
١٧، ١٦	٥٧
١٩، ١٨	٦١
٢٤، ٢٠	٦٣
٢٥	٦٥
٢٧، ٢٦	٦٧
٢٩، ٢٨	٧١



الصفحة	رقم الآية
سورة المجادلة	

٧٣	١
٧٥	٣، ٢
٨٣	٧، ٤
٨٥	١٠، ٨
٨٩	١١
٩٣	١٣، ١٢
٩٥	١٩، ١٤
٩٧	٢٢، ٢٠

الصفحة	رقم الآية
سورة الحشر	

١٠٣	٥، ١
١١١	١٠، ٦
١١٩	١٧، ١١
١٢٩	٢٤، ١٨

الصفحة	رقم الآية
سورة الممتحنة	

١٣٧	٣، ١
١٤٣	٩، ٤
١٤٧	١١، ١٠
١٥٥	١٢
١٥٧	١٣

الصفحة	رقم الآية
سورة الصف	

١٥٩	٤،١
١٦١	٩،٥
١٦٣	١٤،١٠

الصفحة	رقم الآية
سورة الجمعة	

١٦٧	٤،١
١٦٩	٨،٥
١٧١	١٠،٩
١٧٧	١١

الصفحة	رقم الآية
سورة المنافقون	

١٨٣	٤،١
١٨٥	٨،٥
١٨٩	١١،٩

الصفحة	رقم الآية
سورة التغابن	

١٩١	٦،١
١٩٥	١٨،٧



رقم الآية	الصفحة
سورة الطلاق	

١	٢٠٣
٣،٢	٢٠٧
٥،٤	٢٠٩
٧،٦	٢١٣
١١،٨	٢١٧
١٢	٢١٩

رقم الآية	الصفحة
سورة التحريم	

٥،١	٢٢١
٨،٦	٢٣١
١٢،٩	٢٣٣

رقم الآية	الصفحة
سورة الملك	

١١،١	٢٣٧
١٥،١٢	٢٤١
١٩،١٦	٢٤٣
٢٧،٢٠	٢٤٥
٣٠،٢٨	٢٤٧

رقم الآية	الصفحة
سورة القلم	

٧،١	٢٤٩
-----	-----------

٢٥٥	١٦،٨
٢٦١	٤١،١٧
٢٦٩	٤٧،٤٢
٢٧٣	٥٢،٤٨

رقم الآية	الصفحة
سورة الحاقة	

٢٧٧	١٢،١
٢٨١	٣٧،١٣
٢٩١	٥٢،٣٨
٢٩٣	٥٢،٤٤

رقم الآية	الصفحة
سورة المعارج	

٢٩٥	١٨،١
٣٠٣	٤٢،١٩

رقم الآية	الصفحة
سورة نوح	

٣١١	٤،١
٣١٣	٢٤،٥
٣١٩	٢٨،٢٥

رقم الآية	الصفحة
سورة الجن	

٣٢٣	١٧،١
-----	-------	------

٣٣١ ٢٨،١٨

رقم الآية	الصفحة
سورة المزمل	

٣٣٩ ١٨،١

٣٥١ ٢٠،١٩

رقم الآية	الصفحة
سورة المدثر	

٣٥٥ ٣٧،١

٣٧١ ٥٦،٣٨

رقم الآية	الصفحة
سورة القيامة	

٣٧٧ ١٥،١

٣٨٥ ٢٥،١٦

٣٨٩ ٤٠،٢٦

رقم الآية	الصفحة
سورة الإنسان	

٣٩٣ ٣،١

٣٩٧ ٣١،٤

رقم الآية	الصفحة
سورة المرسلات	

٤١٩ ٥٠،١